منبر الإسلام

صوت الإسلام الوسطى

السنة (٧٤) العدد (١) المحرم ١٤٣٦هـ

نوفمبر ٢٠١٤م - الثمن ٢٠٠ قرش

من وحى الهجرة

أ.د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف)

دور الوقف فى نهضة الأمة

الهجرة فى فكر الشيخ شلتوت

الإدمان الطريق إلى الهاوية

أثر الفتوى فى واقع الأمة

خطب الجمعة لشهر المحرم ١٤٣٦هـ

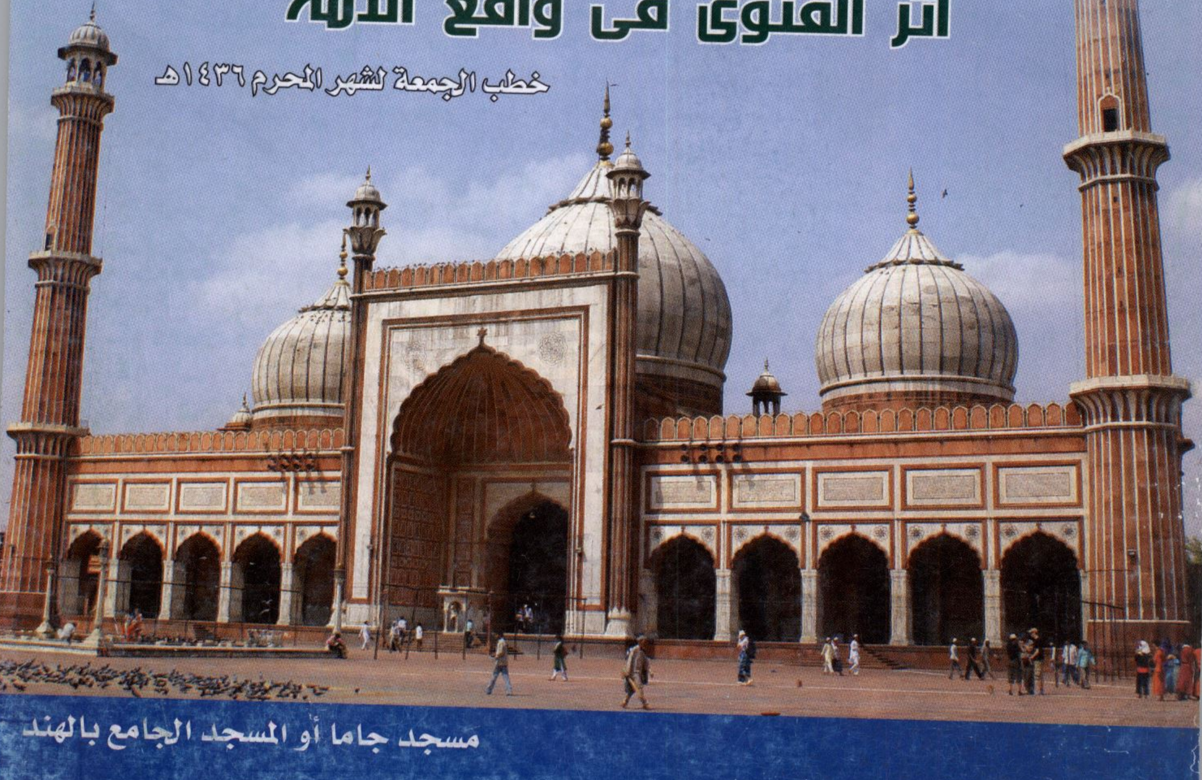

مسجد جاما أو المسجد الجامع بالهند

منبر الإسلام

صوت الإسلام الوسطى

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: أحمد على عجيبة

الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجلس الأمناء

فضيلة الأمام الأكبر (شيخ الأزهر)

الدكتور: أحمد محمد الطيب

الدكتور: شوقى علام

مفتى الجمهورية

الدكتور: عباس شومان

وكيل الأزهر

مجلة منبر الإسلام

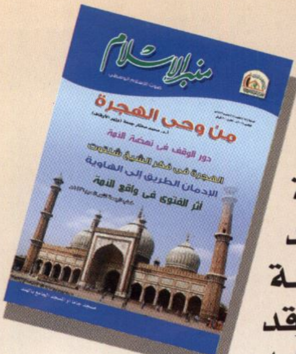

مسجد جاما أو المسجد الجامع يقع فى مدينة دلهى وهو أحد مساجد الهند حيث يتسع لخمسة وعشرين ألفا من المصلين، وقد بناه الإمبراطور المغولى شاه جان، واستغرق بناؤه ستة أعوام ليكتمل عام ١٦٥٦م.

الفردوس

«مجلة كل الأطفال»

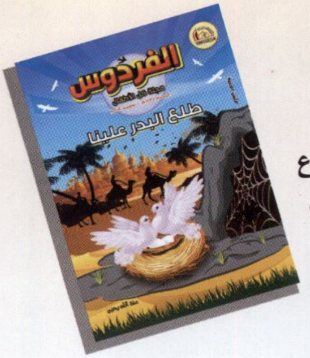

أضاء غلاف «الفردوس» بأنشودة طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع هكذا أنشد المسلمون الأوائل من أهل المدينة المنورة وهم يستقبلون الرسول الكريم وأصحابه من المهاجرين من مكة طاعة لأمر الله، ونحن اليوم نردده احتفالا بالعام الهجرى الجديد أعاده الله علينا باليمن والبركات.

الاشتراكات

يخاطب بشأنها: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وترسل على مكتب بريد جاردن سيتى ـ القاهرة

عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.

عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية

عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية عن سنة كاملة: ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا.

عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارًا أمريكيًا لأمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

العنوان البريدى: ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى ـ القاهرة.

رقم الهاتف: ٢٧٩٥٨٦٦٤ ـ ٢٧٩٥٨٦٥٩ ـ ٢٧٩٤١٦٢٧ (٢٠٢) ـ فاكس: ٢٧٩٥٨٦٦٣ ـ ٢٧٩٥٤٠٠٥ (٢٠٢)

الاشتراكات لسلسلتى قضايا ودراسات إسلامية

قيمة الاشتراك السنوى للسلسلة الواحدة (١٢ عدداً)

أولا: داخل مصر (١.٥ جنيه مصرى لكل عدد).

ثانيا: خارج مصر كالآتى: دول عربية وافريقية (٩ دولارات أمريكية) دول أوروبية (١١ دولارًا أمريكيا)، دول أمريكا وكندا وآسيا (١٤ دولارًا أمريكيًا) أمريكا الجنوبية وإستراليا: (٢٢ دولارًا أمريكيًا).

اقرأ لهؤلاء

■ من وحى الهجرة ٢
أ. د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف)

■ استقبال عام هجرى جديد ٨
د. طـه عبدالسلام خضير

■ الهجرة فى فكر الشيخ شلتوت ١٧
د. أمان عبدالمؤمن قحيف

■ أعظم المربين وسيد المعلمين محمد ﷺ ٢٢
د. محمد محمد أبو ليلة

■ حدث الهجرة نقطة تحول للإنسانية ٣٣
د. أحمد فاروق الهلباوى

■ نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية ٤١
د. طـه مصطفى أبو كريشة

■ ملف العدد: الإدمان الطريق إلى الهاوية ٥١
محمد كامل شاهين

■ دور الوقف فى نهضة الأمة ٦٩
د. أحمد عمر هاشم

■ أثر الفتوى فى واقع الأمة ٧٥
د. حسن أحمد خليل

■ دور الإعلام فى تحقيق وحدة الأمة الإسلامية ٨٢
د. عبدالصبور فاضل

■ أنباء وأخبار ٦٢

■ فاسألوا أهل الذكر ١٣٣

■ نافذة على القراء ١٣٦

افتتاحية العدد

عزيزى القارئ

إن من نعم الله على عباده أن يوالى عليهم مواسم الخيرات ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، فما انقضى موسم الحج ألا وتبعه شهر كريم هو شهر المحرم. قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الذى تدعونه المحرم» (رواه مسلم).

وقد سمى النبى ﷺ المحرم شهر الله دلالة على شرفه وفضله ومكانته، وقد اختار سيدنا عمر رضي الله عنه هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة لتكون رأس السنة الهجرية فى شهر المحرم، فعلينا أن نغتنم هذا الشهر الفضيل ونكثر من عمل الصالحات فيه، هو شهر يستحق منا التوقف لتدبر ما جاء عنه، ففيه يوم عاشوراء ذلك اليوم الذى صامه الرسول ﷺ وأمر بصيامه.

ولأهمية هذا الشهر الفضيل وما فيه من حدث الهجرة الذى غير مجرى التاريخ أفردت «منبر الإسلام» العديد من المقالات المتميزة التى تتحدث عن الهجرة النبوية الشريفة لكبار الكتاب، بالإضافة إلي المقالات المتنوعة التى تغطى مناحى الحياة المختلفة، ونظرا لأن الإدمان أصبح من القضايا المهمة التى تحتاج إلى تكاتف الجهود للقضاء عليها، أفردت مجلتكم الغراء ملفاً يتناول قضية الإدمان وسبل علاجها، بالإضافة إلى خطب الجمعة لشهر المحرم ١٤٣٦هـ.. داعين المولى عز وجل أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

أسرة التحرير

يسرنا أن نعلن لسيادتكم عن توافر خدمة توصيل مجلة «منبر الإسلام» ومجلة «الفردوس لكل الأطفال» بالسعر الرسمى دون تحميل القارئ مصاريف توصيل وذلك من خلال الاتصال على الأرقام التالية: ٢٥٨٠٦٢٣٨ - ٢٥٨٠٦٤٢٠ - ٢٥٨٠٦٤١١

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Addresses : www.islamic-council.org- www.islamic-council.com

E-mail Address: Islamic_council_eg@yahoo.com

Postal Address : 9, El-Nabatât St., Garden City, Cairo, A.R.E - Tel. : (+202) 27947776 / 27958664 Fax : (+202) 27954005

الصفحة الرسمية للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية

http://www.facebook.com/islamic.council.eg -- http://www.facebook.com/supreme.islamic.council.eg

«ضوابط النشر بالمجلة»

ترجو إدارة المجلة من السادة الكتاب الالتزام بضوابط النشر التالية:

١ - أن يكون المقال منضبطا بالضوابط الشرعية المحكومة بالقرآن والسنة.

٢ - أن يكون المقال متميزاً فى مادته، ولم يسبق نشره ويفضل أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر ومصحوباً بقرص مدمج (C.D) إن أمكن ذلك مع مراعاة ألا يزيد حجم المقال على ألف كلمة تقريبا.

٣ - تخضع الموضوعات المقدمة للفحص من قبل المتخصصين بالمجلة، علماً بأن الموضوعات لا ترد لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

٤ - يراعى أن يرفق الكاتب مقاله بنبذة مختصرة من سيرته الذاتية تتضمن الاسم الثلاثى والمهنة الحالية، والعنوان ورقم الهاتف.

من وحى الهجرة

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

الهجرة النبوية تعد من أهم الأحداث فى تاريخ الإسلام إن لم تكن الحدث الأهم فيه، وهو ما حمل الصحابة على التأريخ بها لأمة الإسلام، فقد كانت نقطة تحول هامة فى هذا التاريخ العظيم، وبداية البناء العملى لدولة الإسلام فى المدينة المنورة، ذلك البناء الذى قام على عدة أسس، من أهمها :

المؤاخاة وترسيخ فقه التعايش ومبدأ العيش المشترك بين البشر، ذلك المبدأ الذى اتخذ من المدينة المنورة أفضل أنموذج فى تاريخ البشرية، سواء فيما بين المسلمين، أم فيما بينهم وبين الطوائف الأخرى من سكان المدينة.

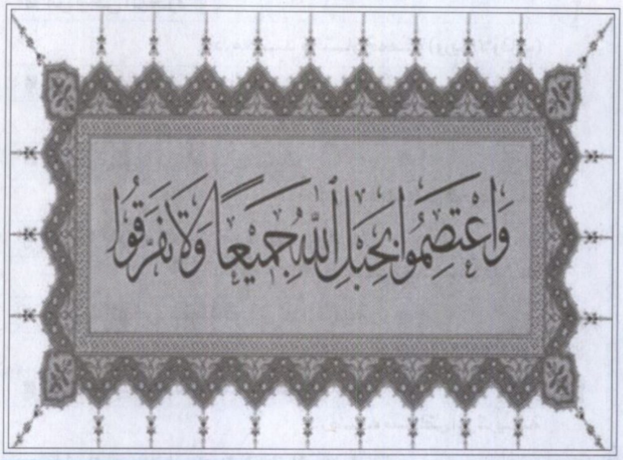

الهجرة النبوية أهم حدث فى تاريخ الإسلام لذا أرخ الصحابة بها

ففيما بين المسلمين رسخ الإسلام مبدأ الأخوة والمؤاخاة ووحدة الصف، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: الآية ١٠٣)، ويقول سبحانه : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: الآية ٤٦)، ويقول نبينا ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه**» (رواه مسلم) .

وفيما بين المسلمين وبين غيرهم تعد وثيقة المدينة أعظم أنموذج لفقه التعايش فى تاريخ البشرية، فقد أكد نبينا ﷺ: أن

يهود بنى عوف، ويهود بنى النجار، ويهود بنى الحارث، ويهود بنى ساعدة، ويهود بنى جشم، ويهود بنى الأوس، ويهود بنى ثعلبة، مع المؤمنين أمة، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم،وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وأن من خرج منهم فهو آمن، ومن قعد بالمدينة فهو آمن، إلا من ظلم أو أثم، وأن الله (عز وجل) جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ.

فأى إنسانية، وأى حضارة، وأى رقى، وأى تعايش سلمى، أو تقدير لمفاهيم الإنسانية، يمكن أن يرقى إلى ما كان من تسامح رسول الله ﷺ وإنصافه، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «**لليهود دينهم**» قبل أن يقول: «للمسلمين دينهم» ليكون فى أعلى درجات الإنصاف والتسامح.

المسجد ورسالته، تلك الرسالة التى تقوم على أن المسجد للعبادة والذكر والتربية على مكارم الأخلاق، بعيدًا عن كل ألوان الأثرة والنفعية والأنانية، فالمسجد لما يجمع ولا يفرق، وهو وسيلة بناء لا هدم، فمن حاول توظيف المسجد لأغراض سياسية أو حزبية أو شخصية، فقد خرج به عن مهمته الإيمانية إلى مصالح ضيقة، وإذا كان أهل العلم على أن المسجد ليس للبيع أو الشراء أو إنشاد الضالة، فإن ذلك يقتضى تنزيهه عن كل ما يخدم المصالح الخاصة أو الشخصية أو الحزبية أو الفئوية أو الطائفية.

أما استخدام المساجد من قبل أى فئة ضالة أو منحرفة أو مضللة للحشد والتظاهر، أو القتل

والتخريب، وترويع الآمنين، فهذا عين الفساد والإفساد، ويعد خيانة شرعية ووطنية، لأن الدين لا يسمح، والوطن لا يقر ولا يحتمل، ولا ينبغى أن نقابل الحسنة بالسيئة، أو أن نرد جميل الوطن واحتضانه لنا بالجحود والنكران أو الهدم والتخريب، ولله در شوقى، حيث يقول:

وَلِلأَوطانِ فى دَمِ كُلِّ حُرٍّ
يَدٌ سَلَفَت وَدَينٌ مُستَحِقُّ

تعد وثيقة المدينة أعظم أنموذج لفقه التعايش فى تاريخ البشرية

وأما المفهوم الأعظم للهجرة فهو كونها لله ورسوله، كونها هجرة من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن الظلم إلى العدل، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن خلف العهد إلى الوفاء به، ومن البطالة والكسل إلى العمل والإنتاج، يقول الحق سبحانه : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ (الرعد: الآية ١١)، ويقول نبينا ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**» (رواه البخارى).

وقد أصّلت الهجرة النبوية دروسًا عظيمة فى ضرورة مراعاة فقه الواقع، ومن ذلك ما كان النبى ﷺ مع صفوان بن أمية، ذلك أن صفوان عندما

أسلم قيل له: إِنَّهُ لا دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ، فقال: لا أصِلُ إِلَى بَيْتِي، حَتَّى أَقْدُمَ الْمَدِينَةَ، فلما بلغ المدينة نزل على العباس بن عبد المطلب، فذهب به إلى النبى ﷺ، فقال له النبى ﷺ: « **مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا وَهْبٍ**»؟ قَالَ: قِيلَ إِنَّهُ لا دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ، فقال له النبى ﷺ: «**ارْجِعْ أَبَا وَهْبٍ إِلَى أَبَاطِحِ مَكَّةَ، فَقَرُّوا عَلَى مِلَّتِكُمْ، فَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِنِ اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا**» (رواه البخارى) .

فمع أن الهجرة ارتبطت بمرحلة وحالة معينة من أحوال المسلمين وهى مرحلة الأذى والاستضعاف التى كان عليها المسلمون، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا..**﴾ (النساء: الآية ٩٧)، فلما أعز الله الإسلام ومكن له بفتح مكة وزالت حالة الاستضعاف التى كانوا عليها تغير الحكم من الحث على الهجرة واعتبار ذلك مطلبًا شرعيًا إلى الحكم بانتهاء الهجرة الجسدية التى تعنى الانتقال من مكة إلى المدينة، ومطالبتهم بالاستقرار فى أماكنهم «رجع أبا وهب إلى أباطح مكة .. لا هجرة بعد فتح »، وفى ذلك رد واضح على من يريدون أن يفرضوا بلا فقه ولا فهم فتاوى ناسبت زمانها ومكانها وبيئتها وحالة أو أحوالاً معينة على جميع الأزمنة والأمكنة والبيئات والأحوال، وتلك طامة غير المتخصصين وغير المؤهلين الذين يريدون أن يقحموا أنفسهم فيما ليسوا له بأهل من شئون الدعوة والفتوى .

كما أن بالهجرة درسًا هامًا لا يمكن تجاهله أو تجاوزه، هو تكامل الأدوار فى رحلة الهجرة بين أبناء المجتمع جميعًا من الرجال والنساء والشباب،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليس منا
من لم يرحم صغيرنا
ويوقر كبيرنا

ففى الوقت الذى صحب أبو بكر رسول الله ﷺ وواساه بنفسه وماله، حتى قال النبى ﷺ : «**إن من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر**» (صحيح البخارى)، نام ذلك الشاب الذى نشأ فى بيت النبوة على بن أبى طالب فى مكان النبى ﷺ فى أنموذج فريد من نماذج التضحية والفداء، كما أن النبى ﷺ قد عهد إليه برد الأمانات التى كانت عنده ﷺ إلى أصحابها، إلى جانب هذا وذلك كانت أسماء بنت أبى بكر المعروفة بذات النطاقين تشق طريقها إلى غار ثور بالطعام إلى رسول الله ﷺ وصاحبه، وقد ضمت بيعة العقبة الثانية اثنين وسبعين رجلا شبابًا وشيوخًا وامرأتين، مما يؤكد على أن التعاون والتكامل والتنسيق وصدق النية وإخلاصها وتغليب العام على الخاص من أهم أسباب النجاح، فالعلاقة بين الرجل والمرأة، وبين الشباب والشيوخ ينبغى أن تكون علاقة تكامل وتكافل وتراحم، لا علاقة نزاع ولا شقاق، فللرجل حقوقه وعليه واجباته، وللمرأة مثل ذلك، كما أننا فى حاجة إلى خبرة الشيوخ وحماس الشباب معًا، يقول نبينا ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**» (رواه الترمذى).

علاقة الناس
ببعضهم علاقة
تكامل وتكافل
وتراحم
لا علاقة نزاع
وشقاق

فى ذكرى الهجرة النبوية

لقد كانت هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب بعد ثلاثة عشر عاما من الاضطهاد والقهر فى مكة، سنوات والرسول ﷺ يعانى حربا لا هوادة فيها من قبل طواغيت قريش وزعمائها تلك الحرب الظالمة التى شنتها قريش على الدين الجديد ونبى الإسلام وأصحابه القلة المستضعفة فى مكة، لقد تفننوا فى كل صور الإيذاء ولم يتركوا مجالا لتشويه الدعوة الإسلامية إلا واتبعوه فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون.

فضيلة الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان*

فلما وصل اضطهادهم وإيذاؤهم وحصارهم له ولأصحابه وعشيرته إلى نهايته واتفق أهل دار الندوة من قريش على قتل رسول الله ﷺ ومحاصرة داره بشباب من كل القبائل ذوى قوة وبطش شديد ليضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضون بالدية فتدفع لهم، وهنا تجلت آيات الله فى حمايته لرسوله فأنزل عليه قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة الأنفال الآية ٣٠).

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ • قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ (سورة الطور الآية ٣٠، ٣١) قال ابن إسحاق: «فأذن الله لنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة» لقد جاء جبريل عليه السلام وأخبره ألا يبيت فى فراشه فأمر الرسول ﷺ عليا بن أبى طالب أن يبيت مكانه فى فراشه وليرد الودائع التى كانت عنده لأصحابها وخرج من بيته والمحاصرون حوله فأخذ حفنة من التراب ونثرها على رؤوسهم وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يس • وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ • إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ • عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ • لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ • لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ • وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (سورة يس الآيات ١ : ٩) فألقى الله النوم عليهم جميعا فلم يستيقظوا إلا بحرارة الشمس. إن حدث الهجرة من

* وكيل أول وزارة الأوقاف الأسبق لشئون الدعوة.

أخطر الأحداث فى تاريخ الدعوة الإسلامية وتاريخ الدولة والأمة على سواء، فقد كان هذا الحدث مفرقًا كبيرا بين الحق والباطل خرج به المهاجرون من وضع الاستضعاف إلى وضع التحرر والتحدى فامتلكوا إرادتهم وبنوا دولتهم وأصبحوا قوة مواجهة لقوى الشر الوثنية التى تركوها وراءهم فى مكة، إن هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة لم تكن شيئا عشوائيّا، بل تخطيطا علميّا دقيقًا صاحبه إيمان قوى واتصال عميق بالله عز وجل ولولا ذلك ما نجحت الهجرة.

لقد شارك فى الإعداد لها والاشتراك فيها رجال ونساء وشباب وفتيات كانوا على جانب كبير من الثراء والغنى وآخرون من عامة المسلمين كان فيها الكهول كأبى بكر الصديق رضي الله عنه وكان فيها الشباب كعلى بن أبى طالب وعبدالله بن أبى بكر رضى الله عنهما وكان فيها الفتيات كأسماء وعائشة رضى الله عنهما وكان فيها الرعاة كعامر بن فهيرة راعى غنم أبى بكر الصديق وكان فيها عبدالله بن أريقط وهو الدليل الذى صحب الرسول ﷺ وأبا بكر من غار ثور إلى المدينة، وكان على كل من هؤلاء جميعًا دور لابد أن يؤديه فكانت الهجرة بحق تخطيطا وتنظيمًا دقيقًا.

لقد كانت هذه الهجرة الشريفة قبل أن تكون انتقالا لرسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم من مكان إلى مكان انتقالاً نفسيا من حال إلى حال وهذا الانتقال النفسى هو المطلوب من المسلمين اليوم أن يحرصوا عليه ويتشبثوا به ليواصلوا السير على هديه ليعيشوا فى أوطانهم آمنين أعزة متوادين بعد أن تبين لهم أن الغرب المسيحى اليوم قد أبدى لهم نواجذ الشر ونابذهم العداء السافر.

إن الهجرة النبوية الشريفة قد برز فيها خلقان نبيلان أصبحا اليوم فى عالمنا الإسلامى أندر من المعادن النفيسة وقد جسد أحد الخلقين المهاجرون وجسد الخلق الآخر الأنصار، أما الخلق الكريم الذى جسده المهاجرون فهو خلق التضحية بكل ما فى هذه الكلمة من مثاليات، حيث خرجوا من ديارهم فرارا بدينهم وخلفوا أزواجهم وأبناءهم وتركوا أموالهم ومتاعهم لأن الله ورسوله كانا أحب إليهم مما سواهما فها هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه يقدم بين يدى رسول الله ﷺ ثروته كلها ولم يترك لأبيه وبنيه وصاحبته شيئًا، وها هو صهيب الرومى يخرج من ماله كله الذى جمعه بكد اليمين وعرق الجبين فى مقابل أن يسمح له بالهجرة ويلحق بالرسول الكريم والمربى العظيم حيث يعبد ربه فى أمان ولم تقتصر تضحية هؤلاء المهاجرين على المال، بل عرضوا أنفسهم فى سبيل الله وحبا لرسوله إلى التهلكة عن طيب خاطر واطمئنان نفس وقلب، لقد كان الصديق رضي الله عنه رفيق الرسول ﷺ فى الهجرة فكان يمشى تارة أمامه وتارة خلفه فيسأله الرسول ﷺ عن سر ذلك فيجيبه فى صدق وحب وإخلاص منقطع النظير فيقول: أذكر طلب قريش فأمشى خلفك وأذكر ترصد قريش فأسير أمامك فإن وقع مكروه أصبت أنا ونجوت أنت. وعندما وصلا إلى غار ثور استمهل أبو بكر رسول الله ﷺ حتى يستبرئ له الغار من الحشرات والمؤذيات، وهذا على بن أبى طالب الشاب المقبل على الحياة ببهجتها وزينتها يعرض نفسه للموت بمبيته فى فراش الرسول ﷺ إيهامًا للكفار بأن الرسول ﷺ لايزال فى فراشه. وأما الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ونصروا رسول الله وعزروه فقد جسدوا خلق الإيثار وقد شرفهم الله عز وجل ورفع ذكرهم وأعلى منزلتهم وشهد لهم بأنهم أحبوا من هاجر إليهم وآثروهم على أنفسهم فقال عنهم: ﴿**يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ (سورة الحشر آية ٩) وقد وصل بهم الإيثار إلى درجة تقاسم أموالهم

يؤكد التاريخ أن الأمم العظيمة لاتصنعها إلا محن عظيمة

مع إخوانهم المهاجرين وقبلوا راضية نفوسهم أن يرثهم إخوانهم المهاجرون على غير أرحام بينهم واستمر ذلك التوارث المادى حتى نزل قوله عز وجل بعد غزوة بدر: ﴿**وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ (سورة الأنفال الآية ٧٥) فأين نحن المسلمين من هذين الخلقين الكريمين؟ إن الدماء التى تسيل فى مواجهتنا لبعضنا أكثر وأغزر من الدماء التى تسيل منا على أيدى أعدائنا وصدق الإمام الحسن البصرى فى قوله: «يضيع هذا الدين بين الغالى فيه والجافى عنه» إن الاختلاف داء قاتل هلكت به الأمم السابقة - فاللهم احفظ أمتنا من الغلو والتفريط واهدنا إلى صراطك المستقيم. لقد صار أكثر المسلمين كبعض الشجر يورق ولايثمر فأين المسلمون من أخلاق الهجرة النبوية؟ إن حدث الهجرة العظيم هز أركان الباطل رغم جبروته وغير وجه التاريخ الإنسانى من خلال دولة الإسلام الجديدة بهؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فانتصروا على الباطل بقوة إيمانهم وتضحياتهم وعزيمتهم مع قلة عددهم وعتادهم فالهجرة لنصر الحق وسيلة من وسائل النصر وسبيل الفوز والفلاح نعم: إن الهجرة من مكة إلى المدينة انتهت بفتح مكة ومدح الله المهاجرين والأنصار.

لذا نجد سيدنا عمر يؤرخ التاريخ الإسلامى بحادث الهجرة تعظيما لها فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «ما عدوا من مبعث النبى ﷺ ولا من وفاته ما عدوا إلا من مقدمه المدينة» أخرجه البخارى، إن التاريخ الإسلامى لايبدأ من ميلاد رسول الله ﷺ مع أن ميلاده كان ميلاد الحق الكامل ومشرق النور الشامل ولايبدأ من مبعث رسول الله ﷺ مع أن مبعثه كان بعثا للتوحيد الصحيح ومنبعا للحق الصريح ولم يؤرخ المسلمون من وفاته ﷺ رغم أن وفاته كانت عبرة وعظة للمؤمنين فلرسول الله ﷺ يوم أعظم قدراً وأعلى ذكرا من يوم مولده ويوم بعثه ويوم وفاته على عظم هذه الأيام وجليل خطرها يوم أن ضحى بوطن عزيز عليه حبيب إليه، يوم أن ترك أرضا ولد بها وعاش فيها وبعث منها رسولا، يوم أن هاجر من مكة التى ظلم طغاتها أشرف أبنائها وأبرهم بها، يوم أن نظر إلى وطنه الذى أخرجه منه قومه وقال: «**والله لأنت أحب بقاع الأرض إلىّ ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت**»، إنه يوم التحول فى تاريخ الإسلام إنه يوم الامتحان الأكبر والابتلاء الأعظم لأفضل مخلوق يوم أن تدارك المولى الرحيم رسوله الكريم فأنزل عليه فى هجرته: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ**﴾ (سورة محمد آية ١٣) إنها هجرة خالصة لله والحق، لا حظَّ فيها ولا غرض ولا دنيا ولا متاع لقد حقق رسول الله ﷺ وصحابته الذين هاجروا وتركوا وطنهم كل معانى التسليم لله والثقة به والاعتماد عليه والعبودية له وحده فنصرهم ووعد كل من سلك سبيلهم بنصره. وإن الاحتفال بذكرى الهجرة يكون بأخذ العظة والعبرة والدروس النافعة التى تنير السبيل لنا نحو كلمة سواء وهدف نبيل وراية واحدة وفهم صحيح لسنن الله فى نصر الحق ومقاومة الباطل مع الاستعانة بالأسباب التى أيد الله بها رسله ونصر بها عباده فعن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رءوسنا فقلت: يارسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا فقال: «**ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**» إن التاريخ فى تجاربه خير معلم وأصدق شاهد فهو يؤكد أن الأمم العظيمة لا تصنعها - عادة - إلا محن عظيمة.

استقبال عام هجرى جديد

د. طه عبدالسلام خضير*

فى هذه الأيام المباركة يشرق على العالم عام هجرى جديد ونحن المسلمون نستقبله بعون الله تعالى مستبشرين متفائلين. آملين خيره مترقبين فيه لشعوب أمتنا المسلمة الفوز العظيم والنصر القريب. نستقبله بعد أن ودعنا عاماً من عمرنا مضى بحلوه ومره، بآماله وآلامه وكذلك تمضى الحياة مسرعة بأيامها ولياليها، بأحداثها وذكرياتها بحركاتها وسكناتها، وذو العقل الراشد واللب المستنير هو الذى يستفيد من التجارب، وينتفع ويتعلم من أحداث الأيام فيصل حاضره بماضيه ويعمل الخير لنفسه ولأهله، ولذريته ولبنى وطنه ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: الآية ١١٥)

نحن إذا ما استقبلنا عامنا الهجرى الجديد ذكرنا من تاريخ الإسلام المجد فى علاه والعز فى ثناه والفوز فى ذروته والنصر فى قمته والتضحية المثلى فى سبيل المبادئ العليا.

وذكرنا من تاريخ الرسول العظيم الصبر والمصابرة والجد والمثابرة لبلوغ الهدف الأسمى، والآمال العظام وذكرنا من أفضاله على البشرية، تحقيق العزة والكرامة لبنى الإنسان ورفع لواء الجهاد خفاقًا، حتى علت كلمة الحق والدين.

لقد كان فى استطاعة رسول الله ﷺ أن يعيش هنىء البال هادئ الخاطر، يتمتع بحياة عريضة وبمال وفير وسلطان على أم القرى ومن حولها؛ فلقد عُرض عليه ذلك بسخاء ولكن كيف يرضى بهذه الأغراض الفانية، وهو صاحب الرسالة العظمى التى تستهدف خير الإنسانية وعز الأنام.

وإذًا فلابد أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه ويحتمل فى سبيل ذلك ما لا يطيقه سواه، حتى تستنير القلوب والبصائر بنور الله وتسير على ضوئه وسناه، وتصل

* أستاذ بجامعة الأزهر.

كانت الهجرة النبوية نقطة تحول فى نظام البشرية نضرت وجه الأرض بما أحدثت من نظام كامل وعدل شامل

الإنسانية المعذبة إلى الغاية السامية التى خلقت من أجلها من حرية وإخاء فلا تخضع إلا لله ولا تعبد إلا إياه. وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

ولقد سار رسول الله ﷺ إلى غايته، يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة فمنهم من هدى الله فاستجاب، وكثير حق عليه الضلالة فكابر وعاند، أولئك الذين تعلقوا بزخرف الحياة، وزائف السلطان والجاه؛ لقد اتهموا صاحب الرسالة ﷺ بألوان الكذب والافتراء تارة وبالسحر والكهانة تارة وبالسفه والجنون تارة أخرى، والعجيب حقّا أنهم يعتقدون فى قرارة أنفسهم وفى أعماق قلوبهم أنه الصادق الأمين وصدق الله العظيم: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ (الأنعام: الآية ٣٣).

لقد صبر الرسول ﷺ وصبر أصحابه على إيذاء قومهم، يتحملون الكثير والكثير راضين محتسبين ثابتين على ما هم عليه من الحق والدين واثقين فى وعد الله، وأن الفوز فى النهاية لابد أن يكون للمؤمنين الصادقين وأن الخزى والهزيمة ستكون من نصيب الكافرين المعاندين : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِى الأَذَلِّينَ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ**﴾ (المجادلة: الآيتان ٢٠، ٢١).

لقد كبر على المشركين أن يروا ركب الإيمان يتقدم بخطى ثابتة إلى وجهته فى أمان وسلام؛ فأخذوا يضعون أمامه كل عقبة ويسدون فى وجهه كل سبيل ويقعدون فى طريقه كل مقعد. يريدون بذلك محاربة الدعوة بشتى الطرق فلما أعيتهم الحيل تآمروا على صاحب الدعوة. يريدون القضاء عليه وعلى دعوته وذلك فيما يزعمون إما بحبسه أو قتله أو نفيه. والله من ورائهم محيط لا يهدى كيد الخائنين، ولا يصلح عمل المفسدين.

لقد أخبر رسوله بما دبروا وفكروا، وأمره أن يهاجر من هذه البلد إلى حيث التربة الصالحة النقية للدعوة: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ (الأنفال: الآية ٣٠)، وفى هذه الليلة التى تجمع فيها شياطين الكفر والضلال حول دار محمد ﷺ ليقتلوه تنفيذاً لمؤامرتهم، ورغم إحكام خطتهم نجاه الله من شرهم وعصمه من كيدهم فخرج من داره إلى حيث يريد تحرسه عناية الله، بل لقد تحداهم ونثر على رؤوسهم التراب وهم لا يشعرون وأرسل الصبح ضياءه فإذا الفريسة قد أفلتت من أيديهم فانطلقوا فى جنون يجوبون الصحراء ويستنطقون الرمال ومضارب الجبال أنباء ذلك الذى خرج مهاجراً فى سبيل الله وعند غار ثور انتهت آثار الأقدام حينئذ أحدقوا بالغار وفكروا فى اقتحامه. وأحس الصديق وقع أقدامهم، فانتابه حزن شديد، فيهمس فى أذن النبى ﷺ: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا. يا رسول الله: إن قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد. وإن قتلت أنت

هلكت الأمة. موقف عصيب ينخلع له قلب الشجاع. ولكن الرسول العظيم يظل ثابت الجنان قوى الإيمان يضفى على صاحبه الصديق من ثباته ثباتًا ومن إيمانه إيمانًا فيقول: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا**».

تواريا بجناح الله واستترا
ومن يضم جناح الله لا يضم
عناية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم
ولقد صرفهم الله عن الغار ومن فيه
فارتدوا خائبين مدحورين
فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم
كباطل من فلول الشرك منهزم

يصور القرآن الكريم ذلك الموقف فيقول: **﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (التوبة: الآية ٤٠).

واستقبلت المدينة صاحب الدعوة فى فرح لم تشهد مثله من قبل. وفى هذا الجو الصالح النقى أخذت الدعوة طريقها إلى الانتشار والانتصار وتكونت الأمة المؤمنة المجاهدة والدولة المتآلفة الواحدة.

الدروس المستفادة من الهجرة النبوية

لقد كانت الهجرة النبوية نقطة تحول فى نظام البشرية، وتاريخ الإنسانية، نضرت وجه الأرض وغيرت مجرى الحياة، بما أحدثت من نظام كامل وعدل شامل، أعز الله بها المسلمين وقوى شوكتهم، ونفخ فيهم من روحه وقذف فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا. لقد ارتفعت بها راية الإسلام وعز جانبه وبفضلها دام سلطان المسلمين فى الأرض، وانتظمت حياتهم وقوى بأسهم، واشتد ساعدهم وتألق فى الوجود مكانهم، وأدى صاحب الرسالة مهمته مبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرًا، ومشرعًا حكيمًا وقائدًا عظيمًا، وانتقلت الدعوه الإسلامية من ضيق الحياة إلى سعتها، ومن قسوة الظلم وأهله إلى حيث تتنسم عبير الحياة والحرية، فتم البناء ووضع الدستور وقامت خير أمة أخرجت للناس، وألقت الهجرة النبوية على العالم دروسًا نافعة، وحققت نتائج باهرة وحبذا لو وقف المسلمون على هذه النتائج وانتفعوا بما فيها من دروس وعظات.

وأهم هذه الدروس:

أولاً: أن الهجرة علمتنا أن دين المرء أعز عليه من الدنيا وما فيها وأن عقيدته أحب إليه وأغلى عنده من زوجه وولده وماله ووطنه؛ فلقد خرج المسلمون من مكة مهاجرين إلى المدينة، يتحملون المشاق والصعاب تاركين وراءهم كل ما يحبون ويمتلكون من أجل الله ورسوله.

ثانيًا: التضحية بالمهج والأرواح فى سبيل سلامة العقيدة وإعلاء كلمه الحق والدين. لقد ضحى على كرم الله وجهه بحياته وروحه ليلة الهجرة حين بات موضع النبى ﷺ وفى فراشه وتسجى ببردته وهو يعلم أن الموت ينتظره على أيدى المسلحين المتربصين حول الدار، وقد خير الصحابى الجليل أبو سلمة وكان فى طريقه مهاجرًا مع زوجته وطفله إلى المدينة قال له المشركون: إما أن ترجع ومعك زوجك وطفلك إلى مكة وإما أن تمضى إلى المدينة أو إلى حيث تريد وحدك. فآثر الهجرة لله ورسوله وترك زوجته وطفله فى أيدى أقاربه من المشركين. ولقد انتزع الجبابرة قساة القلوب الطفل من بين أحضان أمه حتى تبقى وحيدة حزينة محرومة من زوجها وطفلها. وما أثّر ذلك والله فى عزيمتها ولا تغير قلبها ولا ضعف إيمانها. لقد آثروا الله على أنفسهم، وقدموه على كل غال ونفيس، حتى ولو كان الآباء والأبناء والأهل والأقربين والأموال والأوطان. ولقد شهد الله لهم بأنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق وأبعدوا عن أوطانهم مظلومين راضين طمعًا فى فضل الله ورضوانه ورغبة فى نصر دينه ورسوله: **﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾** (الحشر: الآية ٨).

ثالثًا: من الدروس المستفادة : الصبر على الأذى والثبات عند الشدائد والملمات . فلقد صبر الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه فى الشدة القاسية والمحنة العاتية والخطب الجسيم، أوذوا فى دينهم أيما إيذاء وعذبوا أشد ما يكون التعذيب. فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا . متمثلين قول القائل:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما أن قادت الآمال إلا لصابر

رابعًا: أن المسلم لا يرهبه تهديد ولا يخيفه وعيد. فلا يستسلم لليأس مهما ضاقت أمامه السبل، وأحاطت به الخطوب؛ فإن أرض الله واسعة، وعليه إذا ما ضاقت به الأرض. أن ينتقل إلى أرض خير منها **﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الأرض مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** (النساء: الآية ١٠٠).

خامسًا: لابد للحق من قوة تحرسه. وجنود مخلصين صادقين. يثبتون دعائمه، ويوطدون أركانه، ويذودون عن حماه **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** (الحج: الآية ٤٠).

سادسًا: أن الباطل وإن ظهر متألقًا والظلم وإن بدا قويًا فإنه تألق كاذب وقوة زائفة. ولا بد للحق أن يسطع نوره ويرتفع علمه، وينتصر أهله، فإن وعد الله لا يتخلف: **﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾**(الأنبياء: الآية ١٨)، ولقد صدق الله المؤمنين وعده فأكرم سعيهم، وبارك هجرتهم، حتى حققت أطيب النتائج وأعظم الثمرات. أقام رسول الله ﷺ دولة الإسلام على المبادئ الفاضلة، والمثل الكريمة ناشرًا فى ربوعها الأمن والاستقرار والرفاهية والرخاء. وصنع حضارة امتدت جوانبها وقاد طلائعها ركب الإنسانية وعبدوا له الطريق وأناروا له وجه الحياة ومكنوا له فى هذه الأرض. **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ أن اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** (الحج: الآية ٤٠).

وبعد فيا إخوة الإسلام: لقد غيرت الهجرة بحق مجرى التاريخ فانطلقت القوة المؤمنة والطاقات المخلصة تبنى وتشيد مجد العروبة والإسلام، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا.

وكان للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار الأثر البالغ فى رفع راية العروبة، وإعلاء كلمة الإسلام وتوثيق الروابط بين المسلمين، بل لقد أصبحت المدينة تزاحم مكة فى المفاخر والمآثر، وتنافسها فى المناقب والمكرمات، فلئن كانت شمس الإسلام قد بزغ نورها فى مكة، فقد سطع ضوؤها فى المدينة، وإذا كانت مكة قد شرفت بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صارت المدينة دار مقامه ومثواه.

كان للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار الأثر البالغ فى رفع راية العروبة وإعلاء كلمة الإسلام

وجدير بالمسلمين أن يتدبروا أحداث الهجرة وأن يأخذوا منها العبرة وأن يعلموا أن الحق لا يسود إلا بثمن، وأن المجد لا ينال إلا بالتضحية وأن النصر لا يتحقق إلا بالجهاد والكفاح.

وصدق الله رسوله وعده فبعد حين من الزمن دخل مكة نهارًا بعد أن خرج ليلاً ودخلها فى جيش يزيد على عشرة آلاف. بعد أن خرج منها ليس معه سوى صاحبه الصديق، ودخلها والكل يرجون عفوه وصفحه بعد أن خرج منها والكل يضمرون الكيد له والأذى **﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ• إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ• وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾** (الصافات: الآيتان ١٧١- ١٧٣).

وبعد فيا إخوة الإسلام استقبلوا عامكم الجديد المبارك بقلوب ملؤها حب الخير لكم وللناس وبنفوس ملؤها العزم والتصميم على نصرة الإسلام والمسلمين.

دروس من الهجـــرة المباركـــة

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

كانت الهجرة فاتحة خير على الإسلام والمسلمين، عرف ذلك سيدنا عمر. رضى الله عنه وأرضاه. فقدرها حق قدرها، حينما ألهمه الله تعالى أن يجعلها بداية للتأريخ الإسلامى، لتظل ذكراها متجددة فى وجدان المسلم كلما استدار الزمان عاما تلو عام، فنحيا أحداثها، ونعتبر بعبرها، وننهل من ينابيع حكمتها التى لا تنفد، ونستفيد من منهجها القويم، الذى لم يترك أمرا صغيرا أو كبيرا إلا وتم أخذه فى الاعتبار.

د. محمد فتحى فرج*

وأجزم أننا لو أخذنا بهذا المنهج فى كل أمور حياتنا ـ حتى فى المنافسات الرياضية ـ لكان النصر حليفنا، والنجاح والفلاح من نصيبنا. وكلما أهلَّ علينا شهر المحرم من كل عام، تداعى إلى الذاكرة ما بدأه المسلمون الأوائل، من جهاد وتضحيات استحقت مدح الله تعالى وتقريظه لهم فى كثير من آى القرآن الكريم، وتراودنا آمال استكمال ما بدأه الأسلاف العظام، ليسمُق بناء هذه الأمة وتعلو راية الإسلام، عالية خفاقة، راجين من الله تعالى ما منَّ به على المهاجرين السابقين الأُوَل ـ رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين ـ.

الهجرة والميلاد الحقيقى للإسلام

وردت مادة "هجر" ومشتقاتها فى القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة، وقد جاءت معظمها فى سياق المدح للمهاجرين والمهاجرات، أو الحث على الهجرة إلى حيث الرزق والسعة والعيش الكريم، حينما يُوَاجَهُ المرءُ بالتضييق، وقد ورد هذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (النساء: الآية ١٠٠).

* باحث أكاديمى

لم ييأس النبى ﷺ ولم يحل بينه وبين غاياته النبيلة وأهدافه الشريفة ما لاقاه من عنت وما صادفه من هوان

والواقع أن فكرة الهجرة قد راودت النبى ﷺ منذ البواكير الأولى للوحى، أى منذ ميلاد الإسلام، حينما جاء إلى أم المؤمنين خديجة ـ رضى الله عنها ـ يرجف فؤاده، عقب أول وحى أوحى إليه، فانطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وبعد أن سمع منه ورقة ما حدث له ﷺ بشره قائلا له: هذا هو الناموس الذى أنزل على موسى، يا ليتنى فيها جذعا، ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «**أوَ مُخْرِجِى هم؟**» قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزراً.

وبعد أن قضى الله تعالى بالهجرة، هذا الحدث الفذ فى تاريخ الإسلام والمسلمين، وقام به النبى وصحبه على خير وجه، وعرفنا من نتائجه ما عرفنا، ينبغى علينا أن نتوقف عنده لنستنبط منه العِبَر والدروس، ونتخذ منه دافعا لإصلاح الضمائر والنفوس، ومعينا لنا فى حياتنا أفرادا وجماعات.

لا يأس مع الإصرار فى تحقيق الأهداف

تحمل النبى ﷺ فى سبيل نشر دعوة الحق ما لا يتحمله بشر، وبعد أن فاض الكيْل، وضاق به وبأصحابه رضوان الله عليهم الاحتمال، حتى لم يعودوا يستطيعون البقاء بمكة من فرط ما تعرضوا لأذى أهلها وحصارها لهم، ولم يعد أمامهم إلا رحمة الله التى وسعت كل شىء، وإيمانهم بالله الذى رخص من أجله أى شىء من أعراض الدنيا!

لم ييأس النبى ﷺ ولم يَحُلْ بينه وبين غاياته النبيلة وأهدافه الشريفة ما لاقاه من عنت، وما صادفه من هوان، وما مر به وصحبه من شدائد وأهوال، فصبر وصابر حتى أذن الله بالفرج عن طريق الهجرة المباركة. ثم انقلبت الأمور كلها من النقيض إلى النقيض، وتحولت كل الأحداث المريرة التى صادفها النبى وصحبه إلى مواطن قوة وبأس، فكان بمثابة الطعم الذى يُكْسِبُ المَنَعَة والقوة فى مواجهة الأحداث الجسام، وحقا قيل: "إن كل ما لا يقتل يقوى". وهذا من أعظم الدروس لكل من ينهض برسالة أو يتغيا غاية نبيلة. وفى ذلك يقول عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين: صدع الرسول ﷺ بما أمره الله به، وأدى مهمته كأحسن ما يكون أداء المهمات، لم يقصرِّ ولم يفتر ولم ييأس، حتى أذن الله له فى الهجرة، فهاجر بعد أن أعفى نفسه من كل تبعة، وأدى حق الله، وحق قومه عليه، وبر بهم، فلم يلق منهم إلا جحودا وعقوقا، ولم يؤمن له منهم إلا القليل(١)!

كانت الهجرة ـ بحق ـ فاتحة خير على الإسلام والمسلمين، فقد مكن الله بها للمسلمين فى الأرض، واستطاعوا أن يحملوا عبء الرسالة الخاتمة، وأن ينشروا نورها فى ربوع المعمورة، شرقا وغربا، فما هى إلا بضع سنوات، حتى انتشر نور الحق، ليبدد دياجير الشرك، وظلام الجهل والتعنت والغرور، ولذلك جاء التعبير القرآنى واضحا رغم إيجازه الشديد، حيث يقول رب العزة ـ جل جلاله: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (الأنفال: الآية ٢٦).

حب الأوطان من تمام الايمان

حين أذن الله لنبيه الكريم بالهجرة امتثل لأمره تعالى كما ذكرنا آنفا، على الرغم من أن مكة كانت أحب بلاد الله إلى قلبه ونفسه، حيث يقول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «**والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأكرمها على الله تعالى، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت**».

وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

وهذا حديث لأم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهى مَنْ هى، فقها وعلما وبلاغة، تقول: «لولا الهجرة لسكنتُ مكة، فإنى لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة، ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة، ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة». أما عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه فيُعبر عن حبه لوطنه مكة بقوله:

يا حبذا مكة من وادى
أرض بها أهلى وعوادى
أرض بها ترسخ أوتادى
أرض بها أمشى بلا هادى

إنه ـ بلا شك ـ حب الوطن، وملاعب الطفولة ومدارج الصبا، فضلا عن كون مكة البلد الأمين، التى وصفها رسولنا الكريم بأنها «**أحب بلاد الله إلى الله**» ؛ ومن ثم فلم يكن سهلا على رسول الله ﷺ أن يودعها، بيد أن الهجرة أيضا من أمر الله تعالى، فرارا إلى الله بالعقيدة والدين الوليد، مهما كان البذل وكانت التضحيات، ولا يعلم الخير إلا رب الخير، الله تعالى الذى أحاط بكل شىء علما. فالهجرة ـ فوق أنها الملاذ من الاستضعاف ـ كانت الخطوة الأولى نحو العزة والنصر، حيث كان المسلمون مستضعفين، على كل المستويات، فتجمعوا بعد تفرق، ومن هذا الجمع المتميز استمدوا كيانهم الاجتماعى والاقتصادى والنفسى، فإذا هذه الأشتات الضعيفة قوة تندفع إلى الأمام نحو التماسك والنصر ؛ ولذلك نستطيع أن نفهم لماذا تأخرت فريضة الجهاد حتى بعد الهجرة. لقد كانت الهجرة ولا تزال وستظل درسا رائدا ومعلما لكل أصحاب الشجاعة والفدائية والاستبسال، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولقد تألقت على صفحاتها المشرقة بطولات رائدة، وتجلى الإيمان حتى ساد الموقف كله، واختفت كل مشاعر الضعف من القوم، ثم كانت تلك المغامرة المثيرة التى لم يعرف لها التاريخ نظيرا، رجاء فى الفرار إلى الله تعالى(٢).

الهجرة تكشف عن معادن الرجال

حينما شرع النبى ﷺ بالهجرة إلى يثرب (المدينة بعد الهجرة) اختار أبا بكر ليصحبه فى هذه الرحلة المباركة، وقد أمر أصحابه أن يهاجروا إليها، فقد كانت حاجة الدعوة فى المدينة إلى الرجال أشد من حاجتها إلى المال والعتاد والسلاح ؛ ولذلك فقد كان المهاجرون أول الناس إيمانا، وهم أول الناس إسلاما لله تعالى ولرسوله ﷺ، فرح بهم رسول الله، ودعا لهم وفرح بهم الله تعالى، وسماهم «السابقين» حيث قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ● أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ (الواقعة: الآيتان ١٠، ١١)؛ ولذلك كان الله تعالى كفيلا للمهاجرين وحسيبا لهم، فقد كفل الله سبحانه وتعالى محمدا ـ عبده ورسوله ـ وصحبه، ونصرهم على أعدائهم من أهل مكة فى ذلك اليوم، ولقد خرج المشركون وكل قلوبهم حقدا وحسدا ونارا على الإسلام ورسول الإسلام.. الخيل تحتهم كالبرق

اختار النبى ﷺ أبا بكر ليصحبه إلى المدينة فقد كانت حاجة الدعوة إلى الرجال أشد من حاجتها إلى المال والعتاد

تطوى الأرض بحثا عن محمد وصحبه، والسيوف مسلولة خاطفة تريد أن تروى ظمأ حامليها من دماء الإسلام والمهاجر وصاحبه، ووقفوا على الغار، وقال أبو بكر رضي الله عنه لو نظر أحدهم يا رسول الله تحت قدمه لرآنا، فقال له الرسول ﷺ: **«ما تقول فى اثنين الله ثالثهما؟»** وفى ذلك يقول الله تعالى: **﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (التوبة: الآية ٤٠)، وفى ذلك يقول الإمام البوصيرى فى همزيته:

وكفته بنسجها عنكبوت
ما كفته الحمامة الحصداءُ
واختفى منهم على قرب
مرآه ومن شدة الظهورالخفاء

وهؤلاء هم أهل يثرب من الأنصار قد أعدوا أنفسهم وأهلهم ونساءهم، كلٌ قد خرج ليرى نور الله قادما إليهم، يهديهم السبيل وينصر كلمتهم ويجمع شملهم، وكل قد أعد ماله وداره وطعامه ليكون لرسول الله وأصحابه، ورفع الله من قلوبهم الأثرة وحب النفس، وأبدلهم بهما الإيثار وحب الله ورسوله ومهاجريه ؛ وبهذا كان الإعداد من أهل يثرب للقاء رسول الله، ودخل رسول الله ﷺ فى موكب النور والهدى، وفرح الرسول بهم لما وجد من صدقهم وإيمانهم وحبهم لله ولرسوله، وإكرامهم لإخوانهم(٣)، حتى وصفهم الله تعالى بقوله: **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** (الحشر: الآية ٩).

الإعداد والتخطيط والكتمان

وصف أحد كتابنا الكبار إعداد النبى ﷺ وتخطيطه المُحكم لهذا الحدث الجليل، فقال: اتصل بمحمد نبأ ما بيتت قريش لقتله مخافة هجرته إلى المدينة واعتزازه بها، وما قد يجر ذلك على مكة من أذى، وعلى تجارتها مع الشام من بوار، ولم يكن أحد يشك فى أن محمدا سينتهز الفرصة فيهاجر. على أن ما أحاط به نفسه من كتمان لم يجعل لأحد إلى سره سبيلا، حتى أبو بكر، الذى أعد راحلتين منذ استأذن النبى فى الهجرة فاستمهله، قد بقى لا يعرف من الأمر إلا قليلا. ولقد ظل محمد بمكة حتى علم من أمر قريش ما علم، وحتى لم يبق من المسلمين بها إلا القليل. وإنه لينتظر أمر ربه إذ أوحى إليه أن يهاجر، هنالك ذهب إلى بيت أبى بكر وأخبره بأن الله أذن له فى الهجرة ؛ وطلب الصديق أن يصحبه فى هجرته فأجابه إلى ما طلب... لذلك اعتزم محمد ﷺ أن يسلك طرقا غير مألوفة، وأن يخرج إلى سفره فى وقت كذلك غير مألوف.. وفى تلك الليلة أمر محمد ابن عمه على بن أبى طالب أن يتسجى بُرده الحضرَمىّ الأخضر، وأن ينام فى فراشه، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس. وجعل هؤلاء الفتية، الذين كانوا يحاصرون داره فى الليل مخافة أن يفر ليقتلوه، جعلوا ينظرون من فرجة إلى مكان نوم النبى، فيرون فى الفراش رجلا فتطمئن نفوسهم إلى أنه لم يفر، فلما كان الثلث الأخير من الليل خرج محمد ﷺ فى غفلة منهم إلى دار أبى بكر، وخرج الرجلان من خوخة فى ظهرها، وانطلقا جنوبا إلى غار ثور، فاتجاههم إلى اليمن لم يكن مما يرد بالبال... وأقاما بالغار ثلاثة أيام، كانت قريش تَجِدُّ

واصل الرسول ﷺ العمل الدءوب والتخطيط الحكيم فى دار الهجرة بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فكانت أول لبنة فى بناء القوة

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

فى طلبهما غير وانية. وكيف لا تفعل وهى ترى الخطر محدقا بها إن هى لم تدرك محمد ﷺ، ولم تحُل بينه وبين يثرب(٤)! ثم كان ما كان مما أوضحناه آنفا، من تأييد الله لنبيه ونصره له، بجنود من عنده، حتى تمت هجرته ﷺ، فكانت فاتحة خير على الإسلام والمسلمين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول الأستاذ الجبالى: ونحب أن نقف قليلا عند غار ثور، فهو غار يقع فى مكان وعر شديد الارتفاع من جبل ثور، يصعب الوصول إليه من الأشداء الأقوياء إلى يومنا هذا، فكيف يصل إليه رسول الله ﷺ وقد تجاوزت سنه الخمسين عاما، وكيف وصل إليه صاحبه الذى تقارب سنه سن رسول الله ﷺ؟ ثم أى جهد كان يبذله عبد الله بن أبى بكر حين كان يأتيهما بأخبار مكة ليلا، بعد أن يجلس فى نواديهم نهارا؟ وأى جهد كانت تبذله أسماء بنت أبى بكر حين كانت تأتيهما بالزاد والماء كل يوم؟ وأى جهد كان يبذله غلام أبى بكر الذى كان يأتى بالغنم آخر النهار ويمشى بها فوق الآثار التى تركتها أقدام عبد الله بن أبى بكر وأخته أسماء ذهابا وإيابا حتى تزول آثار هذه الأقدام، وبذلك لا يستطيع الباحثون معرفة الغار ولا الاهتداء إليه! إنه جهد يستحق الوقوف عنده، ومشقة تستحق التفكير فيها، فضلا عن أن ذلك كله كان حكمة فى التفكير، وقوة فى التدبير، ووعيا كاملا بما يجب أن يكون عليه العمل الناجح فى عظائم الأمور ودقائق الأحوال(٥).

وقد واصل الرسول ﷺ العمل الدءوب، والتخطيط الحكيم فى دار الهجرة بالمدينة، حيث بدأه بالمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، التى كانت أول لبنة فى بناء القوة التى وضعها النبى، ﷺ، فى بناء الأمة، ثم شرع ﷺ فى بناء المسجد، شعار المسلمين وجامعتهم، التى تلقوا فيها عنه قواعد الدين والعلم والأدب الرفيع، وأسس بناء الأمة المسلمة القوية. فيا لها من دروس وعبر، إذا أخذ بها المسلمون بها أخذوا بحظ وافر فى الدنيا والآخرة.

الهوامش والتعليقات:

١ ـ د. طه حسين (١٩٥٩). مرآة الإسلام. دار المعارف بمصر. ص٦١.

٢ ـ توفيق محمد سبع (١٩٧٣). أضواء على الهجرة سلسلة مجمع البحوث الإسلامية. العدد الحادى والستون. القاهرة. ص٣٥٩.

٣ ـ أحمد عبد المحسن الشناوى (١٩٧٠). الهجرة والتاريخ. منبر الإسلام، عدد المحرم سنة؟؟؟. ص١٦١.

٤ ـ د. محمد حسين هيكل (٢٠٠٠). حياة محمد. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص٢٢٤.

٥ ـ فؤاد الجبالى (١٩٨٤). فى رحاب الهجرة. مقال فى «منار الإسلام» العدد الأول السنة العاشرة. ص٦٣.

الهجرة فى فكر الشيخ شلتوت

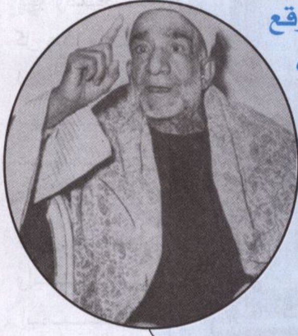

لذكرى الهجرة النبوية طعمها ومذاقها الخاص ؛ لأن فعل الهجرة وقع بين ميلاد الرسول ﷺ وبين اكتمال نزول الدين وتمام نعمة الله على العباد، لذلك يرى الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق أن ذكرى الهجرة فى الصفحة التاريخية للذكريات الإسلامية كواسطة العقد فى ذكريات المجد والعظمة .. ويرى أن عيد الهجرة يذكرنا فى الوقت نفسه بمبدأ الوجود الدولى للمسلمين، الذين لم يكونوا قبل الهجرة إلا أفراداً مضطهدين معذبين مبعثرين، وصار لهم بالهجرة وضع آخر : صاروا وحدة لها شعارها الخاص ونظامها الخاص، وهدفها الخاص .

د. أمان محمد عبد المؤمن قحيف

ولعل الدافع الأول والرئيس للهجرة يكمن فى اشتداد إيذاء قريش للرسول ﷺ وأصحابه، حيث «أجمعوا أمرهم على منابذة بنى هاشم وبنى عبد المطلب، وإخراجهم من مكة، والتضييق عليهم ليسلموا إليهم محمداً، وكتبوا صحيفة تعاقدوا عليها، هى صحيفة الحصار التموينى، فاحتمل فيها النبى ومن معه الجهد البالغ والبلاء الذى لا حدّ له، ولمَّا أعيتهم الحيل، وأدرك عقلاؤهم أن تلك الصحيفة كانت سوداء فى جبين إنسانيتهم، مزقوها وعادوا إلى أفانين الكيد، فنشروا الأكاذيب والأراجيف عن النبى محمد وصحبه بقصد تشويهه عند غير المكيين، فقالوا: ساحر، كذاب، معلِّم،

* باحث وكاتب إسلامى.

مجنون.. فاحتمل محمد ﷺ وصحبه كل هذا ولم تلن لهم قناة، ولم تهتز لهم عزيمة، بل زادهم ذلك قوة على قوة، وإيماناً على إيمان، وانعكست أسلحتهم الفاسدة إلى نحورهم أسلحة قوية فتاكة، فقد نما بها خبر محمد ﷺ وذاع شأنه فتوجه الناس إليه، ومن هذه النافذة سرت جاذبية الإيمان الحق إلى شباب المدينة فاتصلوا به وبايعوه على الإيمان والموت فى سبيل نصرته ونشر دعوته»(١).

وهكذا يتأكد لدينا أن الله تعالى ينصر الإيمان بالكفر فقريش الرافضة للدين هى التى تسببت فى شيوع اسم الرسول ﷺ على ألسنة القبائل المغايرة لقبائل مكة بما عمدت إليه من إساءات وبذاءات حاولت توجيهها صوب رسول الله ﷺ.. ونقول من جهة أخرى: إن اليهود أسهموا هم أيضًا فى تعريف أهل المدينة بالرسول دون أن يقصدوا ذلك أو يعلموه؛ لأنهم كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج بقولهم: إن نبى آخر الزمان حان وقت ظهوره، وسنتبعه ونقتلكم قتل عاد وإرم، ولعل أقوال اليهود هذه أثارت فضول بعض أهل المدينة فانطلقوا صوب رسول الله بمجرد سماعهم عن ظهوره وسبقوا اليهود إلى بيعته والاتفاق معه والإيمان به.. وهكذا أسهم اليهود بشكل غير مباشر فى إدخال الإسلام إلى المدينة، وصدق الله العظيم القائل: **﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** (الأنفال: الآية ٣٠).. ولا يجب أن يُفهم من هذا أن بعض رجال المدينة سارعوا إلى الإيمان بالدعوة بنية سبق اليهود إلى الرسول فحسب بل لابد أنهم اقتنعوا به عندما سمعوا منه أمر هذا الدين الحنيف، بدليل أنه ﷺ جلس معهم أكثر من مرة وحدثهم كثيراً عن الإسلام ومبادئه السامية وتشريعاته النبيلة.

سرت جاذبية الإيمان الحق إلى شباب المدينة فبايعوا الرسول ﷺ على الإيمان ونصرة الدين ونشر دعوته

الثلة المباركة

وعن الثلة المباركة التى أسهمت ببذل جهد كبير فى هجرة رسول الله ﷺ يقول الشيخ شلتوت: «أبو بكر مُعِد الراحلة، وصاحبه فى الغار، وباذل ماله ونفسه. وعلى الفدائى الأول الذى تسجى ببردة الرسول، مفترشًا سريره. وعبد الله بن أبى بكر، صاحب المخابرات المكية، وتدبير القوم ضد الرسول. وأخته ذات النطاقين أسماء صاحبة التموين. وعامر ابن فهيرة مطعم اللحم واللبن فى الغار، ومخفى الأثر بالغنم التى كان يرعاها لأبى بكر. وانطلقت الرحلة المباركة يدعمها هذا الرهط القليل الذى فوض أمره إلى الله تعالى سائلاً إياه التوفيق.. لكن قريشًا لم تتوان فى رصد المكافآت السخية لمن

يحضر محمدًا حيًا أو ميتًا، ولكن هيهات هيهات أن ينال البشر ممن هو فى رعاية الله وحفظه.

ويُلفت الإمام شلتوت نظرنا إلى أن هناك هجرة أشمل من تلكم الهجرة كانت قد حدثت ووقعت قبلها، ألا وهى «هجرة القلوب عما كان عليه القوم من عقائد فاسدة، وشرائع باطلة، وعادات وتقاليد، كان لها فى هدم الإنسانية ما ليس للمعاول القوية وأصحابه بقلوبهم قبل أن يهاجروا بأبدانهم، هاجروا من يوم أن بعثه الله بالحق بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا.. هاجروا إلى التوحيد البرىء، والإخلاص النقى، والإنابة الحقة، والتوكل الصحيح، ومحبة الخير للخير، هاجروا إلى هذه التعاليم السامية التى نهضت بالإنسانية من كبوتها، ورفعتها من حضيض هوت إليه فى جاهليتها، وذكَّرتها بأنها ما خُلقت عبثًا ولا باطلاً، ولا لتفسد فى الأرض أو تسفك الدماء، ولا ليستعبد قويها ضعيفها، ذكَّرتها بأنها ما خُلقت إلا لتكون خليفة عن الله رب العالمين، تسبح بحمده، وتقدس له، وتعمل صالحًا، حتى تسمو بالعالم إلى ما يمكن أن يصل إليه من درجات الرشد وأطوار الكمال»(٢).

وعن أسباب الهجرة يوضح الإمام أن الرسول ﷺ وصحبه هاجروا لعدة أسباب منها:

أولاً: إنه - وصحبه - ما هاجروا لشىء «سوى أنه الحق الذى شرح الصدور، واستولى على الحواس والأفئدة، وامتزج بالدماء والأرواح، فامتلأت النفوس غيرة عليه، وأخذت تتلمس وسائل حفظه ونشره والعمل بمقتضاه، لإسعاد الإنسانية به، رأى هذا النفر القليل أن سعادة العالم معقودة بإدراك تلك اللذة الروحية التى سرت إليهم من دعوة هذا النبى الكريم، ورأوا أن مكة - وقد تألب أهلها عليهم... وقعدوا لهم فى كل مرصد وتجسسوا عليهم من كل نافذة - لم تعد دار أمن وطمأنينة يتسع لهم فيها مجال العمل، ويتمكنون فيها من تلبية الإيمان والقيام بحقه»(٣).

ثانيًا: «رأوا أن غايتهم التى لها يعملون تنحصر فى توحيد الله والدعوة إليه، وإقرار السلم والعدل فى خلقه، وأنه سبحانه يعبد فى كل مكان، وتنشر دعوته فى كل مكان، وينبعث نور هديه من كل مكان، وليس مكة وحدها هى منبع ذلك الخير»(٤).

ثالثًا: «رأوا أن الأرض منها خبيث جدب، لا يقبل البذر الطيب ولا ينبت النبات الحسن، ومنها طيب خصب يتشرب ماءه ويمد بذره بقوى الإنبات، ثم لا يزال به ينميه ويقويه حتى يؤتى أكله وينضج ثمره: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ (الأعراف: الآية ٥٨)(٥).

هجرة المسلمين الأوائل سببها انشراح الصدر وامتلاء النفوس بالإيمان الذى امتزج بالدماء والأرواح

رابعًا: «رأوا أن جبال مكة وهضابها لن تمنع أريج الدعوة التى آمنوا بها، واستعذبوا العذاب والموت فى سبيلها، من أن يسرى وينتشر ويحمله الجلال والجمال حتى ينزل من المدينة، وهم بمكة مقيمون: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ• رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور: الآيتان ٣٦، ٣٧)(٦).

خامسًا: «رأوا أن هؤلاء الرجال يقتحمون العقبة بإيمان قوى وحب عميق، ويمدون إليهم يد البيعة: نريد الوفاء والصدق، وبذل المهج دون الرسول، فخذ لنفسك ولربك بما أحببت. رأوا أن سبب النصر بهذا قد تهيأ، وسبيل العمل على العزة قد تمهد، فلم يجدوا بدًا من التمسك بهذا السبب، فاتجهوا إلى مدينة الأنصار، وتم لهم بفضل الله ما أرادوا»(٧).

فى المدينة المنورة

ووصل رهط رسول الله ﷺ إلى يثرب التى ابتهج معظم أهلها أيما ابتهاج بقدوم رسول الله إلى ديارهم، وتمت الهجرة واستقر محمد فى المدينة، وآخى بين المهاجرين والأنصار، حتى جرت بينهم أنهار السخاء والإيثار، ثم رتب شأنه ورسم خطته، خطة تطهير بيت الله من عبادة غير الله، خطة إنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين تركهم فى مكة تصب عليهم ألوان العذاب ولا يملكون سوى أن يقولوا: ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾ (النساء: الآية ٧٥)(٨).

وفى المدينة المنورة توطدت أركان الإسلام والمسلمين يومًا بعد يوم، وأصبح للمسلمين وطنهم الذى يعرف الناس أنهم يعيشون فيه ويقطنون به.. وفى المدينة تم التأسيس لأول مجتمع إسلامى يعرفه التاريخ الإنسانى ويدرك ملامحه . وكان من أهم خصائص هذا المجتمع:

أولاً: التعاون فيما بين أفراده جميعًا؛ التعاون سواء بين المسلمين وبعضهم البعض أم بين المسلمين وغيرهم ؛ حيث فتح المسلمون قلوبهم وعقولهم - بتوجيه من رسول الله ﷺ باتجاه التعاون، من أجل خلق وإيجاد نوع من التآخى بين كل من يقطن المدينة المنورة أو يعيش فى رحابها .

ثانيًا: التسامح بين جميع العناصر والفئات والمذاهب التى يتكون منها مجتمع المدينة، ولقد بدا ذلك واضحاً جليا فى الوثيقة التى منحها الرسول ﷺ لليهود، حيث جاء فيها عبارة خلدها الدهر ونتباهى نحن المسلمين الآن بها، لقد جاء فى الوثيقة: «إن اليهود لهم ما لنا وعليهم ما علينا» والحق أنه تتراجع أمام هذا النص كل المواثيق التى وضعت فى سياق الحديث عن حقوق الإنسان، وتتضاءل أمامها كل دعاوى المواطنة التى نتحدث عنها فى العصر الراهن.. والأروع من كتابة تلكم العبارة فى الوثيقة هو تطبيقها، فهى لم تكن شعاراً للاستهلاك الإعلامى، ولا لافتة لتجميل نظم حكم معينة، بل كانت رؤية حية متجسدة ممارسةً وتطبيقًا على أرض الواقع المعاش.

نتائج الهجرة

وللهجرة عند الشيخ شلتوت نتائجها الطيبة لا على المسلمين فحسب، بل على الإنسانية كلها؛ حيث يقول فى هذا السياق: «وهكذا تمت الهجرة، وكانت بخيرها وآثارها بردًا على الإنسانية، أخرجتها من ظلمتها، وأنقذتها من وهدتها، وهَدتها من حيرتها، ودفعتها إلى طريق الخير والصلاح .. أُسست بها دولة قوية على مبادئ الأخوة فى الله، والتضامن الإنسانى العام، ثم تتابعت عليها التشريعات الإلهية بما يُسعد الفرد والجماعة فى علاقتهم بربهم وعلاقة بعضهم ببعض. وأخذت على كاهلها بحكم الله تطهير الأرض من عبادة غير الله، ومحاربة

الظلم والظالمين أينما حلّوا وكيفما كانوا.. ثم امتدت إلى أرض الفرس والروم، وأصبح سلطان الأرض فى قبضة الموحدين لسلطان السماء،

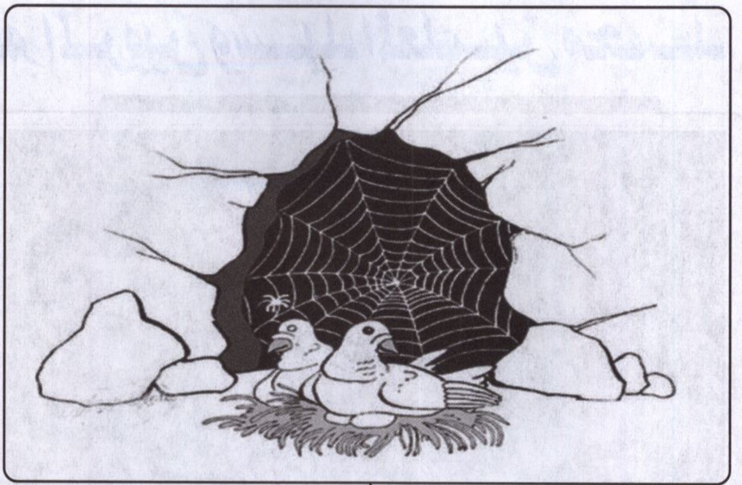

وبذلك تحقق وعد الله لعباده الموفين بعهودهم، البارين بإيمانهم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: الآية ٥٥)(٩).

وهكذا فقد رأى الشيخ شلتوت أن الهجرة كانت نقلة كبيرة للإسلام والمسلمين.. وحول ما هو مطلوب منا نحن فى هذا الزمان يقول الشيخ: «يجدر بنا أن ننظر فى مطلع كل عام هجرى إلى هذه الصفحات لنعلم أن السبب فى نجاح آبائنا، وقوة أسلافنا، يرجع إلى أن قلوبهم قد هاجرت من الرذيلة إلى الفضيلة، ومن الباطل إلى الحق، وأنهم آمنوا بفكرتهم، وصدقوا فى دعوتهم وجاهدوا فى سبيلها لله وفى الله، وأن هجرة أبدانهم من مكة إلى المدينة لم تكن فراراً من الاضطهاد، أو ضعفاً فى مقاومة الأهوال، ولا التماساً لمال، ولا طلباً لسلطان، وإنما كانت تلبية لهذه الهجرة القلبية، وعملاً على إقرار الحق، وإزهاق الباطل، متمثلين أمامهم قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: الآية ٢٤).. ما أحوجنا معاشر المسلمين إلى أن تهجر قلوبنا ما هجرته قلوبهم، وأن نطالع هذه الصفحات وأن نذكر هذه العبر، ما أحوجنا إلى الإخلاص فى الدعوة، والصدق فى الكلمة، والصبر على المكاره، لنشق طريق السابقين بعزائم قوية، وهمم عالية، وأخلاق كريمة، وإصغاء لصوت الحق»(١٠).

يحتاج مسلمو اليوم إلى الإخلاص فى الدعوة والصدق فى الكلمة والصبر على المكاره

الهوامش

١ - محمود شلتوت. من توجيهات الإسلام. دار الشروق. القاهرة. الطبعة الثامنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م. ص٤١٤ .

٢ - المصدر نفسه. ص٤٢٠.

٣ - الموضع نفسه .

٤ - الموضع نفسه .

٥ - المصدر نفسه. ص٤٢١ .

٦ - الموضع نفسه .

٧ - الموضع نفسه .

٨ - المصدر نفسه . ص ٤١٦ .

٩ - المصدر نفسه . ص ٤٢٣ .

١٠ - المصدر نفسه . ص ٤٣١، ٤٣٢ .

أعظم المربين وسيد المعلمين محمد ﷺ

د. محمد محمد أبوليلة*

صار النبى الأمى محمداً ﷺ أعظم مربٍ ومعلم فى العالم، وصارت بفضله الأمة الإسلامية رائدة العلوم والمعارف، وبانية حضارة عظيمة ومنظومة أخلاق كاملة.

بعث الله تعالى محمداً ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ والنور واحد والظلمات كثيرة لأن النور مصدره الله الواحد يفيضه تعالى على الرسول وحيا، وعلى العقل إلهاما أو كشفا، والظلمات متعددة بتعدد الأهواء والميول، والنزعات والمطامع، والاختلافات والتوجهات، وأدهى الظلمات وأكثرها شرا؛ ظلمة الجهل، ثم ظلمة الحرص، وظلمة الهوى والأنانية والعصبية والعنصرية والخيانة. غرس النبى ﷺ الأخلاق الفاضلة فى نفوس أتباعه، ودربهم عليها ثلاثة عشر عاما فى مكة، حتى إذا ما ملكوا حريتهم انطلقوا بإرادة ماضية وهمة عالية يتعلمون ويعلمون، ويبنون ويشيدون فى كل مجالات الحياة، فى الداخل وفى الخارج، حرروا أنفسهم من الكفر والشرك، ومن جميع صنوف الرذائل والمعوقات العقلية والنفسية؛ حتى كانوا قدوة بعضهم لبعض؛ ثم قدوة للعالمين. بعثهم النبى ﷺ برسالة الرحمة للناس كافة، يدعون إلى الله على بصيرة، وينشرون الدين دون إكراه أو ظلم، ويدخلون الأوطان هداة لا غزاة ولا جباة. هذه النماذج الإنسانية الفذة التى رباها النبى ﷺ، ونشأها على العلم والتقوى والإخلاص فصارت خير أمة أخرجت للناس؛ لخير الناس جميعا.

تولى رسول الله ﷺ الصحابة بالتكوين والرعاية، وأعدهم إعدادًا كاملا، فوفَّر لهم البيئة الصحية التى يتنفسون فيها، وتشب وتترعرع وتسمو عبقريتهم على أرضها. وهؤلاء الصحابة الذين تولاهم رسول الله ﷺ وتعهدهم أطفالا وشبابًا رجالا ونساءًا، لا يزالون أحياء بآثارهم فى وعى الأمة؛ تتمدد نماذجهم فى الزمان والمكان حتى نهاية الدنيا. لقد رباهم ﷺ على منهج: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ• خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ• اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ• الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ• عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ (العلق : الآيات١ : ٥)، ﴿**وَقُلْ رَبِّ**

* أستاذ بجامعة الأزهر.

أحب الصحابة العدل وقدسوه وعرفوا الحق ورفعوه والتزموا الصدق فى كل قول ومعاملة

زدنى علمًا﴾ (طه: الآية ١١٤). ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: الآية ٩)، ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ (المجادلة: الآية ١١)؛ فتعلموا وتقدموا فى العلم وأحسنوا العمل؛ وكان العمل الموصول بالله عز وجل هو قاعدة انطلاقهم؛ فحملوا راية الإسلام ونقلوا رسالته قولاً وعملاً إلى أجناس الأرض بمنهج: ﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾ (يوسف: الآية ١٠٨)، ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾ (فصلت: الآية ٣٣)، ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ (التوبة: الآية ١٠٥)، ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ (النحل: الآية ١٢٥)، فالعمل فريضة لا يتحقق الإسلام ولا يقوم العمران إلا بها ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (الجمعة: الآية ١٠) فالحياة فى الإسلام مسجد ومتجر وصناعة وعمران ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (هود: الآية ٦١) فكما أن الله خلق الجن والإنس ليعبدوه؛ فعبادتهم تستغرق جميع أعمالهم وأوقاتهم وجوارحهم ما استقامت حياتهم، وصدقت مساعيهم: ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه﴾ (الملك: الآية ١٥) من العبادة والذكر فى المسجد، ومن السعى فى الأرض نحصد الحسنات، ونحصل على الأقوات والضروريات ﴿ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة﴾ (النساء: الآية ١٠٠) ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ (القصص: الآية ٧٧) وفى هذه الآيات حث على العمل، وتحفيز على السعى، ونبذ الخمول والكسل، ﴿فإذا فرغت فانصب • وإلى ربك فارغب﴾ (الشرح: الآيتان ٧، ٨) اتعب فى الدنيا، واعمل لها فهى الطريق إلى الآخرة، ومنها زادك وعتادك للوصول إلى النعيم الأبدى. ﴿والعصر • إن الإنسان لفى خسر • إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ العصر: الآيات ١ -٣)، وقد ربى رسول الله ﷺ المسلمين على منهج فى كل أمورهم؛ فى رعاية الأسرة وفى رعاية شئون الأمة، ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى: الآية ٣٨)، ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾ (آل عمران: الآية ١٥٩). تعلم الصحابة من رسول الله ﷺ أن دينهم موصول بدين المرسلين والنبيين السابقين، وأنّ شريعتهم نابعة من مشكاتهم التى هى من نور رب العالمين . فالزمان عندهم موصول لا مقطوع، حاضرٌ؛ باطنه الماضى، وظاهره المستقبل، ومستقبل المستقبل هو الدار الآخرة يقول تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذى

تعلم الصحابة من النبى ﷺ الإيمان والعلم والإحسان فى القول والعمل

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: الآية ١٣)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: الآية ٩٠) غُذى الصحابة وشربوا ورووا من نبع مكارم الأخلاق التى جاء النبى ﷺ ليتممها، ويتواصل من خلالها مع المؤمنين وغير المؤمنين؛ فأحب الصحابة العدل وقدسوه، وعرفوا الحق ورفعوه، والتزموا الصدق فى كل قول ومعاملة؛ فرفعهم الصدق، وحصنهم العدل، وزينهم العلم، ورسّخ جذورهم ومكن فى قلوبهم الإيمان؛ يقول ابن تيمية عنهم: « فصاروا أعلم أهل الأرض».

تعلم الصحابة من النبى ﷺ الإيمان والعلم والإحسان فى القول والعمل، وكان من ثمار هذا العلم أنهم أصبحوا يشعرون بشعور الأخوة، أخوة الإيمان، وقربى الروح التى فاقت أخوة الدم وقرابة النسب، فجعل محبة الخير للغير شرطا للإيمان ودلالة عليه . وجعل الرسول ﷺ من هؤلاء المسلمين الأوائل جسمًا واحدًا تتصل أفراده كما تتصل أعضاء البدن الواحد فى الأمل والألم، وربطهم جميعًا على التساند والتآزر كما لو كانوا بناءً واحدا متراصةً لبناته مشدودةً عناصره وأجزاؤه برباط واحد ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: الآية ١٠٣) بناءً مركبًا بنسب عبقرية بحيث لايتداعى أمام ضربات الأعداء أو الحمقى أوالفسقة من الخارجين على الدين، حتى استعصى ذلك البناء أن يهدم على أيدى الكفار المعاندين . وانظر أنه بينما كانت الحرب الضروس دائرة بين المسلمين والروم فى منطقة الشام جاء أمر الخليفة عمر بن الخطاب بولاية أبى عبيدة بن الجراح على الشام، وكان حصار دمشق على أشده، وكان خالد بن الوليد على رأس جيش المسلمين، فكتم أبو عبيدة الخبر، ولم يبده لخالد؛ حتى إذا ما حانت الفرصة أخبره؛ فقال له خالد: ما دعاك - رحمك الله - إلى ما فعلت؟ (يعنى كتمان الخبر) قال: كرهت أن أكسرك وأوهن أمرك، وأنت بإزاء عدو. وحتى أن النصارى لما رأوهم - حين قدموا الشام - قالوا: «ماكان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء». وهذه آثار علمهم وعملهم فى الأرض وآثار غيرهم، يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين .

أسس النبى ﷺ البناء الحى لدولته على العلم فانطلق ﷺ يمحو أمية الأميين فى أمته، ويعلمهم ويدربهم على العمل الرشيد، علمهم أن يخلصوا فى العلم إخلاصهم فى العمل، لأن الغش فى العلم غش فى العمل، والعلم المنقوص قد يضر أكثر مما يضر الجهل المطبق. وإن أى نقصان فى العلم يتبعه بلاشك نقصان فى العمل ونقصان من ثم فى طاقة الأمة، وذلك لأن الإسلام لا يفرق بين العلم والعمل، بل إن العلم المأمور به شرعًا إنما هو لسد حاجة ينقصها العمل المأمور به شرعًا أيضًا، وعلى هذه القاعدة يجب أن تُفسَّر كل آيات الحث على التعلم على أنها أمر بالعمل، وتُفهم كل آيات الدعوة إلى العمل على أنها دعوة إلى التعلم والعلم، وإلا صار العلم أوقارًا وأوزارًا ومجادلات ومغالبات كلامية فارغة لا يمكن أن تغير من حال الفرد أو الأسرة أو الأمة، وقد أعطانا الله أمثلة لمن يتعلم ولا يُطبق فقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (الأعراف: الآية ١٦٩) ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ• وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ

الأخلاق لب رسالة النبى ﷺ فقد بعث ليتمم بناءها الذى بدأ بآدم وانتهى بعيسى عليهما السلام

يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: الآيتان ١٧٥، ١٧٦) ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: الآية ٥) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ • كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: الآيتان ٢،٣)، وإن تاريخ العالم لخير شاهد على أن الأمم والدول عندما تتداعى وتسقط، يكثر كلامها، وتقل أعمالها، وتنحط أخلاقها، وتسوء سيرتها، وتكثر فيها الخيانة، وتختفى الأمانة، ويُنزع الصدق، ويسود الكذب والنفاق، وينتشر الرياء والزيف، ويعم اليأس، ويشتد الخوف، وكل هذه الرذائل تسرع بالدولة إلى السقوط المريع، فسوء الأخلاق هو الدافع إلى الفساد والانحطاط.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لهذا كله صارت الأخلاق لب رسالة النبى ﷺ؛ بُعث ليتمم بناءها الذى بدأ بآدم وانتهى بعيسى عليهما السلام يقول ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ**» فالإنسان لا تستقيم حياته إلا بالأخلاق، وكذلك المجتمع لايبقى ولا يقوى إلا إذا تأسس على الأخلاق؛ فالأخلاق هى روح حياة الفرد والمجتمع والأمة، فإذا ذهبت؛ ذهبت الحياة جملة، وفقد العيش رونقه يقول أمير الشعراء أحمد شوقى فى قصيدته فى ذكرى المولد :

بنيت لهم من الأخلاق ركنا
فخانوا الركن فانهدم اضطرابا
وكان جنابهم فيها مهيبا
وللأخلاق أجدر أن تهابا
فلولاها لساوى الليث ذئبا
وساوى الصارم الماضى قرابا
فإن قرنت مكارمها بعلم
تذللت العلا بهما صعابا

ويقول أيضا فى نهج البردة :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوِّم النفس بالأخلاق تستقم
والنفس من خيرها فى خير عافية
والنفس من شرها فى مرتع وخم •

من هذا كله نتبين ماحققه رسول الله ﷺ فى الحياة من تغيير، وما أسسه بالأخلاق من إنجازات فى جميع الميادين السياسية والدينية والسلوكية شكلت المعالم الرئيسة للدولة العادلة والأمة الوسط، تلك الأمة التى قادت مسيرة الحضارة الإنسانية لقرون ولا تزال تقف إلى اليوم تدافع عن الإيمان وعن القيم التى جاء بها الأنبياء، والتى لا يكون صلاح العالم إلا بها .

تعظيم حرمات الله والأشهر الحرم

د / سامية منيسى

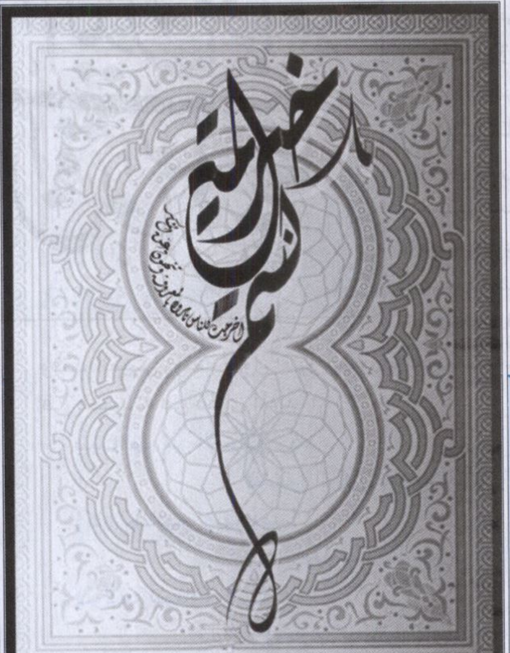

يقول تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (سورة التوبة: الآية ٣٦).

فكما حرّم الله جل وعلا أماكن اختارها وأمر بذلك لاختيار عباده فى طاعته والاستجابة لأوامره ونواهيه وتعظيم أوامر الله فى الطاعة له، أو تحريم ما حرمه جل وعلا؛ فقد حرّم بعض الأيام والشهور لذلك يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (سورة الحج: الآية ٣٠). ويقول أيضًا: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (سورة الحج: الآية ٣٢).

وكما أن الله جل وعلا حرّم مكة المكرمة، وجعل الكعبة بيت الله الحرام لا يدخلها إلا الموحدون الطاهرون المسلمون المؤمنون، يدخلونها ويطوفون حولها معظمين بيت الله الحرام، يطوفون ويسعون ركّعا سجّدًا ملبين الله جلّ وعلا فى كل حج كبير، وحج صغير (العمرة) حيث لا رفث ولا فسوق، ولا جدال فى الحج تأدبةً فى البيت الحرام فى الحج والعمرة والصلاة.

كذلك حرّم رسول الله ﷺ مسجده فى المدينة كما حرّم الله تعالى المسجد الحرام فى مكة المكرمة، كذلك حرّم ﷺ المدينة، كما حرّم الله تعالى مكة المكرمة.

يقول تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام الذى رفع قواعد البيت مع ابنه إسماعيل عليه السلام لمكانة البيت الحرام: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ (سورة الحج: الآية ٢٦).

كذلك حرّم الله تعالى بعض الأيام والشهور كما ذكرنا - من ذلك أنه حرّم أربعة أشهر من كل عام تيسيرًا على الناس والحجيج إلى بيت الله الحرام، وكذلك لتيسير طرق التجارة فى أمان على مدار العام وليختبر عباده فى طاعته والالتزام بأوامره.

وقد كان العرب قبل الإسلام يحرّمون القتال فيهن توقيرًا لهذه الشهور حسب أوامر الله جل وعلا. وهذه (الأشهر الحُرُم) هى أربعة أشهر: ثلاثة متتابعة، وواحد فرد، أما الثلاثة فهى: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، والفرد هو رجب.

مطلوب كثرة الأعمال الصالحة واستمرارها وديمومتها فى حياة المسلم تقربًا لله عز وجل

وكانت العرب لا يستحلون فيه القتال إلا قبيلتين؛ هما: خثعم، وطيئ، فإنهما كانا يستحلان الشهور الحُرُم. وكان الذين ينسئون الشهور أيام المواسم يقولون: حرمنا عليكم القتال فى هذه الشهور إلا دماء المحلين، فكانت العرب تستحل دماءهم خاصة فى هذه الشهور.

فقال تعالى ينهى عن استحلال الأشهر الحُرُم كما كان يحدث قبل الإسلام عند العرب فإن كانوا فى قتال أخرّوا الشهر الحرام حتى ينتهى القتال ثم يعودون إلى تحريمه مرة ثانية:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة التوبة: الآية ٣٧) فوصف الله تعالى ذلك بأنه زيادة فى الكفر لأنهم يزدادون كفرًا بأهوائهم وعصيان أوامر الله جل وعلا.

وشهر المحرّم: شهر الله تعالى، سمّته العرب بهذا الاسم لأنهم كانوا لا يستحلون فيه القتال، وأضيف إلى الله تعالى إعظامًا له، كما قيل الكعبة بيت الله. وقيل: سمى بذلك لأنه شهر من الأشهر الحُرُم.

والمحرّم: أول الشهور العربية، وحرم وأحرم دخل فى الشهر الحرام (انظر: لسان العرب لابن منظور) مادة (حرم) ج١ من ص ٨٤٤-٨٥٠ طبعة دار المعارف، والمعجم الوسيط ج١ ص١٦٩ طبعة استانبول وفى خطبة رسول الله ﷺ الجامعة على عرفات يوم الحج الأكبر فى حجة الوداع (حجة البلاغ - حجة الإسلام) فى العام العاشر من الهجرة إلى المدينة، وقد بلغ عدد المسلمين فى هذا العام أكثر من مائة ألف حاج خرجوا مع رسول الله ﷺ حسب ندائه لهم بالخروج معه للحج، ليعلمهم مناسك الحج ويخطبهم فى عرفات ليضع لهم المبادئ الأساسية التى يجب أن يسير عليها المسلمون، ومن ضمن خطبته قال بعد أن حمد الله جلّ وعلا وأثنى عليه: **«أيها الناس اسمعوا قولى، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة**

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾

سمّت العرب المحرم بشهر الله لأنهم كانوا لا يستحلون فيه القتال إعظاما له لأنه شهر من الأشهر الحرم

يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن كل ربًا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تُظلمون».

أيها الناس **﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾** (سورة التوبة: الآية ٣٧).

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرُم، ثلاثة متوالية، ورجب مضر، الذين بين جمادى وشعبان.

وقال ﷺ: **«واعلموا أن أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ...».**

(السيرة لابن هشام ج٤ ص٢٣١ الروض الأنف ج٢ ص٦٠٣ طبعة ابن كثير، والمغازى للواقدى ج٣ ص١١٠٣، عالم الكتب) هذا، وقد ذكر (رجب مضر): قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرّم (شهر رمضان) وتسميه (رجب)، فبين ﷺ أنه رجب مضر، لا رجب ربيعة، وأنه الذى بين جمادى وشعبان، والله الموفق.

وحيث إن الله تعالى وصفنا نحن المسلمين بقوله: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾** (سورة آل عمران: الآية ١١٠).

فعلينا أن نعظم حرمات الله وشعائره التزاما بالطاعة والحب للخالق جلّ وعلا والله المستعان.

من تراث منبر الإسلام

الهجـرة عظـــة وذكـــرى

للدكتور محمد يوسف موسى (رحمه الله)

أذن الله العليم الحكيم لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، وذلك بعد أن مكث بمكة ثلاثة عشر عاما يدعو قومه إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، وإلى نبذ ما كانوا عليه عاكفين من عبادة الأوثان والأصنام، وهى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم شيئًا.

ولكنه ﷺ لم يجد من قريش إلا الصد والإعراض والظلم والاضطهاد وكان أن ناله وأصحابه منهم شر كثير وبلاء كبير.

ولو شاء الله الذى لا راد لإرادته ولا معقب لحكمه وقضائه، ولا حدود لقدرته، أن ينصر دينه وأهله المؤمنين به من أول الأمر، وأن يعزهم ويعلى كلمتهم وهم فى وطنهم الحبيب إلى نفوسهم وقلوبهم، لكان ذلك أهون شىء عليه.

نعم، لو أراد الله ذلك لما اضطر الرسول والمؤمنون إلى ترك بلدهم حيث بيت الله المحرم، فرارا بعقيدتهم ودينهم، مضحين فى سبيل ذلك بالمال والولد، وبكل عزيز عليهم أثير لديهم، إلى بلد آخر كانوا يجتوونه فى بادئ الأمر ثم حببه الله اليهم وجعله موطن عزهم ومجدهم.

وقضاء الله بهذه الهجرة من مكة إلى المدينة يجب

* نشر هذا المقال بمجلة منبر الإسلام عدد شهر المحرم ١٣٨١هـ .. يونيه ١٩٦١ أى ما يقرب من ثلاث وخمسون عاما.

كان هم الرسول ﷺ أن تتفتح القلوب لرسالته التى كلفه الله بها رحمة للعالمين

أن يكون دافعا قويا لنتخذ من هذا الحدث المبارك مواقف إنسانية ودينية واجتماعية لها آثارها الخطيرة فى حياتنا، أفرادا وجماعات، فى كل زمان ومكان، ومن هذه المواقف ما نتحدث عنه فى هذه الكلمة، ولعل فى ذلك عظة وذكرى لقوم يعلمون.

كان هم الرسول ﷺ أن تنتشر الدعوة إلى الإسلام بين الناس جميعا، وأن تتفتح القلوب لرسالته التى كلفه الله بها رحمة للعالمين، وأن يجد من أولى القوة والمنعة ما يهيىء لهذا الدين الظهور على الدين كله وعلو كلمة من جعلهم الله حماة له وأنصارا.

ولكنه بعد أن قام مجاهدا صابرا بمكة بضعة عشر عاما تلفت حوله فماذا رأى؟

رأى العقبات الشداد تقوم أمام الدعوة من كل جانب وناحية، ورأى أصحابه القلائل ما بين مفتون فى دينه ونفسه وأهله، أو شريدا بعيدا عن وطنه الحبيب إلى نفسه، أو مقيما على أحر من الجمر يخشى الفتنة فى كل آن.

فكان لابد من التفكير فى الأمر، ومن الانتقال بالدعوة للدين الجديد إلى بلد آخر لعله يجد فيه ملاذا له ولأصحابه، وعونا على نشر رسالته التى اصطفاه الله لها.

كما أحس أن المقام بمكة لم يعد من الحزم ولا الرأى السديد، والشاعر العربى يقول عن طول تجربة: إذا نبا بك منزل فتحول، كما يقول الآخر:

وإن كمال الرأى والحزم لامرئ

إذا بلغته الشمس أن يتحولا

وبجانب هذا وذاك، أرى الله سبحانه وتعالى رسوله العظيم دار هجرته فى منامه وأنها أرض ذات نخيل، وقد استبشر الرسول ﷺ بهذه الرؤيا وبشر بها أصحابه، حتى إذا أذن الله بالهجرة ترك مكة مهاجرا إلى المدينة فى سبيل دين الله، واثقا بأن الله موف بوعده وناصره على أعدائه الباغين المعاندين المعتدين، وكان هذا إيذانا له بقتالهم.

وفى ذلك يقول ابن هشام فى سيرته: فلما عتت قريش على الله عز وجل، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا على نبيه ﷺ، وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق بنبيه واعتصم بدينه أذن الله عز وجل لرسوله ﷺ فى القتال، والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم.

وكانت أول آية أنزلت فى إذنه له فى الحرب وإحلاله الدماء قوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ • الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ • الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾ (سورة الحج الآيات ٣٩: ٤١).

هكذا ألقى الرسول ﷺ علينا بهجرته أول درس ينبغى أن نعيه ونتذكره دائما ونعمل به، إذ أرانا بهذه الهجرة المباركة، مع ماكان فى سبيلها من مشاق وآلام أنه لايقيم على ضيم يراد به إلا الذليل، وأن الهجرة فى سبيل الدين والحق والعزة هى طريق النصر، وأن الأخذ بالأسباب مع كمال الثقة بالله القوى العزيز هو آكد طرق النجاح والفوز وأقربها.

وأرانا ﷺ كذلك أن من يرضى بالدنية والهوان

لدينه ونفسه يظلم نفسه ويبوء بسخط الله تعالى، وفى هذا جاء القرآن الكريم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** (سورة النساء آية ٩٧).

وبعد هذا، نجد فى الهجرة مثلا عليا فى حب الصحابة، رضى الله عنهم وأرضاهم، للتضحية بالنفوس والأموال فى هذه السبيل النبيلة، سبل الدين الحق والانتصار له. فهؤلاء المشركون يجتمعون على باب الرسول ﷺ يرصدونه متى نام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لسيدنا على بن أبى طالب: «**نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر فنم فيه، فإنه لن يخلص إليه شىء تكرهه منهم**».

فما كان أسرع من استجابة سيدنا على فقد قبل راضيا مسرورا أن يأتمر بأمر الرسول ﷺ، وهو يعلم أنه سيرى الموت عيانا ولكن ما قيمة الحياة لديه وهو يوقن أنه بهذا الصنيع يكون سببا فى فشل قريش الظالمة، كما سيكون سببا لنجاة الرسول ﷺ وانتصار دينه.

وهذا سيدنا أبى بكر الصديق رضي الله عنه، يذهب به الفرح إلى أقصى مداه حين عرف أن الرسول ﷺ اصطفاه لصحبته فى هجرته، فيذهب يعد كل ما يلزم الهجرة والوصول إلى دار الأمان، ويخرج من ماله كله فى سبيل الله. وما عليه أن يضحى بذلك وبنفسه - إذا لزم الأمر - والله لن يضيعه أبدا، وإن ظن أبوه أنه فجع أهله بماله ونفسه.

روى ابن هشام فى سيرته أن أسماء بنت أبى بكر قالت:

لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله معه، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف فانطلق بها معه. فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال: والله أنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قلت كلا يا أبت، إنه ترك لنا خيرا كثيرا.

فأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت كان أبى يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت

نجد في الهجرة مُثلا عليا للتضحية بالنفوس والأموال فى سبيل الدين ونصرة الحق

بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، فوضع يده عليه وقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم، وبعد هذا تقول السيدة أسماء: ولا والله ما ترك لنا شيئا، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

وهناك بعد هذا كله، مواقف رائعة لم يكن المجتمع العربى، بل الإنسانى عامة فى مشارق الأرض ومغاربها، يعرفها قبل الهجرة النبوية. ونعنى بذلك الأخوة فى الدين التى أقامها الرسول ﷺ بين المهاجرين الوافدين من مكة وبين الأنصار أهل المدينة.

قال ابن إسحاق كما جاء فى سيرة ابن هشام: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل «**تآخوا فى الله أخوين أخوين**» ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال: «هذا أخى». وكان حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله وعمه، وزيد ابن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين.

هكذا فعل رسول رب العالمين ﷺ، على حين كانت الرابطة عند العرب فيما قبل الإسلام تقوم على الدم والقبيلة، ولكن الرسول ﷺ أقامها على الدين عروة الله الوثقى، وجعل المسلم أخا للمسلم فى كل زمان ومكان، مهما اختلفت الأجناس والألوان.

وكان الأنصارى يشاطر أخاه من المهاجرين داره وماله، وهو بهذا راضٍ مسرور، وكان بهذا الإيثار قرير العين، وبذلك ضرب الأنصار المثل الرائع للأخوة معدومة النظير فى تاريخ الإنسانية كلها وإلى آخر الزمان.

وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة الحشر آية ٩).

هذا، وبلغ رسول الله ﷺ سالما برعاية الله إلى المدينة واتخذها عاصمة للدولة العربية الإسلامية الأولى أدامها الله إلى يوم الدين. وبدأ ينظم هذا المجتمع الإسلامى الجديد على أسس من شريعة الله ورسوله، وكان من أوائل ما خطب به بين المسلمين ماذكره ابن هشام فى سيرته:

إن الحمد لله أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، وقد أفلح من زينه الله فى قلبه وأدخله فى الإسلام بعد الكفر واختاره على من سواه من أحاديث الناس. إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا ما أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام الله وذكره، ولا تقس عنه قلوبكم فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته، وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم، إن الله يغضب أن ينكث عهده، والسلام عليكم.

وبعد، ذلك بعض ما تثيره فينا ذكرى الهجرة النبوية من عظات، أو تلك بعض المواقف النبوية من عظات، أن تلك بعض المواقف الإنسانية الرائعة التى نأخذها منها .. فلنعمل جميعا على أن يكون الرسول ﷺ لنا قدوة حسنة فى كل حال، حفظ الله الإسلام وأمته، وجعلها خير أمة أخرجت للناس.

حدث الهجرة نقطة تحول للإنسانية

د. أحمد فاروق الهلباوى

عام هجرى أتى يذكرنا بيوم التحول فى التاريخ الإسلامى، نتذكر فيه الهجرة الخالصة لله والحق، وضعت مبادئ للدعاة والمصلحين، هذه المبادئ هى منهاج النجاح وسبيل النصر والفلاح، مبادئ تقوم على الثبات على الحق والدفاع عنه بقوة ويقين، تقوم على أهمية الصبر عن كل ما يلقاه المؤمن من صعاب وما يلقاه من عنت وإيذاء وضرورة احتمال المصاعب حتى ولو وصلت إلى مفارقة الوطن وترك الديار والأموال، وكل ذلك يستدعى إخلاص النية حتى تكون لوجه الحق وحده مبرأة من الغرض بعيدة عن الهوى. كل ذلك لتكون كلمة الله هى العليا مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة التوبة: الآية ٤٠)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (سورة الأنفال: الآية ٣٠).

الصبر على مشاق الهجرة

كان الصبر والاحتمال لويلات السفر ومشاق رحلة الهجرة وما صادفها من شمس حارقة وطرق وعرة ومسالك موحشة معبراً عن قوة الإرادة والعزيمة وعظمة الإيمان والثقة فى نصر الله وصدق الهوية والصبر على المكاره.

والمسلم مطالب بأن يهجر الشر والسوء وأن يهجر هوى النفس الأمارة بالسوء. فلقد كانت الهجرة فى تاريخ الإسلام فتحًا ونصرًا حيث انتصر فيها المسلمون على أنفسهم فاستحقوا النصر على أعدائهم، ذلك لأن مقومات النصر يتم صنعها فى داخل النفوس قبل أن تتحقق على الأرض.

والهجرة من مكة إلى المدينة كانت فاتحة الفتوحات الإسلامية، والمسلمون اليوم فى حاجة إلى

دين المرء أعز عليه من الدنيا وعقيدته أحب وأغلى من نفسه وماله

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ج
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ صلى
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ

استلهام دروس الهجرة واستخلاص عبرها كى يضعوا أقدامهم على طريق النصر فالرسول ﷺ بذل كل عامة جهد وأعد لكل شىء عدته وبذل كل ما فى الوسع وترك النتائج لله سبحانه ثقة به ويقينا بوعده وإيمانا بنصره.

وما أحوجنا اليوم أن نستلهم دروس الهجرة لنقوِّم ما اعوج فى أنفسنا أولاً وننصر إسلامنا، الذى يأمرنا ربنا فى كتابه العظيم أن نعد العدة لكى نواجه الصعاب والمشاق التى تواجهنا بإيمان صادق وحسن طوية فى مشكلاتنا مجتمعة، ونواجه عدونا بكل ما أتانا من قوة وبعدها يتحقق نصر الله.

تأتى ذكرى الهجرة النبوية الشريفة وهى تؤكد زوال جبروت الباطل وسطوة البغى، وتؤكد بقاء قوة الحق مهما تجمعت عليها الأيام والليالى وأن سلطة الحق صلبة فوق الأحداث، وأقوى من أن تنال منها الكوارث أو تؤثر فيها أعاصير الحياة **﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** (سورة يوسف: الآية ٢١) **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** (سورة التوبة: الآية ٣٢).

فما أعظم درس الهجرة الذى بشر بالفجر وقد لف الكون الظلام، وبالأمل وقد تقطعت بالإنسان حبال الرجاء، فالهجرة خير حافز للمؤمنين فى كل جيل ألا ييأسوا أو يقنطوا مهما تلبدت فوق رؤوسهم الغيوم ومهما لف طريقهم الضباب، ومهما لاقوا العنت والتحدى من الخصوم.

فسنة الله سبحانه قد قضت بأن يمضى ركب الهداية عبر تاريخ الإنسانية بخطى ثابتة لا يضعف ولا يتعثر حتى يصل إلى غايته فى سلام وأمان.

الهجرة وسيلة للتمكين

كان النبى ﷺ قويّا بربه عزيزًا بإيمانه وصلابته وصبره وإخلاصه لعقيدته، لقد تلمس كل الوسائل للقضاء على الوثنية فى مكة فما لقى إلا صلفًا وغرورًا أو عنادًا أو نفورًا، وكانت الهجرة الوسيلة الأخيرة التى هُدى إليها ﷺ لتكون سبيلاً للتمكين لهذا الدين والدعوة له وكان بها كالجندى يترك موقعه لموقع آخر لا فرارًا من العدو ولكن لتتهيأ له الفرصة فيعد العدة لملاقاته وضربه الضربة القاصمة ويأمن جانبه.

إن الهجرة النبوية جعلت المسلمين ومازالوا يؤمنون بأنفسهم وبدينهم الذى وجدوا فيه العزة وبفضل هذا الدين الذى رعى قضية الإنسان وذكى سيادة العقل وحقق للإنسانية آمالها وأنهى آلامها. وحقق للإنسانية جمعاء خلقًا قويما، وصنع بين المسلمين الأخوة التى مازالت منظمات العالم بأسره مبهورة بهذا الخلق الرفيع ولا يجمع المسلمين سوى صلة الإسلام ومودة الإيمان حتى قال القائل قولته المشهورة:

أبى الإسلام لا أبالى سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

وهكذا تؤكد لنا الهجرة معنى أنه لن يحدث تقدم لهؤلاء المسلمين إلا إذا توجهوا بكليتهم إلى تعاليم القرآن وعاشوا فى ظلال حضارته الربانية واستلهموا منه الرشد واستقامة القصد من مدرسة الإسلام التى ربت جيلاً وكونت مجتمعًا فاق النجوم والكواكب رفعة وعلوًا.

دروس وعبر من الهجرة النبوية

لقد كانت الهجرة النبوية نقطة تحول فى نظام البشرية وتاريخ الإنسانية غيرت وجه الأرض ومجرى الحياة بما أحدثت من نظام كامل وعدل شامل، أعز الله بها المسلمين وقوى شوكتهم ونفخ فيهم من روحه، وقذف فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا.

لقد ارتفعت بها راية الإسلام وعز جانبه وبفضلها امتد سلطان المسلمين فى الأرض وقوى بأسهم، واشتد ساعدهم، وتألق فى الوجود مكانهم، وأدى صاحب الرسالة مهمته، مبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ومشرعا حكيمًا، وقائدًا عظيمًا، وانتقلت الدعوة الإسلامية من ضيق الحياة إلى سعتها ومن قسوة الظلم وأهله إلى حيث تتنسم عبير الحياة والحرية، فتم البناء، ووضع الدستور، وقامت خير أمة أخرجت للناس، وألقت الهجرة النبوية على العالم دروسًا ناقصة، وحققت نتائج باهرة منها:

● أن دين المرء أعز عليه من الدنيا وما فيها وأن عقيدته أحب إليه وأغلى من زوجه وولده ولقد خرج المسلمون من مكة مهاجرين إلى المدينة يتحملون المشاق والصعاب تاركين وراءهم كل ما يحبون ويمتلكون من أجل الله ورسوله.

● ضحى المسلمون بالأرواح فى سبيل سلامة العقيدة وإعلاء كلمة الحق والدين، لقد كاد على كرم الله وجهه أن يضحى بحياته ليلة الهجرة حين بات موضع النبى ﷺ فى فراشه مسجى ببردته وهو يعلم أن الموت ينتظره على أيدى المسلحين المتربصين حول الدار، ولقد خير الصحابى الجليل أبو سلمة وكان فى طريقه مهاجرًا مع زوجته وطفله قال له المشركون إما أن ترجع ومعك زوجك وطفلك إلى مكة وإما أن تمضى إلى المدينة أو إلى حيث تريد وحدك فآثر الهجرة إلى الله ورسوله وترك زوجته وطفله فى أيدى أقاربهما من المشركين، وانتزع الجبابرة قساة القلوب الطفل من أحضان أمه حتى تبقى وحيدة حزينة محرومة من زوجها وطفلها، وما أثر ذلك فى عزيمتها ولا تغير قلبها ولا ضعف إيمانها. لقد آثروا الله على أنفسهم وقدموه على كل غال ونفيس، حتى ولو كانوا الأبناء والأهل والأقربين والأموال والأوطان، لقد شهد الله لهم بأنهم أُخرجوا من ديارهم بغير حق، وأبعدوا عن أوطانهم مظلومين راضين، طمعًا فى فضل الله ورضوانه ورغبة فى نصر دينه ورسوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (سورة الحشر: الآية ٨).

غير أصحاب النبى ﷺ وجه العالم وكتبوا للإنسانية ميلاداً جديداً

وكان الصبر على الأذى هو ديدن هؤلاء الرجال خاصة فى هذه الشدة وهذه الملمة، فلقد صبر الرسول ﷺ ومن معه من أصحابه فى هذه الشدة القاسية والمحنة العاتية والخطب الجسيم، فقد أوذوا فى دينهم أيما ايذاء وعذبوا أشد ما يكون التعذيب فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا متمثلين قول الشاعر:

لاستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الآمال إلا لصابر

وهكذا فإن المؤمن لا يرهبه تهديد ولا يخيفه وعيد فى سبيل سلامة العقيدة، وإعلاء كلمة الحق والدين، لقد ضحى المسلمون الأوائل بكل غال وهاجروا مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ (سورة النساء: الآية ١٠٠) لذا فقد بارك الله هجرة المسلمين وأكرم سعيهم حتى حققت أطيب النتائج وأعظم الثمرات ونالوا سعادتى الدنيا والآخرة.

عبرت الهجرة بجلاء عن عظمة الإيمان وقوة الإرادة والثقة فى نصر الله

لذا فقد بارك الله هجرة المسلمين وأكرم سعيهم حتى حققت أطيب النتائج وأعظم الثمرات ونالوا سعادتى الدنيا والآخرة.

وبعد، فإننا فى مطلع هذا العام علينا أن نقف وقفة هى وقفة الحساب نسأل فيها أنفسنا هل حققنا فى أنفسنا مبادئ الإسلام السامية وأخلاقه الحسنة ومثله العليا تجرى فى دماء أبنائه وتغمر قلوبهم وتوجد فيهم كل أمارات النبل والعزة والكرامة وتتمثل فى سلوكهم مروءة وشهامة ونجدة وصدقًا ووفاء وأمانة فهل نجد ذلك بيننا؟ إن المسلمين الذين تتوافر فيهم هذه المبادئ والمثل هم الذين يعتد بهم ويحسب حسابهم ولهم كيانهم ووزنهم وهم بحق الذين يباهى بهم رسول الله ﷺ الأمم يوم القيامة إنهم قوة فى الشخصية وترابط بين الأفراد والأسر والأمم وتضامن وتكافل على الصعيدين المحلى والعام «**ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**» فإذا جرح مسلم فى المغرب اعتصرت له القلوب ألمًا وحسرة فى المشرق. إذا تحققت كل هذه الآمال فى المسلمين فى واقعهم المر الذى نعيشه تقاربت أفكارهم وحطمت الحواجز التى صنعها الاستعمار بينهم وأصبح وطنهم العقيدة وإنتماؤهم الوحيد لدينهم الإسلام. وليت المسلمين يعرفون أن الله عز وجل شرفهم بنزول القرآن ورسالة سيدنا محمد ﷺ ليعيد صياغة الكون والحياة، ويعلم الإنسان على كل البسيطة أن هذا القرآن وهذه الحياة متعانقان فى حفاوة وإخلاص مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ (التوبة: الآية ٧١).

فيا أمة القرآن كونوا مجتمعا انصهر فى بوتقة الإيمان تحت راية الإيمان أمة واحدة على صدوركم وسام الشرف بالانتساب إلى هذا الدين والانضواء تحت لواء سيد المرسلين تصيبوا عز الدنيا وسعادة الآخر؛ فلقد أقام رسول الله ﷺ دولة على المبادئ الفاضلة والمثل الكريمة، ناشرًا فى ربوعها الأمن والاستقرار والرفاهية والرخاء، وضع حضارة امتدت جوانبها وقاد طلائعها ركب الإنسانية فعبدوا لها الطريق وأناروا لها وجه الحياة، ومكنوا لها فى هذه الأرض.

فيا إخوة الإسلام استقبلوا عامكم الجديد المبارك بقلوب ملؤها حب الخير لكم وللناس، وبنفوس ملؤها العزم والتصميم على نصرة الإسلام والمسلمين.

المدينة المنورة.. فضائلها وخصائصها

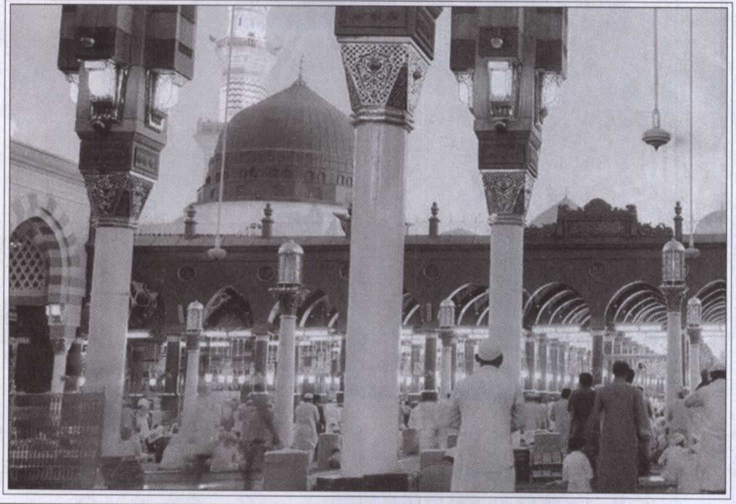

من خصائص المصطفى ﷺ أن الله تعالى فضل بلديه - مكة المكرمة والمدينة المنورة - على سائر البلاد.

وبمناسبة هجرة المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة فإننا سنتناول فى هذا الحديث فضائل المدينة المنورة وما حباها الله عز وجل به من خصائص فنقول وبالله التوفيق:

أولا: لقد ذكر الله تعالى فضل الأنصار رضى الله عنهم وذكر فضل المدينة المنورة فى بعض المواضع من القرآن الكريم.

ومن المواضع التى ذكرت فضل الأنصار والمدينة ما جاء فى سورة الحشر.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر الآية ٩).

لنا عند هذه الآية ثلاث وقفات:

د. مختار مرزوق عبدالرحيم*

الوقفة الأولى: الكلام على (الواو)

لقد ذكر الله تعالى فى هذه الآية فضل الأنصار بعد أن ذكر فى الآية السابقة فضل المهاجرين ويذكر بعض المفسرين أن الواو للعطف.

وذكر بعضهم أن الواو للاستئناف. فهى ابتداء كلام فى مدح الأنصار والثناء عليهم فإنهم سلموا ذلك الفىء للمهاجرين.

وكأنه تعالى قال الفىء للفقراء المهاجرين والأنصار يحبون لهم، لم يحسدوهم على ما صفا لهم من الفىء.

وكذا ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (الحشر: الآية ١٠) ابتداء كلام والخبر ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ (الحشر: الآية ١٠) (انظر تفسير القرطبى عند هذه الآيات فى سورة الحشر).

* عميد كلية أصول الدين بأسيوط.

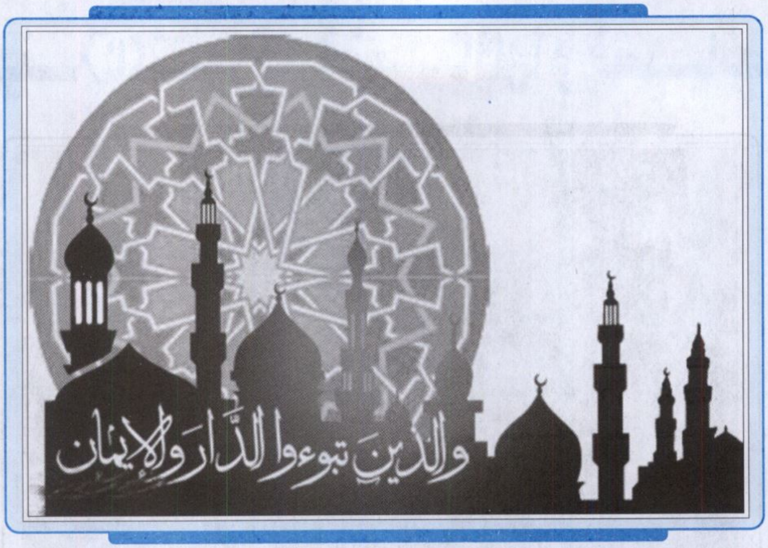

الوقفة الثانية

السر فى عطف الإيمان على الدار، ولا يقال تبوء للإيمان؟

فى ذلك وجوه منها ما يلى:

١ ـ هناك شىء مقدر يفهم من معنى الكلام يقال: تبوأوا الدار وأخلصوا الإيمان، كقول الشاعر: علفتها تبنا وماء باردا .

٢ ـ جعلوا الإيمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك.

٣ ـ سمى المدينة بالإيمان لأنها دار الهجرة ومكان ظهور الإيمان. (انظر الكشاف تفسير هذه الآية من سورة الحشر).

الوقفة الثالثة

فى هذه الآية الكريمة ما يبين فضل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

قال ابن وهب: سمعت مالكا وهو يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق فقال: إن المدينة تبوأت بالإيمان والهجرة وإن غيرها افتتحت بالسيف ثم قرأ ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ**﴾ .

وقال البقاعى فى فضل المدينة ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ**﴾ أى الكاملة فى الدور وهى التى أعدها الله فى الأزل للهجرة وهيأها للنصرة وجعلها دائرة على جميع البلدان محيطة بهم غالبة عليها، محل إقامتهم وملابستهم وصحبتهم وملازمتهم لكونها أهلا لأن يعودوا إليها، من خرج منها كيف يهجرها أصلا فهى محل مناه؟! وليست موضعا يهاجر منه لبركتها وخيرها. (انظر نظم الدرر للبقاعى عند تفسيره لهذه الآية فى تفسير لسورة الحشر).

ثانيا: من فضائل المدينة المنورة : اشتمالها على البقعة المباركة التى ضمت جسده الشريف ﷺ.

قال الإمام الشامى: نقل أبو الوليد الباجى والقاضى عياض وغيرهما الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة.. وجزم به أبو محمد البسكرى ـ رحمه الله تعالى ـ حين قال:

جزم الجميع بأن خير الأرض ما
قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت
كالنفس حين زكت زكى مأواها

قال الإمام النووى:

والمختار لدى الجمهور أن السماوات أفضل من الأرض أى ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة، وأجمعوا بعد ذلك على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد.

واختلفوا فيهما : فذهب عمر بن الخطاب وبعض الصحابة وأكثر المدنيين ـ كما قال القاضى عياض ـ

حبب الله عز وجل المدينة المنورة لأصحاب رسول الله ﷺ بل وحببها إلى كل المؤمنين الصادقين إلى قيام الساعة

إلى تفضيل المدينة وهو مذهب الإمام مالك وإحدى الروايتين عن أحمد.

والخلاف في غير الكعبة الشريفة فهي أفضل من بقية المدينة اتفاقا. (انظر سبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٤٥١ وما بعدها).

ثالثا: من فضائل المدينة ما ورد في تحريمها هناك عدة أحاديث منها ما يلي:

١ - عن عبد الله بن زيد بن عاصم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة**» (انظر صحيح مسلم كتاب الحج باب فضل المدينة).

٢ - ورد أيضا في صحيح مسلم في حديث طويل جاء فيه: «.. **اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراما وإني حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها أن يراق فيها دم ويحمل فيها سلاح لقتال ولا تخبط فيها شجرة إلا فعل**».

«**اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين**». (انظر صحيح مسلم الموضع السابق).

رابعا: مما يدل على فضل المدينة المنورة: محبة النبي ﷺ للمدينة ودعائه لها ولأهلها ورفع البلاء عنها بدعائه ﷺ.

من الأحاديث الواردة في ذلك ما يلي:

١ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته - صوته - يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة
وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقال: اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية ابن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا**»... الحديث. (انظر صحيح البخاري كتاب المناسك ج ٨ ص ٢٣١ وما بعدها).

٢ - لقد أحب أصحاب النبي ﷺ المدينة المنورة فكانت قرة أعينهم:

عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه قال: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك» (انظر صحيح البخاري ج ٨ ص ١٣٢ وما بعدها).

هذا وقد صرف الله تعالى الوباء عن المدينة المنورة ببركة دعاء المصطفى ﷺ وحببها الله عز وجل لأصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم، بل وحببها إلى كل المؤمنين الصادقين إلى قيام الساعة.

خامسا: عصمتها من الدجال والطاعون:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»، (انظر صحيح البخاري كتاب الحج أبواب فضائل المدينة).

٢ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها**..» الحديث (انظر صحيح البخاري الموضع السابق).

سادسا: الحث على الإقامة فيها، والموت فيها والصبر على لأوائها وأنها تنفي الخبث والذنوب.

١ ـ عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذى نفسى بيده لا يخرج منهم أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه إلا أن المدينة كالكير تخرج الخبث، تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد**» (انظر صحيح مسلم كتاب الحج باب المدينة تنفى شرارها).

٢ ـ عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صبر على لأوائها وشدتها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة**» (انظر صحيح مسلم كتاب الحج باب الترغيب فى سكنى المدينة).

قال ابن عبد البر: قيل إن ذلك ورد فيمن صبر على لأوائها وشدتها فى ذلك الوقت بدليل خروج الصحابة بعد ذلك. (انظر التمهيد ج ٢١ ص ١٤).

(تنبيه) المسلم له أن يخرج من المدينة إذا كان خروجه منها فيه مصلحة وفائدة ولكن لا يخرج رغبة عنها، وإنما يكون خروجه لمصلحة وفائدة ثم يعود و لا بأس بذلك. (انظر شرح سنن أبى داود لعبد المحسن العباد ج ٢٠ ص ٣٨).

سابعا: التحذير من تخويف أهلها.

١ ـ عن سعد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء**» (رواه الشيخان).

٢ ـ فى رواية لمسلم: «**ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء**» (انظر صحيح الترغيب رقم ١٢١٢).

٣ ـ عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرف ولا عدل**» (رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير وهو حديث صحيح انظر صحيح الترغيب رقم ١٢١٤).

ثامنا: خصائص المدينة.

من خلال ما تقدم وغيره يتضح لنا أن من خصائص المدينة ما يلى:

١ ـ تحريمها على لسان أشرف الخلق ﷺ.

٢ ـ اشتمالها على أشرف البقاع وهو محل القبر الشريف الذى دفن فيه أشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ وأفضل الخلق بعد النبيين الصديق والفاروق رضى الله عنهما.

٣ ـ اختيارها لأفضل الخلق واختيار أهلها للنصرة والإيواء، وافتتاحها بالقرآن، ووجوب الهجرة إليها قبل الفتح.

٤ ـ طلبه ﷺ لزيادة البركة بها على مكة، ودعاؤه بحبها.

٥ ـ الوعيد الشديد لمن أخاف أهلها أو كادهم أو أراد أهلها بسوء.

٦ ـ سماعه ﷺ لمن صلى عليه بها عند قبره الشريف.

قال ﷺ: «**من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على نائيا بلغته**» (رواه أبو الشيخ بسند جيد انظر فتح البارى ج ١٣ ص ٢٤٧).

٧ ـ ما بين منبره وبيته روضة من رياض الجنة وما إلى ذلك من فضائلها وفضائل أهلها.

تاسعا: ونختم هنا فنقول لكل ما تقدم وغيره كانت المدينة المنورة مهوى القلوب، ومن أجمل ما قيل فى ذلك ما قاله أبو محمد البسكرى فى قصيدة طويلة نقتطف منها هذه الأبيات:

دار الحبيب أحق أن تهواها
وتحن فى طرب إلى ذكراها
وعلى الجفون متى هممت بزوره
يابن الكرام عليك أن تغشاها

ثم يقول:

فلأنت أنت إذا حللت بطيبة
وظللت تربع فى ظلال رباها
معنى الجمال منى الخواطر والتى
سلبت عقول العاشقين حلاها

إلى أن يقول فى خاتمتها:

والحمد لله الكريم وهذه
كملت وظنى أنه يرضاها

وروى أنه أنشدها فى المنام بين يدى رسول الله ﷺ وهى قصيدة طويلة فلما بلغ آخرها، وهذه كملت وظنى أنه يرضاها قال له النبى ﷺ: «**رضيناها رضيناها**»

نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية «٦٨»

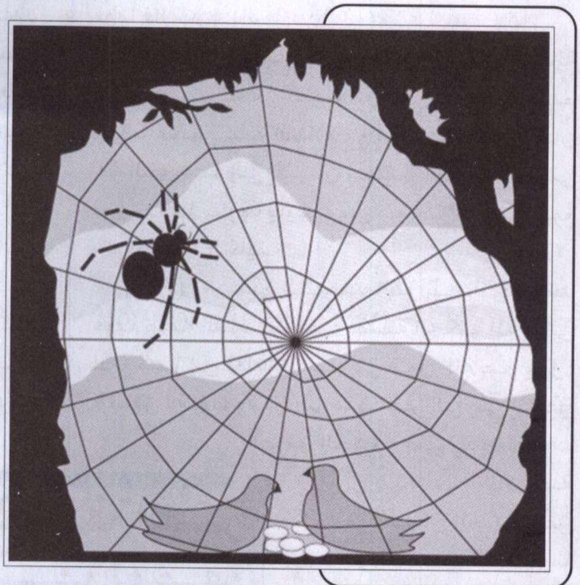

نعاود التذكير بأن من مواضع النظرات البيانية فى الكلمة القرآنية ما يتعلق بمجىء صفة العزة لله - عز وجل - مع صفات أخرى له سبحانه وتعالى. وقد استعرضنا فى هذا المجال مجىء صفة العزة مع صفة المغفرة مثل قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (سورة: غافر ٤٢) ومع صفة الرحمة مثل قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة: الشعراء ٩) وقد وقفنا مع كل شاهد عند بيان السر البيانى الذى دعا إلى مجىء صفة العزة، وذلك من خلال النظرة البيانية فى السياق السابق أو اللاحق لآية الشاهد.

د. طه مصطفى أبو كريشة*

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى الوقوف عند الشواهد القرآنية التى جاءت فيها صفة العزة مصاحبة لصفة الحكمة لله تعالى، محاولين أيضا بيان السر البيانى الذى اقتضى مجىء صفة العزة فى الموقف الذى وردت فيه، وقد عرفنا أنه سر متعدد حسب المقام، فقد يكون تثبيتا لقلوب المؤمنين فى ميدان القتال مثل قول الله عز وجل: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة: الأنفال ١٠) ومنه ما يكون باعثا إلى حسن التوكل على الله تعالى الأمثل قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة: الأنفال ٤٩) - منه مايكون كاشفا عن قدرة الله تعالى التى لا يعجزها شىء فى الأرض ولا فى السماء، مثل الشاهد الذى يتصل بالحديث عن هجرة النبى ﷺ، وذلك فى قول الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة: التوبة ٤٠) إلى غير ذلك من شواهد أخرى استعرضناها فيما سبق. ومع هذا المقام نتابع الوقوف عند شواهد أخرى على غرار وقوفنا السابق، سائلين الله - عز وجل - أن يلهمنا الصواب..

(٣٠٩) فمن الشواهد القرآنية التى وردت فيها صفة العزة مصاحبة لصفة الحكمة لله - عز وجل - لداع دعا إلى ذلك ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة: النمل ٩) إن هذه الآية الكريمة هى خطاب من الله عز وجل لنبيه سيدنا موسى عليه السلام، وذلك فى بداية تكليفه بالرسالة التى يدعو من خلالها فرعون وقومه

* عضو هيئة كبار العلماء.

إلى عبادة الله تعالى وترك ماهو فيه من طغيان واستكبار وجبروت. وقد جاء هذا الخطاب من خلال هذا المشهد الذى جاء الإخبار عنه قبل آية الشاهد فى قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ • فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة: النمل ٧: ٨) وهو مشهد يمهد لتلقى الخطاب من الله تعالى، وذلك من خلال هذه المناداة الربانية التى أدخلت الأنس على قلب سيدنا موسى عليه السلام وأشعرته بهذه المعية الربانية التى أذهبت عنه تلك المشاعر التى كانت تصاحبه فى رحلته فى صحراء سيناء ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم جاء هذا الخطاب المباشر من الله تعالى لنبيه سيدنا موسى عليه السلام، معرفا إياه بمن يناديه وهو الله عز وجل من خلال أداة التأكيد التى أكدت ضمير الشأن وضمير المتكلم ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ ثم وصف الله تعالى نفسه بهاتين الصفتين ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وإذا نظرنا فى السياق اللاحق فإننا سوف نرى فيه السر البيانى الذى دعا إلى الإتيان بصفة العزة مصاحبة لصفة الحكمة لله عز وجل، فمع الحكمة التى اقتضت التكليف بالرسالة لسيدنا موسى عليه السلام فإن هذا التكليف كان داعيا إلى تزويد سيدنا موسى عليه السلام بما يثبت قلبه وهو يقوم بتكاليف هذه الرسالة، ذلك لأن القيام بذلك ليس أمرا سهلاً ومن هنا فإن هذا التكليف جاء مصحوبا بمعجزات ربانية هى فى ذاتها مظهر من مظاهر عزة الله تعالى التى ينصر بها رسله وهم يقومون بأداء الرسالة، ومن هذه المعجزات ماجاء الإخبار عنه فى السياق اللاحق فى قول الله عز وجل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ • إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (النمل: ١٠:١٢).

إن النظرة البيانية ترى أن مقام التكليف بالرسالة وما يترتب عليه من أعباء مع الذين سوف يدعوهم سيدنا موسى عليه السلام مع ماهم عليه من طغيان هو الذى دعا إلى الإتيان بصفة العزة لله تعالى تمهيدا لما سوف يؤيد به من معجزات وهو يقوم بالوفاء بهذا التكليف..

جاءت صفة العزة ملاصقة لصفة الحكمة تثبيتا للقلوب فى ميدان القتال

(٣١٠) ومن هذه الشواهد القرآنية التى جاءت فيها صفة العزة مصاحبة لصفة الحكمة لله تعالى لداع دعا إلى ذلك ماجاء فى قول الله عز وجل: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (سورة: العنكبوت ٢٦) - إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام وما كان من شأنه مع قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام التى صنعوها بأيديهم والتى يعلمون علم اليقين أنها لا تنطق فهى كما يعلمون من أحجار صماء، وكما شهدوا بذلك على أنفسهم، وقد جاء فى السياق السابق على آية الشاهد بيان ماقام به سيدنا إبرهيم عليه السلام وهو يدعو قومه إلى ترك عبادة تلك الأصنام، لقد بين لهم ماهم فيه من ضلال وهم يعبدون هذه الأصنام، وأن الله تعالى وحده هو المعبود بحق لا معبود بحق سواه، فهو الرزاق، أما هذه الأصنام فإنها لا تملك لهم رزقا، كما جاء الإخبار عن ذلك فى قول الله تعالى فى هذا السياق: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ • إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة: العنكبوت ١٦:١٧) لكن هؤلاء القوم ظلوا على ماهم فيه من التمادى فى المعصية والكفر، ثم جاهروا

بالتهديد والوعيد لسيدنا إبراهيم عليه السلام على النحو الذى جاء الإخبار عنه فى قول الله عز وجل: **﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (سورة: العنكبوت ٢٤) فما كان من سيدنا إبراهيم عليه السلام إلا أن قدّم لهم الإنذار الأخير الذى يؤكد لهم فيه ماهم عليه من ضلال وكفر، كما يؤكد لهم فيه العاقبة السيئة التى تنتظرهم فى الآخرة، كما جاء الإخبار عن ذلك فى قول الله تعالى **﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾** (العنكبوت: ٢٥) ثم جاءت آية الشاهد التى تسجل ثبات سيدنا إبراهيم عليه السلام على إخلاصه فى مداومة الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له **﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** إن النظرة البيانية ترى أن إعلان الهجرة إلى الله تعالى إعلان يوحى بما تقتضيه هذه الهجرة من طلب العون والتأييد من الله سبحانه وتعالى فى مثل هذه الأحوال التى كان يقوم فيها بالدعوة، وهو طلب اقتضى استحضار صفة العزة لله عز وجل فهو عليه السلام يستشفع بها ويطمئن إليها فى هجرته إلى ربه سبحانه وتعالى..

(٣١١) ومن هذه الشواهد القرآنية التى جاءت فيها صفة العزة مصاحبة لصفة الحكمة لله عز وجل لداع دعا إلى ذلك فى السياق ماجاء فى قول الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** (العنكبوت: ٤٢)، إن هذه الآية الكريمة جاءت تعقيبا على قصص الأنبياء الذين جاء الحديث عنهم قبل آية الشاهد. وهو حديث كان شاملا لما قام به هؤلاء الأنبياء من دعوة قومهم إلى عبادة الله تعالى، وترك ماهم فيه من الكفر، وماهم عليه من عبادة غير الله عز وجل، وقد كان من هؤلاء الأنبياء سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم وسيدنا لوط وسيدنا شعيب وسيدنا هود وسيدنا صالح وسيدنا موسى عليهم جميعا السلام، كما كان فى الحديث بيان العقاب الذى نزل بالقوم حين أصروا على كفرهم ولم يستجيبوا لدعوة أنبيائهم. أما قوم سيدنا نوح عليه السلام فهم الذين استحقوا هذا العقاب الذى جاء الإخبار عنه فى قول الله تعالى: **﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾** (العنكبوت: ١٤) وأما عقاب قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام فهو الذى جاء الإخبار عنه فى قول الله عز وجل: **﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾** (العنكبوت: ٢٥) وأما عقاب قوم سيدنا لوط عليه السلام فهو الذى جاء الإخبار عنه فى قول الله تعالى: **﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** (العنكبوت: ٣٤) أما قوم سيدنا شعيب عليه السلام فقد جاءت الإشارة إلى العقاب الذى نزل بهم فى قول الله عز وجل: **﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾** (العنكبوت: ٣٧) وأما العقاب الذى نزل بقوم سيدنا هود وسيدنا صالح عليهما السلام فهو

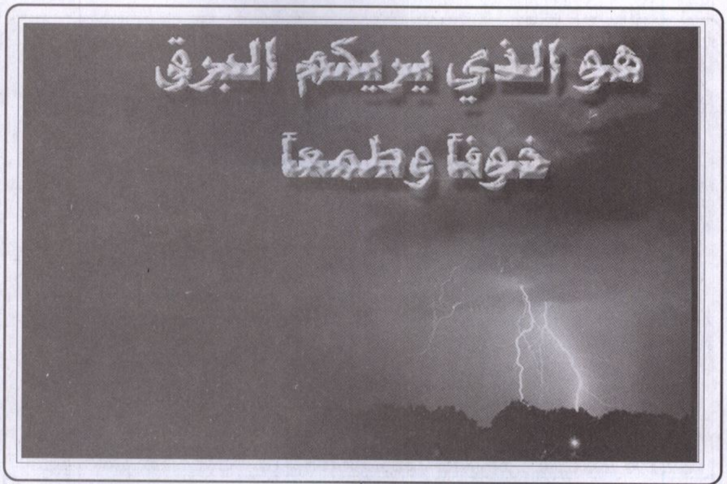

الذى جاءت الإشارة إليه فى قول الله عز وجل: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾

(العنكبوت: ٣٨) وأما العقاب الذى نزل بفرعون وقارون وهامان حين لم يستجيبوا لدعوة سيدنا موسى عليه السلام فقد جاءت الإشارة إليه فى قول الله عز وجل الذى أوجز أنواع العقاب الذى نزل بالكافرين: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ (العنكبوت: ٤٠).

ومع بيان هذا العقاب الذى استحقه هؤلاء الكافرون فقد جاء بيان الحكم فى الميزان الربانى على ما كان يؤثره هؤلاء الأقوام من عبادة لغير الله تعالى إنها العبادة الزائفة التى لاوزن ولا قيمة لها، وشأنهم فى ذلك كشأن العنكبوت التى اتخذت لها بيتا من خيوط لعابها، كما جاء الإخبار عن ذلك فى قول الله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١).

ثم جاءت آية الشاهد وفيها التعقيب على كل ما كان يعبده هؤلاء الكافرون وأن الله عز وجل يعلم كل ما كان عليه هؤلاء القوم من ضلال وهم يعبدون من دونه أصنامًا لا تنفع ولاتضر، وهو علم اقتضى أن ينزل بهم من العقاب مايستحقونه على النحو الذى أخبرت عنه الآيات السابقة تفصيلا، وهو عقاب يعطى دليلا وبرهانا على ما اتصف به الله تعالى من صفة العزة التى تنفى الشريك والتى ينزل بمقتضاها العقاب الذى يستحقه من جاهر بالمعصية ومن حارب الرسل الذين أرسلهم الله عز وجل لهداية البشر؛ وهذا هو ماتراه النظرة البيانية حول السر الذى دعا إلى المجىء بصفة العزة فى هذا المقام.

(٣١٢) ومن هذه الشواهد القرآنية التى جاءت فيها صفة العزة مصاحبة لصفة الحكمة لله تعالى لداع دعا إلى ذلك فى السياق ماجاء فى قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم: ٢٧) إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الآيات التى تحدثت عن قدرة الله تعالى فى خلق الإنسان وفى خلق الكون، ومايصاحبه من أحوال حياتية، فعن قدرة الله تعالى فى خلق الإنسان يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (الروم: ٢٠) وهى آية منظورة من خلال توالى الأجيال والأجناس. ومن هذه الآيات الإنسانية الدالة على قدرة الله تعالى آية التزاوج البشرى التى يقول عنها الله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١) ومن الآيات المنظورة فى الكون والإنسان خلق السموات والأرض وتعدد لغات البشر كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢) ومن الآيات التى يشعر بها

الإنسان فى حياته آية النوم واليقظة التى ارتبط بها النشاط الإنسانى كما قال عز وجل: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾** (الروم: ٢٣) ومن الآيات الكونية آية البرق والرعد ومايصاحبه من أمطار تحيا بها الأرض الموات كما قال الله تعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** (الروم: ٢٤) ومن الآيات الدالة على قدرة الله عز وجل ماسوف يحدث عند البعث والنشور عند إنتهاء الأجل المقدر لهذه الدنيا كما قال سبحانه: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ● وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾** (الروم: ٢٥:٢٦).

ثم جاءت آية الشاهد وفيها إجمال للحياة الكونية التى بدأت خلقا ثم إماتة ثم إعادة للحياة فى الآخرة وكل ذلك فى إطار القدرة التى لايعجزها شىء كما قال سبحانه: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾** (الروم: ٢٧).

إن هذا التعداد لمظاهر القدرة الربانية فى الكون والإنسان والحياة يعطى يقينا لدى من يفتحون قلوبهم وعقولهم لما يرونه فى أنفسهم فى كل لحظة من لحظات حياتهم، وفى كل حركة من حركاتهم، وفى كل نظرة من نظراتهم، ومع كل وجه من وجوه التدبر والتعقل والتنصت التى يكونون عليها على أن ذلك كله وغيره آيات دالة على أن الله تعالى وحده هو الخالق للإنسان وغير الإنسان، وهو الذى أعطى هذا الإنسان آلة الفهم والتعقل والتدبر وهو وحده خالق هذا الكون الذى يستطيع أن يقيم فيه حياته ويبتغى فيه من فضله. وهو وحده القادر على أن يجعل بعد هذه الحياة الدنيا حياة آخرة يثيب فيها الطائعين ويعاقب العصاة الكافرين.. إن كل هذه الآيات المنظورة وغير المنظورة تعطى دليلا ظاهرا وبرهانا ساطعا على أن الله تعالى وحده هو الموصوف بالصفات العليا التى لايشاركه فيها أحد من خلقه فى السموات والأرض كما جاء الإخبار عن ذلك فى آية الشاهد فى قوله سبحانه: **﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**.

التعداد لمظاهر القدرة الربانية فى الكون والإنسان والحياة يلزم بضرورة التدبر والتعقل

إن النظرة البيانية ترى أن هذا الحديث المتعدد حول قدرة الله عز وجل التى كانت وراء هذه الآيات هو الذى دعا إلى الإتيان بصفة العزة لله تعالى تعقيبا على البيان الذى جاء فى كل هذه الآيات الإنسانية والكونية فحيثما كانت القدرة تكون العزة لله رب العالمين.

التفسير اللغوى للقرآن الكريم (٣٦)

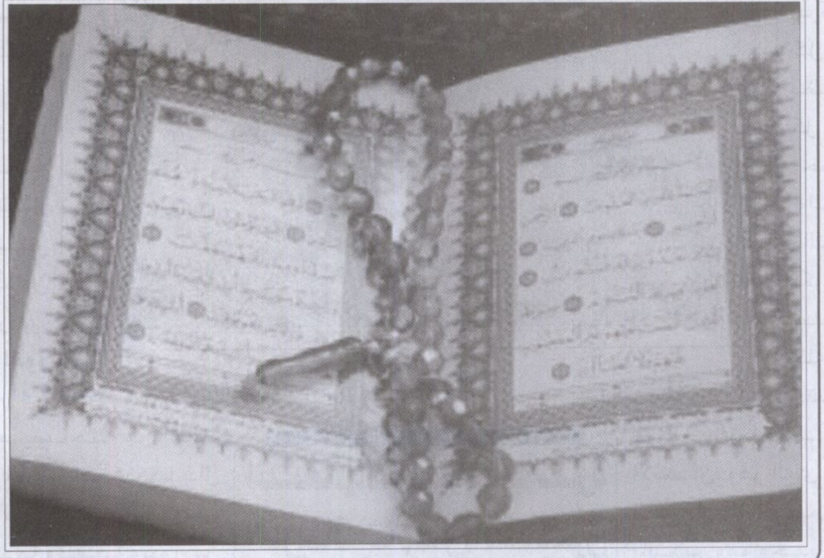

د/ عبد الغفار حامد هلال*

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ • وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ • أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ • تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(البقرة: الآيتان ١٣١، ١٣٤)

فى الآيتين الكريمتين الأوليين حديث عن قضية إسلام إبراهيم المتمثل فى التوحيد الخالص المبرأ من كل شائبة للشرك، وأن هذا هو دينه الذى ارتضاه لنفسه استجابة لما وجهه إليه ربه جل وعلا، وهو الذى ارتضاه لذريته من بعده أن تكون عقيدتهم الإسلام بإخلاص العبادة لله وحده، واستمرارهم عليه طوال حياتهم، وأن يدعوا الناس إلى ذلك لا يألون فيه جهدا.

والآيتان تتضمنان أمرين:

الأول: أمر الله تعالى إبراهيم بالإسلام واستجابة إبراهيم لمولاه.

والثانى: وصية إبراهيم ويعقوب لبنيهما بالإسلام.

فالأمر الأول: هو طلب المولى الجليل من إبراهيم أن يقوم على الإسلام واستجابته لمولاه - عبر عنه بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

* الأستاذ بجامعة الأزهر.

التزام أبناء يعقوب عليه السلام بالإسلام وثباتهم عليه لأنه دين أبيهم وأجدادهم ودين الأنبياء قاطبة

و(الإسلام) - فى كلام العرب - الخضوع والانقياد، وقول المولى سبحانه لإبراهيم (أسلم) معناه: أخلص دينك لله بالتوحيد وانقد له واخشع واخضع بالطاعة الخالصة والعمل الدائب فاستجاب إبراهيم لما دعاه إليه ربه وأخلص دينه له قائلا ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ولسائل أن يسأل: لم قال ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فعبر بالظاهر وكان مقتضى السياق أن يقول: (أسلمت لك) - بالتعبير بالضمير - لتقدم ذكر الرب فى قوله ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾؟

فالجواب: أن وضع الظاهر موضع المضمر - هنا - قصد به التعظيم لله تعالى، وفيه معنى لا يؤديه الضمير، فلفظ (رب) الأولى فى ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ﴾ أضيف إلى إبراهيم عليه السلام أما لفظ (رب) الثانى فقد أضيف إلى (العالمين) وفيه اعتراف بأن الله سبحانه رب الناس جميعا.

والأمر الثانى: وهو وصية إبراهيم ويعقوب لبنيهما بالإسلام - عبر عنه بقوله تعالى ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

الضمير فى (بها) يعود إلى الملة وهى الإسلام المفهوم من قول المولى سبحانه لإبراهيم (أسلم) وإجابة إبراهيم فى قوله (أسلمت).

ويجوز أن يعود الضمير فى (بها) إلى الجملة التى صدرت من إبراهيم جوابا لأمر ربه وهى قوله (أسلمت لرب العالمين) فهى كلمة ألقاها ووصى بها بنيه من بعده.

ويعقوب المذكور فى الآية هو ابن إسحاق بن إبراهيم، فإبراهيم جده ويعقوب عطف على إبراهيم فى قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾.

وأصل الكلام: ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب بنيه أيضا بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ (البقرة: ١٣٣).

وقد حذف (بنيه) من الثانى لدلالة الأول عليه وهذا الاكتفاء بحذف ما يفهم من الكلام أسلوب عربى دقيق.

وعبارة ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ صدرت من إبراهيم ويعقوب فكل منهما قالها لبنيه أى قال كل منهما: يابنى إن الله اصطفى لكم الدين.

وهذه الجملة فى محل نصب بقول محذوف أى: فقال: يا بنى، أو بفعل الوصية لأنها فى معنى القول على خلاف بين النحاة فى ذلك.

وقد أضاف البنين إلى ياء المتكلم فقال (يابنى) والياء - هنا - مفتوحة ولا يجوز إلا فتحها لأنها لو سكنت لالتقى ساكنان وذلك لا تقبله اللغة العربية.

وقوله (اصطفى لكم الدين): اصطفى معناه: اختار.

كما قال الراجز العربى:

يا ابن ملوك ورثوا الأملاكا
خلافة الله التى أعطاك
لك اصطفاها لها اصطفاكا

أى: اختارها لك واختارك لها.

والمراد بالدين المصطفى: الإسلام، فالألف واللام فى (الدين) للعهد لأن أبناء إبراهيم ويعقوب كانوا قد عرفوه لتكليف المولى سبحانه أباهم إبراهيم بالإسلام والتزامه بما كلف به.

وقد كسرت همزة (إن) فى قوله (إن الله اصطفى لكم الدين) لأن الفعل (وصى) بمعنى قال فكأنها وقعت بعد القول ويرى بعض النحويين تقدير فعل القول وأصل الكلام فقال يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين، فتكون قد وقعت بعد القول حقيقة.

وقد أمر إبراهيم ويعقوب أبناءهما بالالتزام

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

بالإسلام والاستمرار عليه إلى الموت فى قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

ظاهر العبارة النهى فى اللفظ عن الموت لكن المعنى المقصود هو الأمر بلزوم الإسلام والثبات والدوام عليه إلى وقت الموت، فالمراد: الزموا الإسلام ولا تفارقوه حتى تموتوا.

والطلب بلزوم الإسلام مأمور به على الفور وليس على التراخى كما قد يظن من ظاهر اللفظ، فإذا أمر الإنسان بشىء لا يأتيه الموت إلا وهو عليه فقد توجه الخطاب من وقت الأمر دائبا لازما.

والآيتان بعد ذلك هما: قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ● تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة: الآيتان ١٣٣ ، ١٣٤).

كان الكتاب المعاصرون للنبى ﷺ يزعمون أن يعقوب لما حضرته الوفاة أوصى بنيه باليهودية أو النصرانية وهم بذلك يريدون العناد والمكابرة بإنكارهم نبوة محمد ﷺ وما جاء به من دين الإسلام، وهم يعلمون أن اليهودية أو النصرانية لم يكن لها وجود فى زمن يعقوب على الإطلاق وأن التوراة والإنجيل يشهدان لهذا النبى (محمد ﷺ) بالإسلام الذى جاءت به كل الشرائع ورسالات السماء.

فجاءت الآيتان الكريمتان اللتان مرتا بك الآن لدحض فرية أهل الكتاب بنسبة اليهودية أو النصرانية إلى يعقوب وتنفيد زعمهم أنه أوصى بها بنيه، فوصية يعقوب هى وصيته وجده إبراهيم لبنيه بالتزام الإسلام وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

والآيتان تتضمنان رد القرآن الكريم فرية أهل الكتاب بثلاثة أدلة هى:

الأول: تكذيبهم لعدم حضورهم وفاة يعقوب وبعد زمنه من ظهور اليهودية أو النصرانية.

والثانى: وصية يعقوب لبنيه بالإسلام.

والثالث: عدم الاتكال على السابقين، فلكلٍ عمله وجزاؤه.

فالدليل الأول: وهو تكذيبهم لعدم حضورهم وفاة يعقوب - عبر عنه بقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾.

شهداء: جمع شاهد أو شهيد بمعنى حاضر، و(أم) منقطعة والمنقطعة تقدر بـ (بل) وهمزة الاستفهام - على المشهور عند اللغويين - ومعنى الاستفهام الإنكار والتوبيخ فيؤول معناه إلى النفى أى: بل أكنتم شهداء يعنى لم تكونوا، أو بل أشهد أسلافكم وفاة يعقوب بمعنى لم يشهدوا.

والخطاب - هنا - لأهل الكتاب الذين ينسبون إلى يعقوب ما لم يوص به بنيه من اليهودية أو النصرانية، فرد الله تعالى عليهم كذبهم وقال لهم على جهة التوبيخ: أشهدتم وفاة يعقوب وعلمتم بما أوصى فادعيتم ما زعمتم عن علم؟ أى: إنكم لم تشهدوا ولم يشهد أسلافكم وصية يعقوب لبنيه بل أنتم تفترون ففى زمن يعقوب لم يكن لليهودية أو النصرانية وجود مطلقا، وإنما كان الإسلام دين يعقوب ودين أبنائه كما هو دين الأنبياء جميعا وهو الذى ورد فى التوراة وذكره الإنجيل قبل تحريفهما، فأنكرتموه.

والدليل الثانى: لدحض فرية أهل الكتاب - هو وصية يعقوب لبنيه بالإسلام وقد عبر عنها بقوله

ما أدق العبارة القرآنية حين تستغنى عن شىء يُفهم من السياق

تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

سؤال من يعقوب وجواب من الأبناء بالالتزام بالإسلام والثبات عليه لأنه دين أبيهم ودين أجدادهم الأوائل من عهد إبراهيم عليهم السلام.

و(ما) فى قوله (ما تعبدون) اسم استفهام أى: أى شىء تعبدون؟

وعبر بـ (ما) التى تستعمل - غالبا - لغير العقلاء لينفى من أذهانهم هذه المعبودات التى لا تعقل وينصرف إليها بعض جهال الناس كالأوثان والأصنام والشمس والقمر وغيرها، فعرف بنوه ما أراده وأن المعبود بحق الذى يجب التوجه إليه هو الله سبحانه وتعالى.

ولسائل أن يسأل: لم كرر لفظ (إله) فى قوله (إلهك وإله آبائك) ولماذا قال بعد ذلك (إلها واحدا) مع أنه بمعناه؟

فالجواب: أنه أعاد ذكر (إله) فى قوله (إله آبائك) ولم يكتف بذكره قبل ذلك ليصح العطف على ضمير المخاطب فى (إلهك) إذ لا يجوز العطف على الضمير المخفوض إلا بإعادة الخافض كما قال ابن مالك فى ألفيته:

وعود خافض لدى عطف على
ضمير خفض لازما قد جعلا

ولما كان ظاهر هذا العطف ربما يتوهم منه تعدد الإله أتى بالبدل وهو قوله (إلها واحدا) لدفع هذا التوهم.

وهذه دقة لغوية ترعى جانب التركيب اللفظى وجانب المعانى وما أعلى القرآن فى ملاحظة هذا وذاك.

ولسائل أن يسأل أيضا: لم عد إسماعيل من آباء يعقوب مع أنه عمه وليس من آبائه؟

فالجواب: أن العرب تسمى العم أبا، وعم الرجل صنو أبيه أى مثله فى أن أصلهما واحد.

وقد ختمت إجابة الأبناء لأبيهم يعقوب بقولهم (ونحن له مسلمون): فهم على دين الإسلام خاضعون طائعون إذ هو دين آبائهم ودين الأنبياء قاطبة مهما تتنوع شرائعهم وتختلف مناهجهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: الآية ٢٥). وكما قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (سورة آل عمران: الآية ٨٣).

والدليل الثالث: الذى ساقه القرآن الكريم لإبطال زعم أهل الكتاب - هو عدم الاتكال على السابقين فلكلٍّ عمله وجزاؤه - وقد عبر عنه بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ جاء هذا تهديدا وزجرا لأهل الكتاب الذين يريدون إلحاق أنفسهم بالسابقين من الأنبياء دون أن يتابعوهم بالإيمان والتوحيد الخالص واتباع رسل الله، فلا يحق لأحد أن يفخر بعمل آبائه وإنما يحق له أن يفخر بعمله فلكل إنسان عمله وعليه جزاؤه كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (سورة الأنعام: الآية ١٦٤).

و(الأمة) - هنا - هى أمة الأنبياء إبراهيم ويعقوب وبنيهما وأنث اسم الإشارة (تلك) لتأنيث (أمة) وكان مقتضى الظاهر أن يقول (هؤلاء أمة)، و(خلت) بمعنى مضت أو سلفت، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تأكيد لما سبق فى قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ فقد أفاد ذلك أن كسب كل أحد مختص به إن خيرا فخير وإن شرا فشر وهذا هو معنى أن كل إنسان يسأل عن عمله ولا يسأل عنه غيره.

وقد حذف طرف آخر من الكلام وأصله ﴿وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولا يسألون عما كنتم تعملون فحذف الجملة الثانية، وسر الحذف دلالة ما قبله عليه فى قوله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾.

وما أدق العبارة القرآنية حين تستغنى عن شىء فهم من السياق.

يا الله

رفعت عبد الوهاب المرصفى

قلبى يطيب إذا ذكرت الله ... والنفس تسبح فى السنا فتراه
والروح تسمو توبة وضراعة ... وتحن كل جوارحى لضياه
عجبًا لمن ضل الطريق إلى الهدى ... عجبًا لعبد أغلقت عيناه
عجبًا لقوم ينكرون وجوده ... سبحانه - غمر الوجود سناه
هلا رأوا آياته فى خلقهم ... وتفكروا فى أرضه وسماه؟
قلبى يطيب إذا نطقت - «الله» ... وتذوب نفسى تشتهى لقياه
ألقُ الحروف على الفؤاد يهزه ... هز المحب إذا الحبيب دعاه
الله - تجرى باللسان حروفها ... فتشع نوراً فى المدى وصلاه
ألف - تشق الكون فى إشراقها ... وتفيض طرحا فى الورى مسراه
لامٌ - تعمُ الدهر من نفحاتها ... وتبث فى قلب الجماد حياه
لامٌ - تمس الخلق من أسرارها ... وسلو الوجود من الذى يرعاه؟
والهاء - لحن من نشيد ساحر ... يشفى العليل إذا الطبيب عصاه
«الله» تطلق فى البرايا قبسة ... فتمكن المظلوم من شكواه
«الله» تطلق فى الحنايا سرها ... فتخفف المحزون من بلواه
«الله» - تشرق فى العروق فتستحى ... منها العروق وتهتدى بالله
هل كان منا - من يتوه سفينه ... وهو الذى فى عزه وحماه
رباه - غوثا من زمان مقفر ... تاهت على درب الوجود خطاه؟
أدمى قلوب المؤمنين نكاية ... غطت دماء المخلصين ثراه
رباه - لسنا معرضين وإنما ... نرجو الصمود لكل ما نلقاه

احذر

الطريق إلى الهاوية

الإدمان

تعتبر مشكلة تعاطى المخدرات أو إدمانها من المشاكل الاجتماعية التى تؤثر على بناء المجتمع وأفراده بما يترتب عليها من آثار اجتماعية واقتصادية ونفسية وصحية سيئة تنسحب على كل من الفرد والمجتمع، كما أنها ظاهرة اجتماعية مرضية تدفع إلى عوامل عديدة بعضها يتعلق بالفرد، والآخر بالأسرة، والثالث بالبناء الاجتماعى العام للمجتمع وظروفه، وتتضح خطورة هذه المشكلة فى أثر سلوك المتعاطين أو المدمنين على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والقانونية فى المجتمع الذى يعيشون فيه حيث يتمثل ذلك من الناحية القانونية فى ازدياد معدلات المخالفات والجرائم التى يرتكبونها نتيجة الاستغراق فى السلوك المنحرف، الأمر الذى يتطلب مزيداً من إجراءات الشرطة والقضاء لمواجهة هذه المشكلة، كما يتمثل الجانب الاقتصادى فى الخسائر التى تعود على المجتمع جراء فقده لهذه العناصر البشرية التى كان من الممكن أن تساهم فى عملية البناء والتنمية فى المجتمع حيث يعتبر المتعاطون خسارة على أنفسهم وعلى المحيطين بهم من حيث إنهم قوى عاملة معطلة عن العمل والإنتاج يعيشون على ذويهم وعلى المجتمع، وإن انتجوا فإنتاجهم ضعيف لا يساعد على التقدم أو التنمية بل قد يكونون فى مستقبل حياتهم عوامل هدم وتعويق لعملية الإنتاج الذى يتطلب عقولا وأبدانا صحيحة، وهذا لايكون متوافراً نتيجة تعاطى المخدرات أو غيرها من المظاهر المرضية التى تهدد أمن المجتمع.

وإزاء خطورة هذه المشكلة وتفاقمها، نحن ندق ناقوس الخطر مطالبين بتضافر الجهود للقضاء عليها حتى لا تستشرى وتهدد بنيان المجتمع.

وحرصا من مجلة «منبر الإسلام» على إلقاء الضوء على هذا الموضوع المهم كان هذا الملف عن «الإدمان .. الطريق إلى الهاوية».

د. عبد الباسط محمد سيد:

إدمان المواد المخدرة يدمر خلايا المخ

أكد الدكتور **عبد الباسط محمد سيد** - رئيس جمعية الإعجاز العلمى للقرآن والسنة - : «أن التدخين من أهم الأسباب المؤدية إلى الإدمان، ومما لا شك فيه أن عدم وجود خلفية دينية داخل الأسرة يحدث اضطرابًا فى العلاقة مع الله، لأن الإنسان عندما يكون على علاقة قوية بربه فإنه يراقبه فى السر والعلن، بالإضافة إلى إهمال الأسرة فأصبح دورها والمدرسة ضعيف جداً، ومن المفترض أن يصاحب الأب ابنه لقول الرسول ﷺ: **«من كان له ابن فليتصابى له»**، فلابد من مراقبة الأبناء ومصاحبتهم

أعد الملف للنشر محمد كامل شاهين - شيماء نزيه عطية - أمل عدلى

د. هاجر سعد الدين:

ضعف الوازع الدينى أول أسباب تعاطى المخدرات

وعند حدوث تغيرات كالإكثار من شرب الشاى والتدخين وشحوب الوجه والشفتين وإحمرار العينين يجب الذهاب إلى الطبيب.

وأضاف أن المخ يقوم بإفراز ٧٢٪ من مادة الأندروفين، وعندما يتعاطى الشخص المواد المخدرة فإنه يقل تركيزها داخل الجسم، وعندما تقل فإن الجسم يعتمد على المواد المخدرة بشكل أساسى مع اعتقاد الشخص أنها ستعطيه القوة، مع أنها قوة كاذبة لأنها تقوم بإلغاء مادة الأندروفين فى المخ، ومع استمرار الإنسان فى الإدمان فإنه يؤدى إلى آثار غير حميدة تماماً قد تصل إلى مرحلة العجز الجنسى، وأرجع ذلك إلى أصدقاء السوء لأن الانسان يعرف بصديقه لقول الرسول ﷺ: «**الإنسان يحشر مع خليله فانظر من تخالل**».

وأوضح أن غالبية المدمنين من الشباب فى سن المراهقة «مرحلة الإعدادية» والبداية تكون فى التدخين أو تعاطى المخدر، وينبغى أن ننبه المراهقين إلى خطورة التجربة الأولى، وأهمية الحرص على عدم الإقدام عليها، وتزداد مشكلة تعاطى المراهق للمخدرات تفاقماً عندما يتعاطى المراهق مع مجموعة من الأصدقاء، فذلك الانتماء الوجدانى لجماعة إدمانية يعزز لديه شعور العضوية فى جماعة متوحدة المشاعر والعواطف، وعلى تلك البدايات يدخل المراهق عالم السرية بكل أخطاره من خلال عالم المخدرات، وذلك أمر يتوافق مع طبيعة مرحلة المراهقة، وبتعاطى المخدرات يزداد التسمم يوماً بعد يوم ويضطر إلى زيادة الجرعة للوصول إلى نفس الأثر.

هنا تتغير مشاعره العاطفية تجاه والديه، وأفراد أسرته، ومجتمعه المدرسى تحت تأثير الخوف ومشاعر الذنب، ويصبح الإدمان مشكلة شخصية تتمثل فى الاعتماد الجسمى وما يصاحبه من نتائج نفسية وسلوكية واجتماعية، وتظهر الحاجة إلى المال لشراء المخدر، ويضطر للسرقة من منزله أو من خارجه، ويتعرض للفصل من المدرسة لعدم التوافق مع المجتمع المدرسى، وفى حالات كثيرة من المدمنين تم فصلهم من المدرسة دون علم الأسرة لوقت طويل، وقد يتعرض لطائلة القانون، وبذلك يكون المراهق قد هبط بالتدريج إلى قاع عالم المخدرات، ويحتاج إلى تدخل علاجى منظم وبدون حصول المدمن على العلاج فى برنامج علاجى بأحد مستشفيات علاج الإدمان يظل ومعه الأسرة فى دوامة لا تنتهى من المشكلات المؤلمة.

د. على ليلة:

ضرورة احتضان الآباء والأمهات لأبنائهم وتوعيتهم بالبعد عن أصدقاء السوء

وركز على أن الوقاية من الوقوع فى مشكلة الإدمان تعتمد على:

- التوعية المستمرة بمشكلة الإدمان بين قطاعات المراهقين بأسلوب يتناسب مع طبيعة فهمهم وخصائصهم الشخصية حتى لا تأتى بنتائج عكسية، وضرورة اتباع الآباء لأساليب تربوية تعتمد على الحوار المتبادل بينهم وبين الأبناء وخاصة فى مرحلة المراهقة، وكذلك المتابعة المستمرة من الأسرة للأبناء بأسلوب غير منفر وبعيد عن التسلطية، بالإضافة إلى التقويم والتدخل السريع لمعالجة أى انحرافات سلوكية أولا بأول .

أما عملية العلاج فهى تعتمد إلى حد كبير على مدى تقبل الأسرة للمريض ورغبتهم فى مساعدته للتغلب على تلك المشكلة، وهذا بالطبع لا يقلل من أهمية دافعية المريض ذاته ورغبته فى العلاج، فلابد من توافر كلا الشرطين حتى تأتى عملية العلاج بالنتائج المرجوة منها .

تجربة المخدرات

وعن رأى الإعلام فى مشكلة المخدرات تقول د. هاجر سعد الدين - رئيس إذاعة القرآن الكريم السابقة -: «إن عدم مراعاة الأسرة لأبنائها ومراقبتهم فى حياتهم اليومية يدفع الأبناء إلى الاختلاط بأصحاب السوء، مما ينسحب بدوره إلى تجربة المخدرات، وبالتالى انزلاقهم إلى دائرة المدمنين.. إلى جانب بعض الأفلام التى تعرض المدمنين دون التركيز على الآثار السيئة للإدمان.

وتضيف إن أول أسباب تعاطى المخدرات يتمثل في ضعف الوازع الدينى لدى الشباب، ولذلك يجب على المؤسسات الدينية أن تتضافر لتحصين الشباب من خطر الإدمان من خلال توعيتهم بآثاره المدمرة وتعليمهم السلوكيات والأخلاق الحميدة.. وفى حالة حدوث مشكلة للشاب عليه اللجوء إلى الله عز وجل حتى يحميه من الانزلاق فى الإدمان.

وأشارت د. هاجر سعد الدين إلى أن الإدلاء بأية معلومات عن أوكار تجار المخدرات لرجال الشرطة واجب وطنى لأنه يساعد فى إنقاذ الشباب بل والدولة بأكملها.

د. سهير لطفى:

تفجير طاقات الشباب الخلاقة ومنحهم الأمل فى الغد يجعلهم حاضر الأمة ومستقبلها

كما أوضحت أن الأدلة الشرعية أكدت على حرمة تعاطى المخدرات لقوله تعالى: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ (البقرة: الآية ١٩٥)، ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما**﴾(النساء: الآية ٢٩) مما يتبين معه حرص ديننا الحنيف على الحفاظ على النفس البشرية بالنهى عن الإضرار بالنفس والإلقاء بها فى المهالك والمحافظة عليها من المخاطر.. ويعد الحفاظ على النفس والعقل من المقاصد الكلية الخمسة فى الإسلام، ومن أجل ذلك حرم على الإنسان كل ما يذهب عقله أو يضر نفسه، ومن المعلوم أن فى تعاطى المخدرات هلاكا ظاهرا وإلقاء بالنفس فى المخاطر، والقواعد الشرعية تقتضى أيضا بحرمة المخدرات، حيث ثبت أن الإدمان فيه ضرر حسى ومعنوى للإنسان، وما كان ضارّا فهو حرام لحديث الرسول ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»، كما أن تعاطيها يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية فى محافظتها على العقل والنفس والمال وهو ما يعد من الضروريات الخمس.

ولا تقتصر حرمة المخدرات على تناولها فقط، بل يشمل ذلك زراعتها والاتجار فيها.. والشرع عندما حرم الخمر حرم كذلك كل الأسباب المؤدية إلى تداولها.. لعن بائعها ومبتاعها وآكل ثمنها، وعاصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، ويقاس على ذلك المخدرات لوجود عامل مشترك بينهما وهو مطلق تغييب العقل.

وأوضحت أن هناك دورًا كبيرا للمدارس فى مجابهة ظاهرة المخدرات من خلال الأنشطة التى يمارسها الشباب داخل المدرسة كالألعاب والرياضات التى تساهم بجدية فى شغل أوقات فراغهم وإبعادهم عن الوقوع فى دائرة الإدمان.

العزلة

أما عن تناول علم الاجتماع ظاهرة الإدمان فيقول أ.د **على ليلة** - أستاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس -: «الإدمان هو اعتياد الإنسان على تعاطى شىء ما كتعاطى مخدر، أو أى اعتياد على جانب من جوانب الحياة أما إدمان المخدرات فهو اعتياد الفرد على تعاطيها دون القدرة عن التوقف عنها».

وعن علامات الشخص المدمن أكد د.ليلة على ميل المدمن إلى العزلة وعدم استطاعته إقامة علاقات إجتماعية مع الآخرين، ويلاحظ المحيطون

د. أحمد جمال ماضى أبو العزايم:

الإدمان مشكلة من أعقد المشكلات التى تواجه المجتمعات لخطورة الأضرار التى تسببها للفرد والمجتمع

به ضياع أشياء من المنزل لبيعها وشراء المخدر، كما أن المدمن يتسم بالعدوانية مع الآخرين عندما يقع تحت تأثير المخدر.

وعن ظاهرة تفشى الإدمان فى المجتمع أضاف د. ليلة أنه إذا كان المجتمع لديه مجموعة من الهموم العامة، وكانت هناك ظروف اقتصادية صعبة انتشر الإدمان فى المجتمع.

أما عن العوامل التى تؤدى إلى الإدمان فأوضح أن هناك مجموعة من العوامل العامة والوسيطة كالتفكك الأسرى، وأصدقاء السوء وتوفر المخدر بسعر رخيص يؤدى إلى ظاهرة الإدمان.

وعن التقليد الأعمى بين الشباب فى تعاطى المخدرات أشار إلى أن بعض الشباب يتعاطى المخدر بشكل تقليدى، ولكن التقليد له أساس بمعنى أنه إذا انتمى الفرد لأسرة مفككة ورأى أحد أصدقائه يتعاطى المخدرات ويشعر بالسعادة عند تعاطيها.. فبالتالى يتناول هو الآخر المخدرات.

ويرى د. ليلة أن بعض القنوات الفضائية لها دور فى تفشى ظاهرة الإدمان من خلال تناول الدراما للفئة التى تتناول المخدرات فيتعلم الشباب منهم كيفية تعاطى المخدرات وأماكن شرائه.

وأضاف د.ليلة أن المدمن من وجهة نظر الدراما يظهر بصورة غير التى يظهر بها فى الواقع.. ففى الواقع يكون المدمن ذليلا للمخدر وينتقص من إنسانيته فيشعر بالدونية.

أما عن تأثير الخطاب الدينى نحو هذه الظاهرة يؤكد د. ليلة على ضرورة تطوير الخطاب الدينى ليخاطب الشباب عن ظاهرة الإدمان. وأثرها على الفرد والأسرة وكيفية مواجهتها.

ويختتم د. ليلة حديثه عن الإدمان بأنه ينبغى المحافظة على الكيان الأسرى من خلال احتضان الآباء والأمهات لأبنائهم وتوعيتهم بضرورة البعد عن أصدقاء السوء وما يترتب عليه من تناول المخدرات، وهذا يعد من أهم سبل الوقاية من هذا الخطر الفتاك.

مشكلة الإدمان

وتؤكد أ.د سهير لطفى ـ أستاذ علم الإجتماع ورئيس صندوق مكافحة وعلاج الإدمان الأسبق ـ أن مشكلة الإدمان لها آثارها السلبية على الإنسان حيث تقول: «الإدمان هو اعتماد الإنسان النفسى والفسيولوجى على مادة من الخارج، وصعوبة

المستشار ابراهيم خليل:

اكتشاف الإدمان مبكرًا أمر مهم وضرورى فى علاج المدمن

إدمان الكمبيوتر حيث يجلس الشاب ساعات طوال أمام جهاز الكمبيوتر متناسيا تماماً حياته اليومية، وكذلك الشاب الذى يستمع إلى الموسيقى الصاخبة واضعاً السماعات على أذنيه.. فأى مؤثر خارجى يعتمد عليه الإنسان يعتبر إدماناً.

الاستغناء على هذه المادة فى حياته اليومية، واستمرارية اعتماده عليها تؤدى إلى العديد من المشاكل الصحية والنفسية بل تؤدى فى كثير من الأحيان إلى الموت».

تعدد أشكال الإدمان

وتضيف د. سهير لطفى أن المدمن لا يكون مدمنا فجأة بل أنه يجرب المخدرات من منطلق حب الاستطلاع والمعرفة، وإثبات الذات فى بعض الأحيان، وفى أحيان أخرى يجرب فقط ثم يتوقف، والبعض الآخر يستمر فى التجربة ويحصرها فى المناسبات والأعياد، وتكرار ذلك يؤدى إلى دخوله فى دائرة الإدمان.

وأوضحت أن هناك فرقًا بين المتعاطى الذى يتناول المخدرات فى المناسبات، والمدمن الذى يستمر فى تعاطيه للمخدرات.

وأشارت إلى أن هناك أشكالا عديدة للإدمان مثل:

وعن الأسباب التى تؤدى بالإنسان إلى دخوله دائرة الإدمان أشارت إلى أننا لا نرجع مشكلة الإدمان إلى سبب واحد وإنما إلى مجموعة من الأسباب وهى: ١- أن الشاب لم يكتشف قدرات نفسه بحيث يستطيع أن يحقق طموحاته العملية والحياتية التى يتمناها ويصبو إليها، كما أن الأسرة مشغولة فى جمع المال، وهذا يؤثر تأثيراً كبيراً على رعاية الآباء والأمهات لأولادهم وتقصيرهم فى حق أبنائهم مما يؤدى إلى العديد من المشاكل ومنها الإدمان.

وأضافت إن الجريمة المنظمة العالمية تدرس المشاكل فى الدول المختلفة دراسة جيدة، ومنها مشكلات الشباب، وتستطيع من خلال ذلك أن تنفذ إليهم، فهناك تزاوج بين الجرائم المختلفة سواء كانت تجارة سلاح أو مخدرات أو تجارة البشر.. إلخ.

روشتة علاج

وأكدت د. سهير لطفى أن الإدمان لابد له من

د. فادية أبو شهبة:

الإدمان نوع من الانتحار لأنه يدمر المخ

روشته علاج واضحة المعالم تتمثل فى تفجير طاقات الشباب الخلاقة وإعطائهم الأمل فى الغد يجعلهم حاضر الأمة ومستقبلها، وتوظيفهم كل فى مجاله الذى يتناسب معه، ويستطيع أن يثبت نفسه، فالاعتماد على علاج الإدمان فى المستشفيات فقط لا يكفى سوى ١٠٪ والباقى يقع على عاتق الأسرة، وسلوكيات الفرد وانضباطه.

ويؤكد أ.د. أحمد جمال ماضى أبو العزايم رئيس الاتحاد المصرى للوقاية من الإدمان أن الإدمان مشكلة من أعقد المشاكل التى تواجه المجتمعات فى الوقت الحاضر نظراً لمدى الأضرار التى تسببها للفرد والمجتمع ولكونها مشكلة تصيبه فى الصميم فقد اجتهد العلماء فى بحث أسباب تلك المشكلة من جوانبها المختلفة وظهر تبعًا لذلك عدة نظريات تناقش هذه الأسباب:

أولا: النظرة الاجتماعية للإدمان

عادة ما يفسر الإدمان من الوجهة الاجتماعية البحتة على أنه نتيجة ضغوط المجتمع الذى يعيش فيه الفرد كالفقر، والأسرة المفككة، الفراغ الخالى من الأهداف... إلخ.

ويلجأ المراهق إلى إدمان المخدرات لعدة أسباب هى:

(أ) حب الاستطلاع أو مسايرة لأصحابه أو للمغامرة أو كتعبير عن التمرد على المجتمع.

ويضيف قائلا: «نستطيع أن نحدد أهم الاتجاهات الاجتماعية لتفسير الإدمان وهى:-

١- الدور الاجتماعى: أصحاب هذا الإتجاه يرون أن الانحرافات السلوكية عامة وإدمان المخدرات خاصة ناتجة عن مشاعر القلق المتزايد التى تشيع لدى بعض الأفراد الذين يفشلون فى أداء أدوارهم الاجتماعية بالطريقة التى يتوقعها منهم المجتمع، فمن المعروف أن للدور الإجتماعى شأنًا كبيرًا فى شعور الفرد بذاته، وكلما أدى الفرد أدواره الاجتماعية بالطريقة التى يتوقعها المجتمع قل القلق لديه.

٢ - الخلل الوظيفى فى النظام الاجتماعى:

أصحاب هذا الاتجاه يرون أن وجود مشكلة اجتماعية فى قطاع ما يعنى بالضرورة وجود خلل وظيفى، وعليه فإن كل اهتماماتهم تنصب نحو دراسة الآثار المترتبة على أى انحراف أو خلل اجتماعى فإذا كان ذلك يسبب خللا وظيفيا للمجتمع

فإنهم يعدونه مشكلة اجتماعية، وهم بذلك يركزون فى دراساتهم للإدمان على أعداد المدمنين وتوزيعهم الجغرافى وفئاتهم وإنتاجياتهم فى العمل، والبطالة بينهم.. إلخ

٣- العوامل البيئية:
يهتم أنصار هذا الاتجاه إلى الربط بين انحرافات السلوك المختلفة وبين البيئة التى يحيا فيها المدمن، والتى تتضمن ضغوطا مختلفة سيئة، وأوضاعًا قاصرة حضاريّا بحيث تساعد على اكتساب أنواع شتى من السلوك المرضى أو المضاد للمجتمع والقانون، وتتميز هذه المناطق.

١- شيوع المساكن المتهدمة والضيقة والمزدحمة التى عادة ما تكون فى الأزقة، وفى أطراف المدن التى لا تتوفر فيها الشروط الصحية.

٢- ارتفاع نسبة البطالة، ومن ثم انخفاض المستوى الاجتماعى والاقتصادى.

٣- انتماء السكان إلى أنماط ثقافية مختلفة.

ثانيا: النظرة النفسية للإدمان:

اختلفت آراء علماء النفس حول الخصائص النفسية ونوع الشخصية التى يتميز بها المدمن عن غير المدمن، فيرى البعض أن الاكتئاب هو العامل الأساسى للإدمان سواء كان ذلك عند التجربة الأولى أو عند العودة إليه بعد الانقطاع.

فالمدمن يعانى من اكتئاب مزمن قبل استخدام المخدر مع عدم القدرة على تحمل الضغوط عليه، فهناك أنماط متعددة لشخصيات المدمنين تميزهم عن غيرهم من المدمنين وهى:

١- المرضى الذين تحولوا إلى مدمنين لارتباط

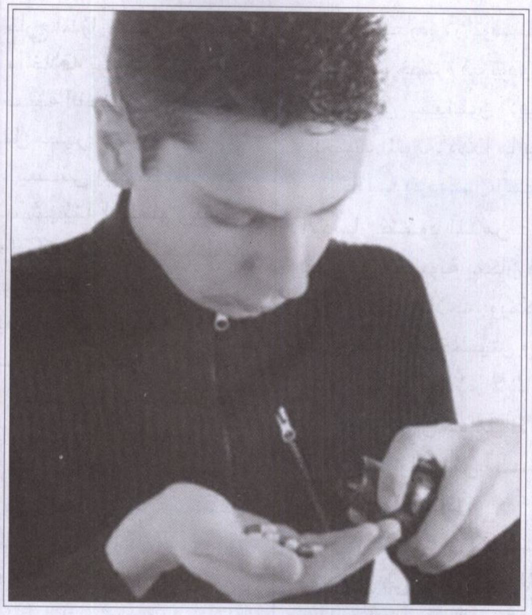

الإدمان لديهم بالتخلص من الألم، ويتسم هولاء المرضى بعدم النضج، والرغبة فى الهروب من الواقع إلى سحر المخدرات.

٢- الإدمان المرتبط باضطرابات الشخصية أو بالمرض النفسى ويتسم هؤلاء بأن لهم خصائص سيكوباتية (الاكتئاب - توتر - عدم الأمان - الفشل فى إقامة علاقات مع الآخرين).

٣- الإدمان المرتبط بالعوامل الثقافية والاجتماعية، ولا توجد أى خصائص خاصة بهم سوى القول بتفضيل عقار «دواء» تحدده تلك العوامل.

وعن الاكتشاف المبكر للإدمان يقول د. أحمد جمال ماضى أبو العزايم هناك العديد من الأعراض أهمها:-

١- العصبية والعزلة عن الأسرة: تتزايد عصبية وتوتر المتعاطى عن ذى قبل، ويصبح سهل الاستثارة، وعدوانيا وشديد الحساسية، كما ينسحب من جو وأنشطة الأسرة، ويصبح أقل تعاوناً وأكثر غضبا واكتئاباً، وينعزل كمن يخفى سراً ويخشى افتضاحه وقد يصاحب ذلك العثور على بقايا المواد الدالة على التعاطى كزجاجات العقاقير، أو لفافات السلوفان أو غيرها.

٢- تغيير الاهتمامات والأصدقاء: يتخلى المتعاطى تدريجيا عن أصدقائه القدامى الملتزمين الجادين، ويلتقى بنوعية جديدة من أصدقاء التعاطى، وينشغل بهم إلى حد النسيان كالمناسبات العائلية المهمة مختلقا الأعذار الواهية سواء للتغيب

عنها أو لقضاء أطول وقت خارج المنزل بعيداً عن رقابة الأسرة وتتغير عاداته ولغته وأخلاقه تبعاً لذلك فيصبح أقل حياء، ويستخدم فى حديثه ألفاظا بذيئة لم يكن يستخدمها من قبل، وقد يهمل مظهره بصورة لافتة.

٣- **تدهور الصحة:** يعانى المتعاطى من اضطرابات صحية فيفقد شهيته للطعام وينقص وزنه وتضطرب حواسه وإدراكه للواقع المحيط به كما يختل لديه نظام النوم واليقظة.

٤- المراوغة والكذب: يعيش المتعاطى عالما تزداد فيه العزلة وتقل فيه المشاركة، ويضطر إلى إخفاء سلوكه السيىء ولذلك لا تسعفه إلا سلسلة من الأكاذيب يستسهل بها القول حتى يعتاد عليها.

وعن دور أولياء الأمور فى مراقبة أولادهم حتى لايقعوا فى براثن الإدمان. يقول د. جمال أبو العزايم: «على أولياء الأمور أن يقوموا بالبحث وراء أبنائهم عن الآتى»:

١- أين ينفقون مصروفهم، والحد من حجم هذا المصروف.

٢- ملاحظة وجود أدوية أو حبوب مهدئة أو منومة فى ملابسه الشخصية.

٣- مراعاة وجود أشياء غريبة فى مكتبه أو وجود سرنجات فارغة أو ورق سوليفان أو لفافات غريبة.

هذه هى أغلب المظاهر التى تظهر على متعاطى المواد المخدرة، كما يجب على أولياء الأمور مراقبة أولادهم بصفة مستمرة فى المراحل العمرية من سن ١٣ سنة - إلى ٣٠ سنة، وسرعة التحرك الإيجابى عند اكتشاف أى من الأعراض أو المظاهر، ويقوموا بمصارحة أبنائهم بأسلوب هادىء بعيد عن العنف والتوتر.

نوع المخدر

يقول المستشار **إبراهيم خليل** ـ المستشار بالنقض والإدارية والدستورية العليا ـ: إن الإدمان عرفته منظمة الصحة العالمية: «بأنه حالة من التخدير المؤقتة أو المزمنة التى تنشأ عن تكرار تعاطى مادة مخدرة طبيعية أو تخليقية وتحدّث عن أنواع الإدمان قائلا:

أولا الإدمان الجسمى: وفى هذا النوع من الإدمان يتعود المدمن على نوع المخدر، فيتشبع بها الجسم تشبعا كبيرا يصعب معه التوقف عن تعاطى هذه المواد المخدرة، لأن توقفه فجأة يصاحب الجسم مضاعفات خطيرة قد تؤدى بالمدمن إلى الوفاة، خصوصا أولئك الذين يتعاطون الأفيون ومشتقاته والكوكايين والحبوب المنومة، وهذا ما يسميه البعض بالإدمان.

ثانيا الإدمان النفسى: وفى هذا النوع من الإدمان يتعود المدمن على نوع من المخدرات الذى ليس من الصعوبة بمكان التوقف عنه فجأة، لأن هذا النوع يسهل علاجه، ويمكن التخلص من مضاعفاته، مثل تعاطى الحشيش والحبوب المنبهة والمنشطة وشم البنزين وطلاء الأظافر.

وأضاف إن عوامل الإدمان تتمثل فى: الاستعداد الشخصى والنفسى وعدم تكيف المدمن مع مجتمعه بما فيه من مشاكل.

وركز على أن اكتشاف الإدمان مبكرا أمر مهم وضرورى فى سبيل علاج المدمن فى المراكز المتخصصة بالطرق العلمية السليمة، وقد أجريت دراسات عديدة بهدف التعرف على الأعراض والظواهر التى تظهر على الشخص المدمن، وعن طريقها يمكن التعرف على أن هذا الشخص يدمن المخدرات من خلال:

- فقدان الوعى بصفة متكررة، ويكون لديه دافع أكثر قوة من الحاجات الفطرية أو حتى المكتسبة بالتجربة، ويكون هذا الدافع آليا أو يفرض نفسه على المدمن رغما عنه، فيصبح هذا الدافع جزءا من خبرات المدمن وتجربته فلا يمكن نسيانه عن عمد أو غير عمد.

وأوضح أن العلامات التى يمكن عن طريقها كشف المدمن والتعرف عليه منها:

١ـ الإهمال وعدم الاهتمام بالمظهر والعناية به، الانطوائية، والكسل الدائم، وفقدان الشهية والهزال والإمساك، اللجوء إلى الكذب والحيل الخادعة للحصول على مزيد من المال، وسرقة بعض الأشياء الثمينة من المنزل.

وعن أسباب تعاطى المخدرات أشار إلى أنه من المعروف علميًا فى مجال العلوم الاجتماعية أن لكل ظاهرة أسبابًا أفرزتها ونتائج مترتبة عليها، وأيضا لكل ظاهرة علاج ويقدر مدى النجاح فى علاج هذه الظاهرة بمدى معرفة الأسباب التى أدت إليها وهذه الأسباب تتمثل فى:

أولا : الأسباب الحضارية

- غياب القيم الأخلاقية الإسلامية الرادعة، وجود الفراغ الروحى، عدم توافر الوعى الاجتماعى الكامل بالأضرار الناتجة عن تعاطى المخدرات وانتشارها فى المجتمع المحيط بالشباب بالإضافة إلى غياب جماعة الرفاق الصالحين، تقصير المؤسسات الاجتماعية مثل: المدرسة والجامعة وبعض أئمة المساجد ورجال الدين تجاه التحذير من تعاطى المخدرات وكشف أضرارها. وكذلك عدم استخدام وسائل الإعلام بدرجة كافية فى مكافحة المخدرات.

ثانيا الأسباب الأسرية وهى:

- وجود الخلافات العائلية والتفكك الأسرى، انشغال الأب بأعمال كثيرة خارج المنزل ولفترات طويلة، ارتباط الأم بعمل خارج المنزل لفترات طويلة، عدم وعى الأسرة بخطورة تعاطى المخدرات وتقصيرها فى التحذير منه.

ثالثا الأسباب المتعلقة بالمتعاطى نفسه أهمها:

- عدم الاستغلال الأمثل لوقت الفراغ فى ما يفيد الفرد ومجتمعه، التخلف الدراسى وكثرة الرسوب عند الفرد، مصاحبة رفاق السوء فى كثير من الأماكن العامة والخاصة. بالإضافة إلى وجود الاضطرابات النفسية ومسببات القلق النفسى **أما عن الوقاية من سوء تعاطى المخدرات لدى الأطفال فيتمثل فى:**

- التحدث مع الأطفال حول أخطار تعاطى المخدرات وإساءة استعمالها.

- العلاقة القوية المستقرة بين الآباء وبين أطفالهم تقلل من أخطار استخدام الطفل للمخدرات.

- الاستماع الجيد عند تحدث الأطفال عن ضغط أصدقائهم عليهم بالاستخدام الخاطئ للمخدرات ودعم جهودهم لمقاومة ذلك.

- يجب على الآباء والأمهات أن يتجنبوا إدمان المخدرات والكحول ليكونوا قدوة حسنة لأبنائهم حيث إن أطفال الآباء والأمهات الذين يتعاطون المخدرات معرضون بشكل أكبر لخطر الإدمان.

انتشار الإدمان

تقول الدكتور **فادية أبوشهبة** - أستاذ القانون الجنائى بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية -: «هناك عوامل اجتماعية أدت إلى انتشار الإدمان بين الشباب منها الشعور بالإحباط، وقد يكون السبب فشل إيجاد عمل مثلا، فالفشل يؤدى إلى الإحباط، وبعض الناس يلجأون إلى الانتحار، والبعض الآخر إلى المخدرات، وهناك ضعف الوازع الدينى والتنشئة الاجتماعية غير السليمة، والتفكك الأسرى، والفقر والجهل والأمية، والثراء الفاحش، وانشغال الوالدين عن الأبناء وعدم وجود الرقابة والتوجيه، ومجالسة أو مصاحبة رفاق السوء والبطالة والفراغ.

وتشير إلى أن نسبة النساء المدمنات أقل من الذكور لأن لديهن القدرة على تحمل الأمور، بينما الذكور ليس لديهم القدرة على ذلك، وبالتالى يلجأون إلي التعاطى، والمرأة عندما تدخل مجال المخدرات فإنها تكون تاجرة أو تسهل تعاطى المخدرات بحيث تقوم بتوفير مكان للشباب لكى يتعاطوا فيه أو توزيعه داخل الجامعات أو المدارس، وأحيانا تكون مدمنة أو تاجرة فى نفس الوقت لكى تسد احتياجاتها من النقود.

وشددت على دور الأسرة فى تربية الأبناء ومراقبتهم ومعرفة أصدقائهم لأن الأبناء أمانة فى رقاب آبائهم، ولابد من توعيتهم بمشاركة مؤسسات التنشئة الاجتماعية والمدارس والنوادى والإعلام.

وفى النهاية تختتم الدكتورة فادية أبو شهبة حديثها بكلمة للشباب فتقول: «إن الإدمان نوع من الانتحار لأنه يدمر المخ فلا يعرف الشخص المدمن كيف ينتج. كما أنه لا يستطيع أن يفيد بلده ومن الممكن أن يقتل أمه لكى يسرق مصوغاتها الذهبية أو أن يعتدى على أخته لكى يشرب أو يقتل صاحبه، ومن خلال بحثى وجدت أن نسبة كبيرة من سرقة السيارات أثناء الانفلات الأمنى بعد ثورة يناير ٢٠١١م ترجع إلى مدمنى المخدرات.

وختاما: فقضية الإدمان باتت من القضايا التى تهدد أمن المجتمع واستقراره؛ لذا يجب أن يتكاتف الجميع من أجل محاربة هذا الوباء واجتثاثه من جذوره وتجفيف منابعه بالتعاون مع كل هيئات المجتمع بكافة طوائفه.

الإمام الأكبر:

الشعب المصرى بمسلميه ومسيحييه قوة واحدة ونسيجٌ وطنىٌّ واحدٌ

محمد سيد أحمد على الدين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر أ. د / أحمد الطيب - شيخ الأزهر الشريف - البابا تواضروس الثانى - بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية - والوفد المرافق له.

وفى بداية اللقاء قدَّم قداسة البابا تواضروس الثانى التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر وجميع المسلمين بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك متمنيا أن يحفظ الله مصر وشعبها، وأن تبقى مصر محروسة بصمود أبنائها ووحدتهم التى تتجلَّى - دائمًا - فى الأوقات العصيبة.

وأشاد البابا بدور فضيلة الإمام الأكبر وحكمته التى حفظت للمصريين وحدتهم وتلاحمهم، مؤكدا أن الأزهرَ والكنيسةَ قَادِرانِ على تَخطى كل محاولات تفتيت الشعب

الإمام الأكبر شيخ الأزهر أثناء استقباله البابا تواضروس الثانى

المصرى بما بينهما من مشاعر الود والمحبة والإنسانية التى تمثل نموذجًا فريدًا فى العالم كله.

وقد رحَّب فضيلة الإمام الأكبر بقداسة البابا والوفد المرافق له فى مشيخة الأزهر الشريف، مؤكدًا أن الشعب المصرىَّ بمسلميه ومسيحييه قوةٌ واحدةٌ ونسيجٌ وطنىٌّ واحدٌ، لا يمكن لأحدٍ أن ينال من تلاحم أبنائه ووحدتهم التاريخية القادرة على صدٍّ أية محاولات لزعزعة وَحدته واستقراره.

وأشاد فضيلته بعلاقات الود والاحترام المتبادل التى تسود بين الأزهر الشريف والكاتدرائية المرقسية، مشيرًا إلى الدور الكبير الذى يقوم به بيت العائلة المصرى من تقديم حلولٍ واقعيةٍ للمخاطرِ التى تُهدِّدُ مستقبلَ البلادِ، وسعيِه لإزالةِ كُلِّ أسبابِ الاحتقانِ الطائفىِّ التى يستغلها أعداء الوطن فى تعكير صفوه والنَّيل من وَحدته الوطنية.

وزير الأوقاف ورئيس جامعة الأزهر فى جولة ميدانية يؤكدان:

لا مكان فى الجامعة لغير التعلم والتعليم

رئيس جامعة الأزهر ولفيف من أساتذة وعلماء الأزهر أثناء استقبال معالى وزير الأوقاف

قام معالى وزير الأوقاف أ.د / محمد مختار جمعة بزيارة لجامعة الأزهر الشريف لتهنئة فضيلة رئيس الجامعة الجديد أ.د/ عبد الحى عزب على توليه مسئولية الجامعة، ثم قاما معًا بجولة ميدانية شملت كليات التربية، والتربية الرياضية، والدراسات الإسلامية والعربية للبنات للاطمئنان على سير الدراسة بالجامعة، حيث تسير الدراسة سيرًا حسنًا وأعلام مصر تملأ كليات الجامعة .

وقد أكد كل من معالى وزير الأوقاف ورئيس الجامعة خلال الجولة أنه لا مجال فى الجامعة لغير التعلم والتعليم، وأن طلاب العلم الحقيقيين سيلقون كل الرعاية والاهتمام والتكريم

معالى وزير الأوقاف يتسلم هدية من رئيس جامعة الأزهر

أما الطالب المخرب فلا مكان له فى الجامعة، وأن أى أستاذ يحاول استخدام الجامعة لتمرير أفكار تضر بالأمن القومى المصرى فلن يكون له مكان بها أيضًا، وأن القانون سيطبق بحسم على الجميع.

وعلى كل وطنى مخلص أن يؤدى رسالته بأمانة وصدق وإخلاص وأن يقدم المصلحة العليا للوطن على جميع المصالح الضيقة حزبية كانت أم شخصية .

وزيرا الأوقاف المصرى والأردنى يبحثان سبل التعاون المشترك بين الوزارتين
ووزير الأوقاف الأردنى يؤكد:

مصر مرجعية هامة لأمتها العربية والإسلامية

استقبل معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة بمقر البعثة الرسمية المصرية بمكة المكرمة أ.د/ هايل داود وزير الأوقاف الأردنى والوفد المرافق لمعاليه لبحث سبل التعاون المشترك بين الوزارتين .

وقد أكد وزير الأوقاف الأردنى خلال اللقاء أن مصر تمثل مرجعية هامة لأمتها العربية والإسلامية، وقد تعرف معاليه والوفد المرافق له على أهم أنشطة وبرامج وزارة الأوقاف المصرية الدعوية، وتم الاتفاق على الإفادة من موضوعات خطب الجمعة الموحدة بوزارة الأوقاف المصرية سواء المطبوعة أم التى تنشر على موقع الوزارة ، ومطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والاستفادة من تجربة هيئة الأوقاف المصرية فى المشروعات الاقتصادية والاستثمارية من خلال وفد أردنى رفيع المستوى يقوم بزيارة لهيئة الأوقاف المصرية بالقاهرة للتعرف عن قرب على تجربتها الناجحة الرائدة، وبحث إمكانية التعاون المشترك فى المجال الاقتصادى بين الوزارتين من خلال اتحاد الأوقاف العربية، وذلك فى حضور المهندس صلاح عبده الجنيدى - رئيس مجلس إدارة هيئة الأوقاف وأمين عام اتحاد الأوقاف العربية -.

كما تم الاتفاق على تعميق التواصل من خلال المشاركة فى الندوات والمؤتمرات العلمية الدولية التى تقيمها كل من الوزارتين، وترشيح عدد من كبار علماء الأزهر والأوقاف للإسهام فى الدورات التدريبية التى تعقدها وزارة الأوقاف الأردنية لأئمتها إيمانًا منها بوسطية المنهج الأزهرى الذى يعمل على نشر سماحة الإسلام دون إفراط أو تفريط .

من جهته عبر معالى وزير الأوقاف أ. د. محمد مختار جمعة عن خالص شكره وتقديره لمعالى وزير الأوقاف الأردنى والوفد المرافق له لزيارتهم الكريمة، ولروح الأخوة العالية والمودة التى تربط بين الوزيرين والوزارتين والدولتين الشقيقتين مصر والأردن .

معالى وزير الأوقاف ومعالى وزير الأوقاف الأردنى بمقر البعثة الرسمية المصرية بمكة المكرمة

معالى وزير الأوقاف والوفد المرافق له من أعضاء بعثة الحج

وزير الأوقاف يتلقى قرار منح الضبطية لمفتشى الأوقاف ويشكر وزير العدل على سرعة إصداره

تلقى معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة قرار معالى وزير العدل المستشار / محفوظ صابر رقم (٨٠٥٨) لسنة ٢٠١٤م بتاريخ ١٩ / ١٠ / ٢٠١٤م بشأن منح صفة مأمورى الضبط القضائى للدفعة الأولى من قيادات ومفتشى الأوقاف وعددهم مائة ، وذلك بالنسبة للجرائم التى تقع بالمخالفة لأحكام قرار رئيس جمهورية مصر العربية بالقانون رقم ٥١ لسنة ٢٠١٤ بتنظيم ممارسة الخطابة والدروس الدينية فى المساجد وما فى حكمها.

معالى وزير الأوقاف فى لقائه مع وزير العدل

ووزارة الأوقاف تؤكد أنها اختارت رجالها المرشحين لذلك بعناية فائقة، وأن الهدف الرئيس من حصولهم على هذه الضبطية القضائية هو ضبط شئون الخطابة والدروس الدينية بالمساجد وما فى حكمها، ومنع الدخلاء وغير المؤهلين وغير المتخصصين من اقتحام المنابر كما كان يحدث فى الماضى، وعدم السماح باستخدام المنابر أو المساجد لخدمة مصالح حزبية أو شخصية أو فصيل بعينه على حساب المصالح العليا للوطن.

والوزارة تؤكد أنها ستأخذ الأمر بمنتهى الحسم والجد مع المخالفين لتعليماتها وتوجيهاتها فى ضبط شئون الدعوة والخطابة بالمساجد، أو من يحاول صعود المنابر دون تصريح من وزارة الأوقاف، مؤكدة أن جميع التصاريح التى صدرت فى الماضى لغير خريجى الأزهر لاغية ولا يعتد بها .

من جهة أخرى يتوجه معالى وزير الأوقاف بخالص الشكر والتقدير لمعالى وزير العدل على سرعة إصداره لهذا القرار ، مما يؤكد عمق التعاون بين الوزارات المختلفة ، وحرصها جميعًا على تنفيذ توجيهات السيد رئيس الوزراء المهندس / إبراهيم محلب بضرورة التواصل المباشر بين الوزراء ، وضرب كل قواعد البيروقراطية والروتين فى معاقلها ، حرصًا على سرعة إنجاز كل ما من شأنه خدمة الوطن والمواطن .

وزير الأوقاف فى لقائه أهالى شهداء الثورة والمصابين :

جئنا تقديراً لكم فأنتم موضع العناية والتقدير

معالى وزير الأوقاف اثناء استقباله أهالى الشهداء والمصابين

التقى معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة بالمدينة المنورة الحجاج من مصابى الثورة وأهالى شهدائها، وقدم معاليه تهنئته لكل أهالى الشهداء بأداء فريضة الحج واختيار الله لهم لهذه الفريضة، ولأبنائهم أن يكونوا أهلا لمنزلة الشهادة ، ودعا للمصابين بالقبول وبالشفاء العاجل ، مؤكداً أنه حضر ومعه كل رؤساء البعثات النوعية بالمدينة المنورة ورئيس البعثة الطبية المصرية بها لتلبية أية احتياجات لهم.

حضر معه اللقاء كل من أ.د/ بكر زكى عوض - عميد كلية أصول الدين سابقًا - الذى ألقى كلمة إيمانية عن فضل الشهادة والتضحية فى سبيل الله والدفاع عن الوطن، و أ.د/ رمضان محمود حسان - الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف - والدكتور/ أشرف فهمى - عضو المركز الإعلامى بديوان عام وزارة الأوقاف -.

من جانبهم أعرب المصابون وأهالى الشهداء عن شكرهم وتقديرهم لسيادة الرئيس/ عبد الفتاح السيسى - رئيس الجمهورية - والمهندس/ إبراهيم محلب - رئيس الوزراء - لما لاقوه من عناية ورعاية واهتمام، كما أعربوا عن ترحيبهم بوزير الأوقاف رئيس بعثة الحج وشكرهم له على اهتمامه بهم واختصاصهم بهذه الزيارة، وأعربوا أيضًا عن بالغ شكرهم وتقديرهم للشركة المنظمة لرحلتهم والسادة المشرفين على الرحلة المباركة .

وزارة الأوقاف تقرر :

رفع كمية السجاد المخصصة لفرش المساجد هذا العام إلى مليون متر مربع

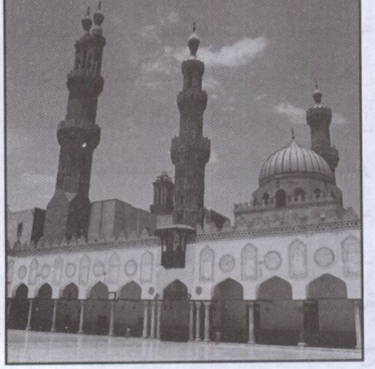

قررت وزارة الأوقاف فى اجتماع قياداتها رفع كمية السجاد المخصصة لفرش المساجد هذا العام من ٥١٧ ألف متر إلى مليون متر مربع ، لتكون أكبر كمية يتم التعاقد عليها فى عام واحد فى تاريخ وزارة الأوقاف ، وذلك فى إطار حرص الوزارة على عمارة بيوت الله وتوفير الجو المناسب لإقامة الشعائر بها ، ولإبراز عنصر النظافة والجمال فى حضارتنا الإسلامية الراقية ، وقد يتم النظر فى زيادة الكمية حال توفر موارد ذاتية إضافية للوزارة .

أكبر خطة لعمارة المساجد فى مصر :

طفرة تاريخية غير مسبوقة فى بناء المساجد وإعمارها

الموافقة على بناء ٣٦١ مسجداً وصيانة ٢٠٩ كدفعة أولى إضافة إلى ٤٥٦ بالجهود الذاتية

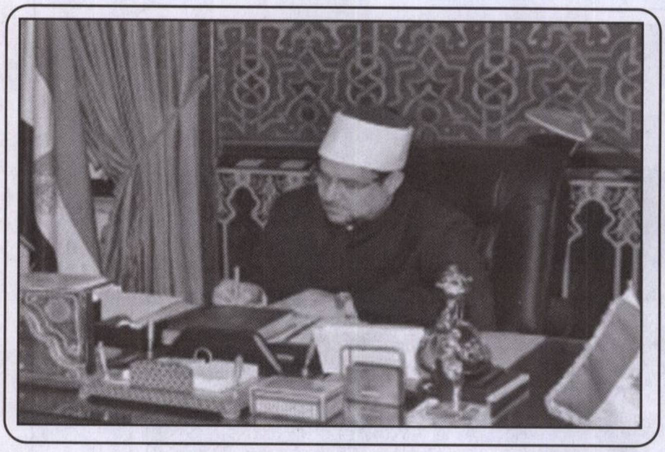

فى إطار أكبر خطة لإعمار المساجد فى تاريخ مصر وافق وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة على بناء وإحلال وتجديد ٢٣٤ مسجداً ما بين إشهار عام وإشهار محلى ، ليكون جملة ما تمت الموافقة على إشهاره إشهاراً عامّا ومحليّا من بداية العام المالى الحالى حتى تاريخه ٣٦١ مسجداً ، إضافة إلى الموافقة على عمل الصيانة اللازمة لعدد ٢٠٩ مساجد ، كما تم التعاقد على ٥١٧ ألف متر سجاد كدفعة أولى لفرش المساجد ، وذلك بإجمالى تكلفة نحو ٣٠٠ مليون جنيه اعتمادات مالية متوافرة بالفعل من موازنة الدولة والموارد الذاتية للوزارة ، وذلك إضافة إلى ٤٥٦ مسجداً تمت الموافقة على بنائها للمتبرعين بالجهود الذاتية .

وسننشر لاحقًا أسماء وعناوين المساجد التى تمت الموافقة على إحلالها وتجديدها ، كما سيتم الإعلان عن ذلك إعلانًا رسميّا ينشر فى الصحف القومية وفق القانون فى موعد أقصاه أسبوعين من تاريخه .

ويأتى ذلك كله فى إطار خطة الوزارة لعمارة المساجد، والوفاء بوعدها فى إحلال وتجديد جميع المساجد المغلقة والتى تبلغ نحو ثلاثة آلاف وأربعمائة مسجد وضعت الوزارة خطة متكاملة لإحلالها وتجديدها جميعًا فى مدة لا تتجاوز خمس سنوات بإذن الله تعالى ، ونخطط لترسية إحلال وتجديد ٧٣٢ مسجداً هذا العام المالى الحالى بإذن الله تعالى

جدير بالذكر أن الوزارة قامت خلال العام الماضى بترسية إحلال وتجديد ٣١٦ مسجداً ، وصيانة ٣٣٤ مسجداً ما بين إشهار عام ومحلى ، إضافة إلى ما تم بناؤه بالجهود الذاتية من المتبرعين وأهل الفضل ، نسأل الله عز وجل لنا ولهم السداد والقبول وصدق النية والتوجه .

شهادات الحجاج العائدين تؤكد:

نجاح موسم الحج بصورة غير مسبوقة

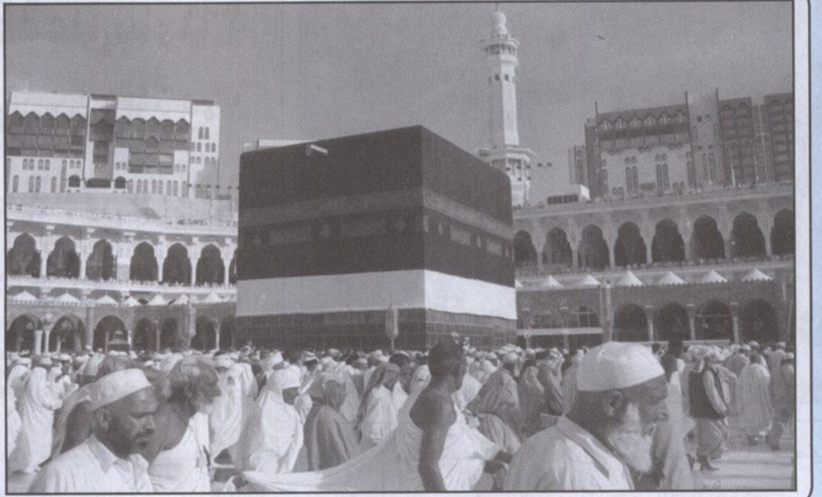

فى تحقيق منصف نشرته صحيفة الجمهورية فى عددها الصادر الأحد ١٢ / ١٠ / ٢٠١٤م عن شهادات الحجاج العائدين جاء فيه :

التقت «الجمهورية» بالحجاج العائدين الذين استقبلهم مطار القاهرة على أنغام المزمار البلدى والطبول.

أكد الحجاج عقب وصولهم وهم فى حالة من الفرح والسعادة الغامرة سهولة ويسر أداء المناسك ، ولم تصادفهم أى عوائق أثناء فترة الحج ، وأن السلطات السعودية بذلت قصارى جهدها لإنجاح الموسم، فضلا عن جهود بعثة الحج المصرية فى تذليل كل العقبات وتقديم الرعاية لكل الحجاج.

قال الحاج عبدالنبى مرسال ـ من كفر الشيخ ـ إنه أدى جميع المناسك بسهولة ، ولا صحة لما يتردد عن انتشار أى أمراض وبائية ، متمنيًا العودة مرة أخرى ليذوق السعادة التى شعر بها هذا العام بعدما أنعم الله عليه بالحج.

وقالت الحاجة نوال أحمد مسعد من المنصورة إنه على الرغم من عمليات التوسعة الموجودة فى الحرم المكى إلا أن التنظيم كان جيداً ولم يشعر الحجاج بأى مشاكل.

وأشارت الحاجة شوقية حسن أبو كيلة إلى أنها سافرت لأداء فريضة الحج مع إحدى شركات السياحة التى ذللت لهم كل الصعوبات، فلم يحدث تدافع خلال الشعائر.. داعية الله بأن يمن بالحج على كل راغب فيه وأن ينعم على مصر بالتقدم والازدهار.

وقال الحاج عبداللطيف إسماعيل إن السلطات السعودية بذلت قصارى جهدها لإنجاح الموسم ، معربًا عن سعادته بأداء فريضة الحج ، وأضاف أنه قام بالدعاء لمصر كما دعا الله عز وجل أن يثبت الرئيس عبدالفتاح السيسى ويوفقه لصالح بلدنا .

دور الوقف فى نهضة الأمة

د. أحمد عمر هاشم*

إن الناظر إلى جهود سلف هذه الأمة فى المحافظة على نهوضها وعلى تقدمها، وفى حمايتها من عاديات الزمن، يرى أنهم كانوا يتسابقون على صنائع المعروف اقتداء برسولهم (عليه أفضل الصلاة وأتم السلام)، حيث كان يصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم، ويقرى الضيف ويعين على نوائب الزمن، كما جاء فى الحديث الصحيح فى الموقف الأول الذى صافح الوحى الإلهى فيه قلبه الشريف بأول آية فى كتاب الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق الآيات ١-٥)، وعندما عاد إلى السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ وأخبرها الخبر قائلا: «زملونى، زملونى، لقد خشيت على نفسى» فأجابته السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ من أول وهلة قائلة: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق».

ولطالما حث رسول الله ﷺ المسلمين على صنائع المعروف ومن أهمها: «الوقف»، سواء كان وقفا لعقار من الأرض أو لحديقة مثلا أو نحو ذلك من الزروع والتى ينتفع الناس بها كما فى قوله ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**» (رواه مسلم).

وفى رواية للحديث: «**إلا كان له به صدقة إلى يوم القيامة**». وكان سلف هذه الأمة يسألون رسولهم صلوات الله وسلامه عليه عن أفضل الطاعات

* عضو هيئة كبار العلماء.

وأعظم القربات التى يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى، وكان رسول الله ﷺ يجيب كل سائل بما يليق بالحال والزمان والمكان.

وكان يحثهم على التعاون فيما بينهم ويقول: «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**».

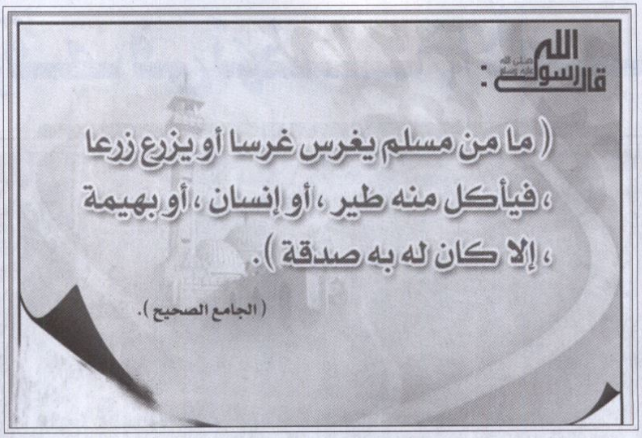

وقد أمر القرآن الكريم بالتعاون على البر والتقوى حيث قال الله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (سورة المائدة الآية ٢).

ومن أهم مجالات التعاون «الوقف» الذى كان يحرص المسلمون عليه، فيوقفون كثيرًا من أموالهم وعقاراتهم على الفقراء والمساكين، والمرضى والمحتاجين ويقفون الأوقاف على المساجد وطلاب العلم وأهل القرآن، إلى غير ذلك من وجوه الوقف التى تنتفع بها المجتمعات والأفراد.

وكان الوقف يمثل مصدراً مهمًا من مصادر المجتمع فى إعانة المرضى والمحتاجين، وفى حل كثير من مشكلات المجتمع.

إلا أن الملاحظ فى هذه العصور الأخيرة أن الوقف قل عن ذى قبل، وتراجع بشكل غريب، مع أن المجتمعات الآن فى أمس الحاجة إليه أكثر من أى وقت مضى، خاصة بعد أن تكاثرت البشرية، وتكاثرت معها المشكلات والأمراض والجهل والأمية والفقر والغلاء والبطالة، وأطلت مشكلات الفقر والجهل والمرض وغير ذلك بشكل ملحوظ يستوجب علينا أن ندعو إلى تنشيط الوقف وأن ننادى أصحاب الأموال ورجال الأعمال إلى بذل أقصى ما فى الوسع للنهوض بالوقف والإقبال عليه وتنمية موارده، وتطوير آلياته واستخداماته، ليصبح أمانا لكل قطاعات الحياة.

والوقف شعيرة من شعائر الإسلام تنهض بالتكافل الاجتماعى ومساعدة المحتاجين، وبذل المال الذى جعلنا الله تعالى خلفاء عليه حيث قال سبحانه: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**﴾ (سورة الحديد الآية ٧).

فنحن خلفاء على المال استخلفنا الله عليه لصرفه فى الوجوه المشروعة ونؤتى المحتاجين منه، لأنه مال الله آتانا إياه كما قال الله تعالى: ﴿**وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ**﴾ (سورة النور الآية ٣٣).

وقد أوقف رسول ﷺ الأرض التى عنده قبل وفاته، وأمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى أرضه بخيبر أن يحبسها أى يوقفها عندما سأله عمر عن ذلك.

ونرى خالد بن الوليد احتبس أسلحته وأدراعه وأعتاده فى سبيل الله، ولقد عرفت أمة الإسلام الوقف من تعاليم دينها ورأت فيه تطبيقا عمليا للتكافل الاجتماعى والتعاون على البر والتقوى.

و«الوقف»: هو حبس العين على ملك الواقف والتصدق بمنفعتها، وعند الشافعية والحنابلة يعرفون «الوقف» بأنه: حبس الأصل وتسبيل المنافع.

ولأهمية «الوقف» فى الإسلام عرفت الأمة عبر عصورها منزلته حتى إنها أطلقت اسمه على المؤسسة الدينية، بل أطلقت باسمه اسم وزارات فى

كثير من بلاد الإسلام وهى: وزارات الأوقاف، ليكون الحرص البالغ على تنفيذ مال الوقف وعلى إدارته على أكمل وجه.

و«الوقف» داخل فى عموم الأمر بالتعاون على البر والتقوى فى قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة المائدة الآية ٢).

وفى قول رسول الله ﷺ: عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم وأبو داود والترمذى).

وأيضا حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: أصاب عمر بخيبر أرضا فأتى النبى ﷺ فقال: أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منها فما تأمرنى به؟ فقال ﷺ: **«إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها» فتصدق بها عمر».**

ولقد سارع الصحابة إلى الوقف كما صنع خالد ابن الوليد حيث أوقف أدراعه وأعتاده فى سبيل الله، والأعتاد: هى ما يعده الرجل من المركوب والسلاح وآلة الجهاد.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة قيل: منع ابن جميل، وخالد بن الوليد، والعباس عم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **«ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا، قد احتبس أدرعه وأعتاده فى سبيل الله، وأما العباس فهى على ومثلها معها»** (رواه البخارى ومسلم).

قال النووى (رحمه الله): وفيه دليل على صحة وقف المنقول وبه قالت الأمة بأسرها إلا أبا حنيفة وبعض الكوفيين.

الوقف شعيرة من شعائر الإسلام تنهض بالتكافل الاجتماعى ومساعدة المحتاجين وبذل المال الذى جعلنا الله خلفاء فيه

ومما يدل على وقف المنقول الحيوان كالفرس والجمل ونحو ذلك ما روى عن أم معقل جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: «يا رسول الله، إن أبا معقل جعل ناضحه فى سبيل الله وإنى أريد الحج أفاركبه؟ فقال رسول الله ﷺ: **«اركبيه، فإن الحج والعمرة فى سبيل الله»**.

وللوقف دوره فى نهضة الأمة، حيث يعمل على تنمية مشروعات الخير التى تدعم رسالة العلم والتعليم وتصون الفقراء والمحتاجين، وترعى المرضى والمعاقين وتنشئ مؤسسات الخير وصنائع المعروف، وتواجه مشكلات الجهل والفقر والمرض، ومن أجل ذلك فإننا نناشد أهل الخير ورجال الأعمال ألا يهملوا مشروعات الوقف، فحسبهم أن الذى يقفونه هو صدقة يجرى ثوابها إلى يوم القيامة، ويظل ثوابها دائمًا لصاحبها ولا ينقطع بعد موته.

وحين يكون الوقف على هيئة خيرية أو مشروع فيه إغاثة للمحتاجين فإنه يضمن استمرار الخير

والمنفعة للمحتاجين ولا يقتصر الوقف على عقار أو أرض، بل إنه يشمل جوانب أخرى كثيرة يصل الخير من خلالها للمحتاجين، ولكل من ينتفع به فى نفسه أو لغيره.

مجالات الوقف

من مجالات الوقف: الصدقة الجارية كأن يبنى دارا لإيواء أبناء السبيل أو يبنى مسجدا، أو يجعل قطعة من الأراضى الزراعية يصرف من عائدها على الفقراء والمساكين أو طلاب العلم أو أبناء السبيل أو نحو ذلك من الوجوه.

ومن هذه المجالات: العلم الذى ينتفع به، ومن ترك مصحفا يرثه من بعده فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علما نشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته**» (رواه ابن ماجه)

ومن مجالات الوقف حفر بئر للماء يستفيد منه الناس، عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفر بئر رومة فله الجنة**» قال: «فحفرتها» (رواه البخارى والترمذى والنسائى). وفى رواية أخرى: أن البئر كانت لرجل من بنى غفار يقال له: رومة، وكان يبيع منها القربة بعد، فقال له النبى ﷺ: «**تبيعها بعين فى الجنة؟** فقال: يا رسول الله ليس لى ولا لعيالى غيرها، فبلغ ذلك عثمان فاشترها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبى ﷺ فقال: أتجعل لى ما جعلت له؟ قال: «**نعم**» قال: **قد جعلتها للمسلمين**» (رواه البغوى).

ومن مجالات الوقف: وقف الحدائق والأراضى الزراعية المثمرة التى ينتفع بها المحتاجون.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر أنصارى المدينة مالا وكان أحب أمواله إليه برحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت هذه الآية الكريمة ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ (سورة آل عمران آية ٩٢) قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: إن الله تعالى يقول فى كتابه ﴿**لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ وإن أحب أموالى إلى برحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله ﷺ: «**بخ ذلك مال رابح ذلك مال**

رابح، قد سمعت ما قلت فيها وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين» فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه» (رواه البخارى ومسلم والترمذى).

وهذه الأرض التى وقفها أبو طلحة كانت بستانا من نخل، وكانت بجوار المسجد النبوى.

ومعنى كلمة: «بخ» الإعجاب والسرور بالعمل، ويستنبط من هذا الحديث أن الرسول ﷺ وجه أبا طلحة أن يجعلها فى الأقربين فجعلها وقفا على أقاربه وهذا دليل على مشروعية الوقف الأهلى وواضح أن أبا طلحة تبرع بذلك وهو صحيح وفى صحته وليس فى مرض الموت فيؤخذ من هذا أنه يجوز التصدق من الحى فى غير مرض الموت بأكثر من ثلث المال، لأن الرسول ﷺ لم يسأل أبا طلحة عن قدر ما تصدق به، وأما بالنسبة لسعد بن أبى وقاص فقال له: «**الثلث والثلث كثير**» لأنه كان فى مرض موته، وهذا ما ذهب إليه أيضا الإمام الشوكانى «رحمه الله».

● ومن مجالات الوقف: وقف بعض الحيوانات مثل الخيول، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من احتبس فرسا فى سبيل الله إيمانا واحتسابا فإن شبعه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة حسنات» (رواه أحمد والبخارى) وذلك لأنه أوقفه فى طاعة الله تعالى وفى سبيل الله للجهاد.

● ومن مجالات الوقف أيضا: وقف الأدرع ونحوها من السلاح الذى يستخدمه المجاهدون فى سبيل الله لحديث: «أما خالد فقد احتبس أدرعه وأعتاده فى سبيل الله» (رواه مسلم).

● ومن مجالات الوقف: الوقف لبناء المساجد والمدارس والمستشفيات ودور الإيواء للمحتاجين.

● ومن مجالات الوقف: المكتبات ووقف الكتب العلمية النافعة لطلاب العلم والدارسين والباحثين والذين يريدون الاطلاع والمعرفة.

● ومن الوقف: ما يكون لتوزيع الملابس والكسوة على المحتاجين إلى ذلك من الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل.

● ومن الوقف ما يكون من أجل نشر الدعوة الإسلامية والإنفاق على ما تحتاجه الدعوة من وسائل وآليات ووسائل المواصلات ونحو ذلك.

● والوقف على ملاجئ الأيتام لرعايتهم والصرف عليهم وإعاشتهم وتعليمهم وتربيتهم وعلاجهم ونحو ذلك.

● والوقف على مدارس تحفيظ القرآن الكريم وعلى مدارس العلم ومعاهده وجامعاته.

إلى غير ذلك من المجالات التى يمكن أن يوجه الناس أموالهم إليها ويقومون بالوقف على مشروعات أخرى خيرية ونافعة يجد فيها العاطل عملا يقوم به ويجد فيها الجائع الطعام الذى يأكله، ويجد فيها ابن السبيل ومن لا مأوى له المكان الذى يأوى إليه، ويجد فيها المريض الفقير المستشفى الذى يعالج فيه وهكذا..

إن الوقف يعمل على نهضة الأمة وحضارتها ويجعل كل أفرادها يعملون فلا تكون بينهم طاقات عاطلة، لأن مشروعات الوقف النافعة تدير دولاب الحياة وتجعل عملاً لمن لا عمل له، وتيسر بعمل الخير والوقف هو الذى ينتفع حقا بماله فى دنياه وفى أخراه ويجد ثواب ذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فإن الذى يقدمه الإنسان ويوقفه للمحتاجين هو النافع له يوم الدين أما المال الذى يدخره ولا ينفقه فإنه لا ينفعه ولا يكون معه فى أخراه، عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الميت ثلاث: أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله**» (رواه البخارى ومسلم)، لأن الذى يتركه إنما هو لورثته من بعده، وأما ما ينفقه أو يجعله وقفا على مشروعات الخير فإنه باق لأنه عند الله سبحانه وتعالى كما قال جل شأنه: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾.

ويتجلى أثر الوقف فى نهضة الأمة وحضارتها بإقامة المشروعات العمرانية والاستثمارية وإنشاء صروح العمل والإنتاج، ومد يد العون للمحتاجين والنهوض بالأمة قدما للأمام، فمما لا شك فيه أن الوقف يتنافس الناس عليه حبًا فى الخير وابتغاء وجه الله، ورجاء المثوبة والأجر دنيا وآخرة.

ومن أجل ذلك يدرك العقلاء أن الحكمة كل الحكمة هى فى أن تتكاتف الجهود وتتضافر القوى .. وكم من أصحاب أموال ورجال أعمال يمكنهم أن يتعاونوا فى قيام مشروعات حضارية وقلاع صناعية تنفع المجتمع والأمة وتقوم برعاية حاجات الناس.

وإذا كانت موازنة بعض الدول أو بعض المؤسسات لا تكفى لقيام مشروعات النهضة الحضارية، فإن الوقف يمكن أن يفى بهذه المتطلبات ويحقق ما تصبو إليه الأمة من نهضة وحضارة ومن أجل ذلك كان أول من أسهم بالوقف هو الرسول ﷺ؛ ليعطى القدوة بنفسه فى هذا المضمار عن عمر بن الحارث رضي الله عنه قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها وسلاحه وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة» (رواه البخارى).

عرفت الأمة عبر عصورها منزلة الوقف حتى أنها أطلقت اسمه على المؤسسة الدينية كوزارات الأوقاف

وهكذا أعطى رسول الله ﷺ القدوة من نفسه لأهمية الوقف حتى تظل الأمة محافظة عليه، اقتداء به كما قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ (سورة الأحزاب الآية ٢١).

وإننى أدعو أمتنا الإسلامية فى كل مكان إلى إحياء نظام الوقف وأدعو أيضًا وسائل الإعلام إلى التوعية به وبيان أهميته فى هذه المرحلة لتعزيز موقف الأمة فى مشروعاتها وفى مسيرتها لمواجهة سائر التحديات، ولقيام النهضة الحضارية التى تحتاج إليها الأمة ولتقويتها ولإعداد القوة لمواجهة كل التحديات، كما أمر الله تعالى حيث قال: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ (سورة الأنفال الآية ٦٠).

وبالله التوفيق

أثر الفتوى فى واقع الأمة

الإفتاء منصب جليل كبير، وعمل خطير، يتولى صاحبه تعليم الناس أحكام دينهم وتوضيح طريق الشرع لهم، وبيان الحلال والحرام، والجائز والممنوع، ويقوم مقام النبى ﷺ فى وراثته لعلم الشريعة، وتبليغها للناس. فعن أبى الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم» (أخرجه الترمذى فى سننه والإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى الدرداء).

ويقول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل آية ٤٣) فهنا يوجب الله على عباده أن يتوجهوا إلى العلماء حين تعرض لهم أمور أو مسائل يجهلون الحكم الشرعى فيها، فكما أن المريض يتجه للطبيب فكذا الجاهل بأمور الشرع ينبغى أن يتجه إلى العلماء والفقهاء ليسألهم ويستوضحهم.

د. حسن أحمد خليل*

ولكن السؤال المهم هنا: إلى من يتجه المستفتى؟ أو بمعنى آخر: هل كل من يتصدى للإفتاء يعد أهلا له؟ هذا ما سوف نناقشه فى هذا المقال.

فإن ثمة حقيقة لا شك فيها، وهى أن الساحة الإسلامية تشهد فوضى فقهية تطاول فيها بعض أدعياء العلم وأنصاف المثقفين على الفتوى، فراحوا يخوضون فيها بدون ورع أو تثبت، بل تجرؤوا على المسائل الكبار التى لو عرضت - كما يقال - على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر(٢).

والعجيب أن بعض الناس عندما تراجعه فى بعض تلك الفتاوى والآراء، يبادرك بضرورة اتساع الصدر للرأى المخالف، لأنه مازال العلماء يختلفون ولا ينكر بعضهم على بعض، وهذا حق لا شك فيه لو أنه صادر عمن يحق له الفتوى والاجتهاد من أهل العلم الراسخين، أما وإنه صادر فى أغلب الأحوال عن غير أهله، فكيف يراد منّا أن نعذر فيه المخالف؟

والفتوى إذا كانت مؤصلة تأصيلاً شرعيًا سليمًا من التنطع، ومعافاة من التسيب، وبعيدة عن الأقوال

* مدير عام التحرير والترجمة والنشر.

الشاذة، ونائية عن الأدلة التالفة، ومراعى فيها رضا الحق، وملاحظاً بها مصالح الخلق، فإن الفتوى تترك فى الأمة آثاراً طيبة أما إذا خالفت ذلك فإنها تترك فى الأمة آثاراً سلبية.

ومن الآثار الإيجابية للفتوى فى واقع الأمة:

أولاً: إزالة الجهل:

إن سؤال المستفتى وإجابة المفتى نوع من المدارسة العلمية يتعلم فيها السائل أحكام الدين، وهو نوع من العلم الذى حض الله - تعالى - على تحصيله فى كتابه الكريم، حيث قال: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ (سورة التوبة آية ١٢٢) وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (سورة النحل آية ٤٣) كما أن الآيات الأولى التى نزل بها الوحى على رسول الله ﷺ كانت حضاً على العلم، لأنه ينير العقول والبصائر، ويستنهض الهمم والضمائر، ويزيل الجهل، ويصقل العقل، وترتقى به الأمة، ويعلو شأنها.

ثانياً: تصحيح المسار للفرد والمجتمع:

فالفتوى السليمة تجعل المستفتى على الجادة القويمة، وتبعده عن البدع الذميمة، فتصحح مساره لئلا يزل، وتحذره من البدع لئلا يضل،[٣] وفى ذلك صلاح الفرد، وسلامة المجتمع قال الله تعالى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ (سورة سبأ آية ٦).

ثالثا: توثيق صلة الأمة بعلمائها:

إن الفتوى القويمة توثق صلة الأمة بعلمائها، وتربطها بولاة الأمر فى شئون دينها، وما أحوج الأمة إلى ذلك التلاحم الذى يقود ركبه حملة أشرف رسالة.

إن الأمة التى تبقى وفية لعلمائها تسمع لقولهم، وتطيع أمرهم، وتأخذ بنصحهم هى أمة مؤهلة للفوز فى الدنيا والنجاة فى الآخرة، وكيف لا يتم لها الفوز والله تعالى قد أرشدها لطاعته؟! فقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ (سور النساء آية ٥٩).

فقد فسر الجمهور «أولى الأمر» بالأمراء، وفسرها بعض السلف وعلى رأسهم ترجمان القرآن ابن عباس - رضي الله عنه - بالعلماء[٤]، وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم عن عطاء فى

قوله - تعالى -: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ قال: طاعة الرسول: اتباع الكتاب والسنة. ﴿وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال أولى الفقه والعلم. والظاهر أن الآية تشمل أولى الأمر الدنيوى وهم ولاة الأمر، كما تشمل أولى الأمر الدينى وهم أولو الفقه والعلم[٥].

رابعاً: تبصرة طالب العلم:

إذا وفق الله - طلبة العلم إلى استفتاء العلماء المتمكنين العاملين المخلصين، فإن آفاق المعرفة تتفتح أمامهم ينهلون من معينها، ويرشفون من حقائقها، فتتنور بصائرهم، وتتضج معارفهم. وقديمًا دل لقمان الحكيم ولده على منبع الخير حتى ينهل منه، فقال له: «يابنى جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيى القلوب الميتة بالحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل السماء»[٦].

وبمقدار ما يكون العالم متمكنًا، وطالب العلم نهمًا، تكون النتائج أوفر، والعوائد أكثر. فمن ظفر بعالم متمكن، عامل بعلمه، مسدد فى فهمه، فقد حيز له خير عميم، وفضل عظيم.

الخطب عظيم حين تنتهك حرمات الله بفتاوى جائرة تنسب إلى دين الله

خامسًا: إعانة المسلمين على أداء التكاليف الشرعية على الوجه الصحيح:

إذا سلمت الفتوى من الشذوذ، وتجردت عن تنطع المتنطعين، وتسيب المتسيبين، ثم أعطيت للمستفتى على أنها توقيع عن رب العالمين، فإنها تكون خير عون على أداء التكاليف الشرعية[٧] كما أمر الله - تعالى - فى قوله الكريم: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ (سورة الزمر آية ٥٥).

وكلما كانت الفتوى سديدة، ومعتمدة على الأدلة الصحيحة، فإنها تكون أدعى إلى حمل الناس على أداء التكاليف الشرعية على الوجه الذى أراده الله ورسوله، وفى ذلك إحياء للسنن، وإماتة للبدع.

سادسًا: جمع الصف ولم الشمل:

وذلك من خلال وحدة الأمة والاجتماع على كلمة الحق خير طريق لتحقيق وحدة الأمة واجتماعها وبعدها عن التفرق والتشرذم[٨].

ويتحقق فى الأمة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء آية ٩٢) وقوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة آل عمران آية ١٠٣).

الآثار السيئة لأخذ الفتوى عن غير أهلها:

إن الفتوى دين، وهى - كما قلنا - توقيع عن رب العالمين، وبذلك لا يصح أخذها إلا من الفقهاء المتمكنين، والعلماء العاملين، فما كل من شدا العلم صار عالمًا، ولا كل من اعتزى إليه بات بحق الفتوى قائمًا، وقديمًا قال محمد بن سيرين - رحمه الله تعالى -: «إن هذاالعلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم». فالفتوى هى قول على الله عز وجل، وهى توقيع عن رب العالمين، لذلك سمى ابن القيم كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين)، ومن أفتى بغير علم فإنه يتحمل آثام من أفتاهم، لقول النبى ﷺ: «**من أُفتى بغير علم فإنما إثمه على من أفتاه**» (رواه أبو داود فى سننه) وهذا يدل على خطورة الفتوى بغير علم، ولهذا فإن ما نراه من تجرؤ البعض على الفتوى وهم لم يتأهلوا بعد للفتيا لاشك أن هذا أمر يؤسف له، وهنا تأتى المسئولية على جهات الإفتاء فى دول العالم الإسلامى لضبط الفتيا، واتخاذ الآلية التى يمنع عن طريقها من كان غير مؤهل للفتيا. فالفتاوى الخاطئة، أو الصادرة عن غير أهلها تترك آثارًا سيئة، وأضرارًا فى الفرد والمجتمع فادحة، منها:

قال الله تعالى:

﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[النحل: ٤٣]

إن الفتوى القويمة توثق صلة الأمة بعلمائها، وتربطها بولاة الأمر فى شئون دينها

أولاً: التعدى على حدود الله:

فما أفدح الخطب حين تنتهك حرمات الله بفتاوى جائرة تنسب إلى دين الله. - قال تعالى: **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾** (سورة النحل آية ١١٦).

وقال عز شأنه: **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** (سورة الأعراف آية ٣٣).

وعن أبى ثعلبة الخشنى - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها**» (رواه الدارقطنى فى سننه ١٨٤/٤ وأخرجه أيضا الحاكم فى المستدرك ١١٥/٤).

ثانيا: الجرأة على دين الله:

إن أخذ الفتوى عن غير أهلها يسوق المستفتى إلى الجرأة على دين الله، فلا تبقى لله تعالى فى قلبه رقابة، ولا إلى الحق - تعالى - فى نفسه إنابة، فيرتكب ما سأل عنه بفتوى جائرة، ثم يتهدده - من قلة الخشية، وظلمة المعصية - من ذنب إلى آخر حتى تهوى به أهواؤه فى مكان سحيق.

ثالثا: شيوع الباطل وإلباسه لبوس الحق:

وذلك من التلبيس على الخلق، والطمس لمعالم الحق: **﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** (يونس ٣٥).

كلما كانت الفتوى معتمدة على الأدلة الصحيحة فهى أدعى لحمل الناس على أداء التكاليف الشرعية بالوجه الذى أراده الله ورسوله

رابعًا: الضلال عن صراط الله العزيز الحميد:

إن الخير كل الخير فى اتباع سلف الأمة، ومنهجهم القائم على الكتاب والسنة، وفى ذلك صلاحها فى الدنيا، ونجاتها فى الآخرة، فإذا تلقى الإنسان العلم عن غير أهله ضل عن الطريق، فقد روى الشيخان من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله - ﷺ - قال: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**» (رواه الإمام مسلم فى صحيحه).

خامسًا: الانصراف عن العلماء العاملين، والفقهاء المتمكنين:

وما أكثر هذه الظاهرة فى هذه الأيام، حتى صرنا نرى العامة تشيِّخ كل من هب ودب مما أدى إلى التسور على الدين، والافتراء على أئمة المسلمين، حتى بات صوت الحق - فى بعض الأجواء - نشازًا، ولا يجد إلا إلى الله - تعالى - ملاذًا. قال ابن القيم: «تالله إنها فتنة عمت فأعمت، ورمت القلوب فأصمت، ولما عمت بها البلية، وعظمت بسببها الرزية، فإن طالب الحق من مظانه لديهم مفتون، ومؤثره على ما سواه عندهم مغبون».

سادسا: الاستهانة بالعلماء المتأهلين بالفتوى وإسقاطهم:

وهذا أمر خطير يؤدى إلى إتهام العلماء بالجهل، لا سيما المتقدمين منهم. قال الذهبى - رحمه الله تعالى -: وكم من رجل مشهور بالفقه والرأى فى الزمن القديم أفضل فى الحديث من المتأخرين! وكم من رجل من متكلمى القدماء أعرف بالأثر من سنية زماننا!! فلا تعتقد أن مذهبك أفضل المذاهب وأحبها إلى الله تعالى فإنك لا دليل لك على ذلك ولا لمخالفك أيضا، بل الأئمة رضى الله عنهم على خير كثير ولهم فى صوابهم أجران على كل مسألة وفى خطئهم أجر على كل مسألة. وإن كانت همتك كهمة إخوانك من الفقهاء البطالين الذين قصدهم المناصب والمدارس والدنيا والرفاهية والثياب الفاخرة فما هذا بركة العلم ولا هذه نية خالصة بل هذا بيع العلم! بحسن عبارة وتعجل للأجر وتحمل للوزر وغفلة عن الله.

> **من يظفر بعالم متمكن، عامل بعلمه، مسدد فى فهمه، فقد حيز له خير عميم وفضل عظيم**

الهوامش:

(١) أدب المفتى والمستفتى - عثمان ابن عبدالرحمن، أبو عمرو، تقى الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ) تحقيق د. موفق عبدالله عبدالقادر - الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ط الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م (ص ٧٦)

(٢) تعظيم الفتيا - جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن ابن على بن محمد الجوزى المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: الدار الأثرية الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ص ١٢٣.

(٣) تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعرى لابن عساكر الناشر: دار الكتاب العربى - بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤ ص ١٢٦.

(٤) الدر المنثور: جلال الدين السيوطى الناشر: دار الفكر - بيروت ٥٨٣/٢.

(٥) شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك، ٥٥٣/٤.

(٦) أدب المفتى والمستفتى - لابن الصلاح ص ٣٤.

(٧) التصوير القرآنى للقيم الخلقية والتشريعية: على على صبح - الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث ص ٧٦.

دار الأرقم

د. عبدالمقصود باشا*

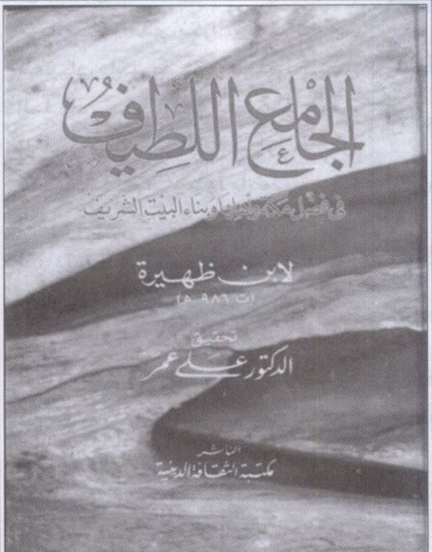

دار الأرقم هى الدار التى كان رسول الله ﷺ يجلس فيها ليعلم أصحابه تعاليم الدين فى بداية الدعوة، وكانت عند الصفا، وكانت للصحابى الجليل الأرقم بن أبى الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر المخزومى وهو من السابقين الأولين الذين استجابوا لله والرسول، وباعوا عَرَض الدنيا لأجل الآخرة، وآثروا تحمل الأذى والعذاب على حياة الشرك والكفر..

ودعيت دار الأرقم بعد ذلك بدار الإسلام..

وقد روى أن الأرقم رضي الله عنه تصدق بها قبل وفاته على ولده، وجاء فى نسخة الصدقة : بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قضى الأرقم فى ربعه ما حاز الصفا، إنها محرمة بمكانها من الحرم، لا تباع ولا تورث، شهد هشام بن العاص، وفلان مولى هشام بن العاص ا هـ.

فلم تزل هذه الدار صدقة قائمة فيها، ولده يسكنون فيها ويؤاجرون حتى كان زمن أبى جعفر المنصور فإنه حج فى إحدى السنوات، وبينما هو يسعى رأى تلك الدار فوقعت فى نفسه، ثم بعد زمن ساوم أحد أحفاد الأرقم على بيعها وهو عبد الله بن عثمان بن الأرقم وكان مسجوناً عنده فى قصة يطول ذكرها، فساومه على بيعها مقابل أن يخلى سبيله، فتنازل له عن حقه وكتب عليه كتاب شِرىً على حساب سبعة عشر ألف دينار وتتبع إخوته -وكانوا له شركاء فى الدار- ففتنتهم كثرة المال فباعوها له، فصارت لأبى جعفر ولمن أقطعها.

ثم صَيَّرَهَا المهدى للخيزران أم موسى وهارون فبنتها وَعُرِفَت الدار بها فصارت تسمى دار الخيزران، ثم صارت لجعفر بن موسى أمير

* أستاذ التاريخ بجامعة الأزهر.

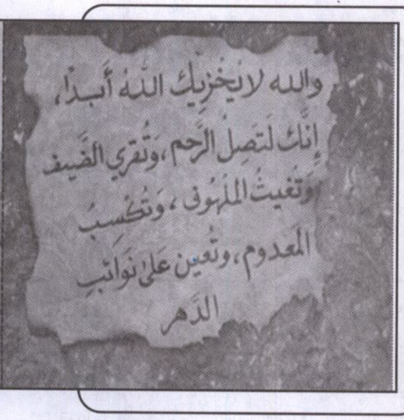

المؤمنين، ثم سكنها أصحاب الشَّطْوِى والعَدَنى، ثم اشتراها غسان بن عباد من ولد موسى بن جعفر وهكذا، وهى الآن فى حدود المسعى

ولعل هذه الدار أفضل الأماكن بمكة بعد دار خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، لكثرة مكث النبى ﷺ فيها يدعو الناس للإسلام مستخفيا.

ومن حديث المؤرخين عن هذه الدار ما جاء فى كتاب: (الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف) تأليف العلامة جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبى بكر بن على بن ظهرة القرشى المخزومى المتوفى سنة تسعمائة وست وثمانين من الهجرة حيث قال فى ذكر الأماكن المعظمة والمشاهد المكرمة التى تقصد زيارتها المشهورة: دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى المعروفة الآن بدار الخيزران المجاورة للصفا، والمقصود بالزيارة المسجد الذى فيها، لأن النبى ﷺ كان مستترا فيه مبدأ الإسلام، وفيه أسلم عمر بن الخطاب، وحمزة بن عبدالمطلب وغيرهما، ومنه ظهر الإسلام، وبه كان اجتماع الصحابة، فله فضل كبير، وهذا المسجد بنته الخيزران جارية المهدى العباسى...

الدعوة النبوية مرت فى مكة بمرحلتين أساسيتين: مرحلة الدعوة السرية، وكانت ثلاث سنين بمكة المكرمة، ومرحلة الدعوة الجهرية وهى ما بعد ذلك.

وكانت طبيعة المرحلة الأولى تتطلب سرية العمل الدعوى، حتى تتهيأ الظروف المناسبة للجهر بها، وكانت دار الأرقم، هى المكان المناسب لمثل هذه الظروف من أيام الدعوة.

كانت هذه الدار ـ دار الأرقم ـ على جبل الصفا، ذلك الجبل المنعزل عما يدور حوله ، فهى إذن بمعزل عن أعين الأعداء .

والذى دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لاختيار هذه الدار عدة أسباب، منها :

إن صاحب هذه الدار وهو الأرقم لم يكن معروفا بإسلامه، فلم يكن يخطر ببال أحد من المشركين أن يجتمع النبى ﷺ والصحابة فى هذه الدار.

إن الأرقم بن أبى الأرقم كان فتى عند إسلامه، ولم تفكر قريش أن هناك تجمعا إسلاميا عند أحد الفتيان، بل إن نظرها كان يتجه فى الغالب إلى بيوت كبار الصحابة.

إن هذه الدار كانت قريبة من الكعبة المشرفة .

وفى هذه الدار المباركة، التقى رسول الله ﷺ بأصحابه رضى الله عنهم، وتلقوا عنه تعاليم الإسلام وتوجيهاته الكريمة، حيث كان ﷺ يتلو عليهم ما ينزل عليه من القرآن الكريم، ويعلمهم أمور دينهم ويباحثهم فى شأن الدعوة، وما وصلت إليه، وموقف المعرضين عنها والصادين عن سبيلها.

دور الإعلام ..فى تحقيق وحدة الأمة الإسلامية

د / عبدالصبورفاضل*

يطلق على عصرنا الحالى (عصر العولمة) وبالكوكبة وبالسموات المفتوحة ويتميز بسقوط الحدود الزمانية والمكانية وتلاشى المسافات حيث تحول العالم الى غرفة صغيرة أصبحت فيها العلاقات البشرية أكثر تنظيما وسرعة الأمر الذى أدى إلى المزيد من التفاعل البشرى والانفتاح الثقافى والتنازع الحضارى.

وليس من نافلة القول إن المسيطرين على الإعلام العالمى اليوم يسعون بكل إمكانياتهم لإبقاء الأمة الإسلامية والعربية فى حالة ضعف، وضياع وانقسام؛ كما يسعون لإجهاض أى محاولة لتوحيد الأمة عبر مخطط إعلامى متكامل تتصف رسالته بـ :

- التضليل وإلباس الحق ثوب الباطل وإظهار الجانى بمظهر الضحية والعكس.
- البعد عن الدقة عند الحديث عن العرب، والمسلمين.
- التطفيف وازدواجية المعايير وسياسة الكيل بمكيالين.
- الانحياز التام ضد الفكرة الإسلامية الصحيحة وأى وحدة عربية أو إسلامية، والسعى المستميت لزرع بذور الفرقة بين العرب والمسلمين، وهذا لم ينقطع منذ عبد الله بن أبى بن سلول مرورا بكتاب الوزير الرومانى (ت.ح د جوفارا) الذى ظهرت طبعته الأولى باللغة الفرنسية عام ١٩١٤ م بتقديم (لويس رينو) الأستاذ فى كليتى الحقوق والعلوم السياسية هناك عن مدى جدية الأوروبيين واهتمامهم بالقضاء على وحدة الأمة الإسلامية فى ظل كيان الدولة العثمانية تحت عنوان (مائة مشروع التقسيم تركيا) مرورا بالترويج لاتفاقيات (سايكس بيكو، سان ريمو)، واتفاقيات باريس التى قُسمت بموجبها الدول العربية والإسلامية إلى مناطق نفوذ واستعمار بين الدول الأوروبية إلى تصريحات المستشرق اليهودى(برنارد لويس) التى يقول فيها: «إن المنطقة الممتدة من باكستان حتى المغرب ستبقى فى حالة اضطراب إلى أن يعاد النظر فى الخريطة السياسية لدولها»، والتى ظهرت آثارها الآن فى عدة دول من ذات المنطقة .

وحدة الاختلاف

والوحدة العربية والإسلامية لايعنى أبدأ أن تتطابق هذه المجتمعات ولاتختلف عن بعضها البعض فى قليل أو كثيرحيث لم يكن المسلمون كذلك عندما كانوا قلة فقد وجدنا الفروق بين المهاجرين والأنصار، فروق بين اللهجة المكية والمدنية، وبين الأسلوبين اللغويين المكى والمدنى حتى القرآن الكريم تضمن المكى والمدنى.

* عميد كلية الإعلام ـ جامعة الأزهر.

يجب حشد الأمة نحو قضايا مشتركة تحقق المصلحة للجميع وتسهم فى تغيير السلوك إلى الأفضل

إن وحدة الفكر أساس وحدة الصف، وهى أيضا أساس النجاح فى أى دعوة، ووحدة المسلمين واتفاق كلمتهم جعلت من العرب قوة واجهت أعظم قوتين فى العالم آنذاك هما دولتا الفرس والروم، وسقوط الأندلس يرجع إلى تمزق الصف العربى والإسلامى وكثرة دويلات المسلمين وهو ما نخشاه اليوم من تفتيت بعض الدول العربية إلى دويلات بعد الصراعات التى دبت فيها عقب ثورات الربيع العربى وبتخطيط خارجى لتحقيق هذا الهدف الذى سعت إليه الدول الأجنبية منذ أمد بعيد.

إن وحدة الأمة مشروع كبير بحاجة إلى حشد الجهود، وتنوع المعالجة لتحقيقه ويجب أن تتفاوت الأدوار بحسب الوسائل فالتعليم له دور يختلف عن دور الوعظ والإرشاد عن دور الثقافة والتوجيه، وهذه الأدوار فى هذا المشروع يجب أن تختلف عن دور الإعلام وعن دور رجل الاقتصاد والسياسى والباحث العلمى، ولكن جميع هذه الأدوار يجب أن تتكامل فى شكلها النهائى لتكون مشروع الوحدة .

قضايا مشتركة

يجب حشد الأمة نحو قضايا مشتركة تحقق المصلحة للجميع، وتسهم فى تغيير السلوك والاتجاه لدى أفراد المجتمع والتأثير على منظومة القيم والمبادئ التى يعتنقها الإنسان؛ لذلك فنحن بحاجة إلى وسائل إعلام تؤمن بثوابت الوطن وتعمل على تجذير مفهوم الوحدة الوطنية لدى النشء ولدى كافة شرائح المجتمع .

والإعلام يمكن أن يكون الحارس الأمين على أفراد المجتمع من خلال كشف المتاجرين بقيم الوطن ورافعى الشعارات البراقة التى يختلف ظاهرها عن باطنها لتحقيق مصالح شخصية، وخدمة أجندات دولية بدأت تتكشف، وتظهر للعيان فى بعض الدول العربية والإسلامية.

والإعلام والوسائل الأخرى قادرة على التركيز على العوامل التى تجمع ولاتفرق والتى تضىء ولاتحرق، وتعظم المنجز الوطنى وتعزز الولاء والانتماء لتراب الوطن ..فالإعلام بما يملكه من وسائل تواصلية قادر على محاربة التطرف والغلو، والتشجيع على تبنى قيم التسامح والمحبة والتعاون وبناء عقلية الإنسان الصالح.

ولتجسيد دور الإعلام فى وحدة الصف العربى والإسلامى ينبغى تجسيد دوره فى وحدة الصف الداخلى لأن فاقد الشئ لا يعطيه فالإعلام الداخلى لكثير من الدول العربية ومنها مصر وصل إلى حالة من الصراع والتناحر لايمكن السكوت عليها لأنها تخرب ولاتعمر وتهدم ولاتبنى وعلى الجميع الوقوف صفا واحدا أمام حالة الانزلاق الإعلامى ليعود إلى رشده ويمارس دوره بصدق وأمانة وموضوعية.

محاور الوحدة

إن وحدة الصف العربى والإسلامى يمكن تحقيقها من خلال محورين ؛ الأول هو العمل على إنشاء وسيلة إعلامية أو أكثر عربية إسلامية تشارك فى تمويلها الدول المعنية وتشرف عليها جامعة الدول العربية أو أية هيئة عربية أو إسلامية محايدة من أجل تحقيق خطاب إعلامى موحد وموضوعى يسهم فى توحيد الصف العربى الاسلامى.

المحور الآخر هو : تحقيق الوحدة العربية الإسلامية حتى بين مجموعة من الدول كبداية للوحدة الكبرى والشاملة، ولامانع من احتفاظ كل دولة بمقوماتها وخصائصها وهويتها ونظام حياتها .

وبلاشك فإن هذا التوجه سيجد مقاومة عنيفة من المتربصين بالأمتين العربية والإسلامية كما هم دائما على مر العصور، وهذا ليس بغريب عليهم ؛ لكن الغريب علينا وعليهم هو وجود من يتبنى فكرهم من بنى جلدتنا الذين يقاتلون ضد أى نوع من الوحدة والتلاحم بين العرب والمسلمين، وهذا أخطر على الأمة من جميع أعدائها المعروفين.

الفكر الوسطى يجمع المحاسن ويضمن حياة مستقرة

د / أشرف فهمى محمود

الفكر الوسطى هو الذى يعمل على استيعاب المواقف والآراء والأفكار ويبدع ويطور فيها ويجمع المحاسن وينميها ويكثر منها.

فى ظل ما نعيشه هذه الأيام فإسلامنا بحاجة إلى من يدافع عنه ويحسن عرضه على الناس والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة وجوهر ذلك الاعتدال فى الخطاب والحرص على كسب العقول والقلوب؛ وذلك لا يتأتى إلا بالابتعاد عن التطرف والتشدد.

إن الإسلام جاء ليرفع عن الناس العنت والمشقة والإصر والأغلال، ويضمن لهم حياة كريمة تغمرها السعادة والاستقرار، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: الآية ٧٨)، ويقول أيضاً: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: الآية ١٨٥)، والنبى ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما.

وما استبطه الفقهاء من قواعد تدل على التيسير والوسطية، فقالوا: المشقة تجلب التيسير، ولا ضرر ولا ضرار، ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

أين هذا وغيره من فكر المتشددين والمتطرفين والمنحرفين فكريّا وعقديّا؟

فالوسطية، التى تعنى الموقف الوسط المعتدل بين طرفين، فلا تميل إلى طرف دون آخر وإنما تقف الموقف الذى يقتضيه الميزان القسط.

إذا نظرنا نظرة المتأمل الواعى فى سورة الفاتحة التى نقرأها فى كل ركعة فى صلواتنا فى قول الله تعالى: **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ● صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾**، نجد أننا ندعو الله أن يهدينا الصراط المستقيم، والصراط المستقيم هو الطريق الوسط المعتدل بين طرفين أحدهما عرف الحق وتركه، فهو مغضوب عليه **﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾**، والآخر لم يهتد للحق فهو ضال (ولا الضالين)، وإذا تأملنا قول الله تعالى: **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾**، ففى الآية الكريمة نجد الوسطية، حيث لا غلو ولا تطرف وإنما كانت النصيحة بالجمع بين الجانب الأخروى والدنيوى، ثم عقب على ذلك بالإحسان إلى الناس دون

من الضرورى نشر الفكر الوسطى وتهيئة المناخ العام داخليّا وخارجيّا لهذه الدعوة

تخصيص، كما تبين لنا الآية أيضًا أهمية الوسطية وتحقيق التوازن فى الحياة.

السنة النبوية

وعندما نقرأ فى سيرة المصطفى وسنته ﷺ نجد فيها الوسطية واضحة، فعندما قال النبى ﷺ للنفر الذين كشفوا حالهم بأن يصوموا ولا يفطرون، وأنهم يقومون ولا ينامون، ولا ينكحون النساء، أنكر النبى حالهم ورد عليهم بما يدلنا أنه ﷺ معتدل فى حياته، وبيته، ومأكله ومشربه، فما أجملك يا رسول الله؟

فقال ﷺ: «**أما إنى أخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى**»، وفى هذا تأكيد على الوسطية والاعتدال فى مواجهة من أرادوا أن يختاروا طرفًا واحدًا على حساب الطرف الآخر، فردهم النبى ﷺ إلى حد الاعتدال وهو الوسط بين الطرفين.

كذلك الإسلام وسط بين من أعملوا العقل فجعلوه مصدر المعارف والحقائق فى الوجود، وبين من تنكروا له وتعلقوا بالخرافات والأساطير، فما أشارت إليه عقولهم قبلوه، وما لم تقبله عقولهم ردوه، وعلى الجانب الآخر نجد صنفًا آخر أفرط، وألغى عقله تمامًا، فتعلق بالأوهام.

أما الإسلام العظيم فهو وسط، فهناك أمور غيبية لا يدركها العقل فيُسلم بها بضوابطها، وأمور معقولات، وقد جعل الله عز وجل لنا عقولاً، وجعلها هى محطة التكليف.

والعقل هو محطة التكليف فى الإسلام لمنزلته، وفى المقابل نحن لا نغلو بحيث ما لم تصدقه عقولنا لا نقبله؛ لأننا نعلم أن العقل محدود، كما أن طاقاتنا كلها محدودة، فقوة اليد، والبصر، والسمع كلها محدودة، كذلك قوة العقل محدودة، لكنها قوة نعترف بها فى حدودها.

كذلك ديننا وسط فى الأحكام والعبادات، فالتكاليف فى حدود الاستطاعة، لم يكلفنا الله عز وجل إلا فى حدود قدرتنا ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ (سورة البقرة: الآية ٢٨٦).

تأملوا دعاء النبى ﷺ: «**اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر**»، فإنه يكشف عن توازن لطيف وميزان دقيق بين الدين والدنيا، فهو لا يطلب الحياة الدنيا على حساب الآخرة ولا الآخرة على حساب الدنيا.

والوسطية فى السلوك والأخلاق برزت فى سورة الفرقان عندما ذكر الله عز وجل صفات عباد الرحمن فى طريقة إنفاقهم فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾ (الفرقان: الآية ٦٧)، والقوام هو الوسط، وفى الآية الكريمة أيضًا نلمح التحذير من التطرف فى الإسراف والتقتير.

إذن فلابد لنشر الفكر الوسطى، وتهيئة المناخ العام داخليّا وخارجيّا لهذه الدعوة، كى تؤدى دورها على الوجه الأكمل وعدم السماح لغير دعاة الأزهر والمصرح لهم بممارسة العمل الدعوى.

مدارس الخط فى العالم العربى

د. على عفيفى على غازى*

الخط العربى هو الفن الجميل للكتابة العربية التى ساعدت بنيتها وما تتمتع به من مرونة وطواعية وقابلية للمد والرجع والاستدارة والتزوية والتشابك والتداخل والتركيب، على ارتقاء الخط العربى إلى فن جميل يتميز بقدرته على مسايرة التطورات والخامات؛ فتشكلت علاقة وثيقة بين كل نوع من أنواعه والمواد التى يكتب بها أو عليها، فرأيناه ليناً ينساب برشاقة وغنائية، ورأيناه صلباً متزناً يشغل حيزه بجلال يمتد إلى ما حوله، ورأينا الصلابة واللين يتبادلان ويتناغمان فيه. وهو في كل أحواله يشد الناظر ويمتعه بجمالياته الخاصة وتجريديته المتميزة التى عرفها بشكل مبكر وراق، مما جعل له مكانة خاصة بين الفنون التشكيلية.

والخط العربى يعتمد فنيًا وجماليًا على قواعد خاصة تنطلق من التناسب بين الخط والنقطة والدائرة، وتُستخدم فى أدائه فنيًا العناصر نفسها التى نراها فى الفنون التشكيلية الأخرى، كالخط والكتلة، ليس بمعناها المتحرك ماديًا فحسب بل بمعناها الجمالى الذى ينتج حركة ذاتية تجعل الخط يتهادى فى رونق جمالىٍ مستقلٍ عن مضامينه ومرتبطٍ معها فى آن واحد.

ومن خلال نمطيه الأساسيين المنحنى الطياش والهندسى اللذين ينفرد كل منهما بجماليات خاصة، مع الزخارف المرافقة لهما، يستطيع الفنان إبداع نوع من الإيقاع نتيجة التضاد بين الأجزاء والألوان، وما يحققه ذلك من إحساس بصرى بالنعومة والخشونة والتكامل الفنى الناتج عن التوزيع الإيقاعى، مع تحقيق الوحدة فى العمل الفنى ككل. ومن خصائصه أيضًا مخالفة الطبيعة، والتجريد والاستطراد، ممّا يمنح الفنان الحرية اللازمة للتشكيل. وهذا ما ساعد الفنانين العرب والمسلمين على استخدامه فى تشكيل تحفهم على الخامات المتنوعة كالمعادن والخزف

* دكتوراه فى التاريخ الحديث والمعاصر

والخشب والرخام والجص والزجاج والنسيج والورق بأنواعه، بالإضافة إلى الروائع المعمارية، فكان الخط العربى قاسمًا مشتركًا لكل الفنون العربية الإسلامية التى أعارها طابَعهُ الجمالى المنطلق من التناسب بين الخط والنقطة والدائرة.

مراحل تطور الخط العربى

لم يتطور الخط العربى دفعة واحدة، مثله فى ذلك مثل اللغة والكتابة وغيره من الفنون، بل نما ونضج مع الزمن. ففى بداياته، أدى دورًا وظيفيًا فقط، ولم نعرف له عند مجىء الإسلام أكثر من نوعين: أولهما البسط، وهو خط يميل إلى القساوة وتغلب عليه التزوية، استُخدم فى النقوش وفى الوثائق المهمة التى كانت تكتب على الرق، وفى المصاحف بصورة خاصة، وثانيهما التقوير وهو أكثر ليونة واستدارة، استُخدم فى المعاملات اليومية، والوثائق والمراسلات الخاصة التى تتطلب السرعة، ثم دخل الخط العربى مرحلة تطور وتطوير متسارعين وفى اتجاهين: استكمال مقوماته الوظيفية الكتابية من جهة، وتجويده والنهوض به ليقوم بدور فنى جمالى من جهة ثانية. وقد بدأت النهضة الفنية للخط العربى مع بناء الكوفة، ثم اتخاذها مقرًا للخلافة أيام الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه.

الخط الكوفى:

اعتمد تطور الخط العربى فى بداياته الكوفية على خط البسط بشكل أساسى، فتطور فيها تطورًا كبيرًا، ربما كان من أسبابه التقاؤه مع ما ألفَهُ مَن حلّ بالكوفة من قبائل اليمن من تربيع فى الخط المسند، والبراعة التى اشتهر بها أهل الحيرة والأنبار الذين هاجر بقيتهم إليها. وعلى الرغم من وجود نماذج سبقت إنشاء الكوفة تحمل سمات الخط الذى أُطلق عليه اسم الكوفى، فإن هذه التسمية سادت وأصبحت تُطلق على كل الخطوط التى تميل إلى التربيع والهندسة أينما كتبت، وأيًا كانت درجة تطورها أو اختلافها عن الخطوط الكوفية الأولى.

غير أن الكوفة عرفت نوعين آخرين إلى جانب الخط القاسى: نوع مخفف لين هو خط التحرير، ونوع يمكن اعتباره جمعًا بين النوعين السابقين هو خط المصاحف الذى اهتمت المصادر التاريخية بتناوله، وكان معتمداً فى كتابة المصاحف الكبرى التى تُوقف على المساجد. وكان من أبرز كُتّابه الأوائل مالك ابن دينار الوراق وخشنام البصرى. أما أقدم فنان متميز فى الخطوط الكوفية تذكره المصادر، فهو خالد ابن أبى الهياج الذى اشتهر زمن خلافة على بن أبى طالب، وحتى خلافة عمر بن عبد العزيز. وقد كتب عددًا من المصاحف وكُتُب الأخبار والأشعار. وكان أول من خطَّ كتابة تزيينية علَى المساجد، فلقد خطّ على جدار القبلة فى المسجد النبوى الشريف أربعًا وعشرين سورة من القرآن الكريم.

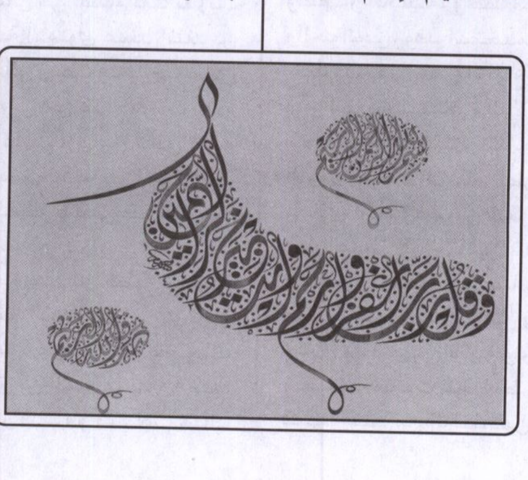

واستمر الخط الكوفى فى التطور والانتشار، فأسهمت كل الحواضر العربية والإسلامية فى الشرق الإسلامى ومغربه فى الإضافة إليه، والارتقاء بجمالياته لقرون طويلة، فتعددت أنواعه وأشكاله التزيينية

والزخرفية حتى جاوزت السبعين، منها الكوفى البسيط والمورّق والمضفَّر والمزهَّر والمربّع والتذكارى والقيروانى والأندلسى والفاطمى والمملوكى والسلجوقى والنيسابورى، إلى آخر تلك الأنواع والتفرعات التى تتمتع بمميزات تشكيلية جمالية عالية ساعدت على تطورها القيم الجمالية الهيكلية الكامنة فى الخط العربى وحروفه، بالإضافة إلى الطبيعة الفنية الزخرفية فى الخط الكوفى، والتى تتيح للخطاط المبدع درجة عالية من الحرية فى الابتكار والإبداع. ولم يحدّ من نموّ الخطوط الكوفية واطراد تطورها إلى جانب الخطوط اللينة إلا سيطرة العثمانيين على البلدان العربية، ونقلهم لخيرة مبدعيها إلى الآستانة، وإهمالهم للخطوط الكوفية مع تصاعد اهتمامهم بالخطوط الليِّنة، مما وضع الخطوط الكوفية فى الظل لمئات من السنين.

ظلت شجرة الخط فى البلدان العربية مثمرة رغم الإهمال والظلال التى حجبت عنها النور بعد تركز الأضواء على الآستانة

الخط الموزون: تعود أصول الخطوط الموزونة إلى خط التقوير الذى كانت بداية ارتقائه الفنى فى الشام بعد تعريب الدواوين فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان، واختراع نوع من الورق عرف بالقرطاس الشامى. وتُنسب النقلة الأولى فى هذا الارتقاء إلى قطبة المحرر، وهو - فى الأغلب - أول من أطلق عليه لقب محرِّر. ابتدع قطبة استخدام قلم الجليل فى الكتابة على قطع الطومار فصار يُسمى قلم الطومار أيضًا، واشتق منه ثلاثة أقلام أصغر منه حدد عروضها بالنسبة إليه، ليكتب بها على قطوعٍ مختلفة من القرطاس تتفق مع أهميتها الإدارية.

وفى أوائل العصر العباسى، طوّر كل من الضحاك ابن عجلان الشامى ثم إسحق بن حماد ما بدأه قطبة، فبلغ عدد الأقلام اثنا عشر قلمًا، وأصبحت هناك مدرسة للإبداع الخطى انتهت إلى إبراهيم السجزى (أو الشجرى) الذى استحدث قلمين أصغر من الطومار أطلق عليهما الثلثين والثلث (بالنسبة إلى الطومار)، وإلى أخيه الكاتب الشاعر يوسف لقوة الذى استخرج قلمًا من النصف الثقيل عُرف بقلم التوقيع طوّره الفضل بن سهل فيما بعد، وسماه القلم الرياسى، وهو يتفرع إلى بضعة أقلام مثل نصف الرياسى والمحقَّق والمنثور والوشى والرقاع والمكاتبات والنرجس والبياض.

أما النقلة الأهم بين نقلة قطبة المحرر ونقلة ابن مقلة، فقد تمَّت على يد الأحْول المحرر وكان تلميذًا مبدعًا لإبراهيم السجزى، قام بترتيب الأقلام الثقال بدءًا من الطومار، ثم الثلثين والسجلات، فالعهود والمؤامرات ثم الأمانات والديباج، فالمدمج والمرصّع، ثم قلم النسّاخ. وينسب إليه اختراع خفيف النصف وخفيف الثلث، والمسلسل، وغبار الحلية، وخط المؤامرات، وخط القصص والحوائجى. وقد استخدمت المصادر التاريخية كلمة خط بدءًا من بعض الأنواع التى ابتكرها بدلاً من كلمة قلم التى كانت سائدة للدلالة على تسميات لقياسات مختلفة من الأقلام تتناسب استخداماتها وقطوع الورق. وتنسب إلى قلم الطومار الذى حدّد عرضه بما يساوى أربعًا وعشرين شعرة من ذيل الحصان التركى، فكان عرض قلم الثلثين ١٦ شعرة والثلث ٨ شعرات، وهكذا. ولم تكن أنواعًا بالمعنى المعروف ولكنهم استخرجوا منها الثقيل والخفيف، وأكسبوها من خلال ذائقتهم الفنية وتراكم جهودهم خصائص مختلفة ميّزت الخطوط الأصلية الموزونة التى برع فيها عدد من الخطاطين الأفذاذ، كان من أبرزهم

طبطب المحرر رأس المدرسة المصرية، وإسحاق بن إبراهيم البربرى أستاذ ابن مقلة ومؤلف تحفة الوامق أول كتاب أمكن تسجيله فى الخط العربى.

الخط المنسوب: كانت الخطوط الموزونة قد وصلت إلى درجة من التطور، فأصبح لها نسب قياسية خاصة، وبلغ عدد أقلامها أربعة وعشرون قلمًا عندما ظهر الخطاطان العبقريان الوزير أبو على محمد بن مقلة، ثم أخوه أبوعبدالله الحسن بن مقلة اللذان نقلا الخط العربى نقلة فنية نوعية. لم تتفق المصادر التاريخية حول من كان له الدور الأكبر فيها. وقد كانا على درجة عالية من الدراية والتعمق والبراعة والتجويد، فتوصل أحدهما - أو كلاهما - فى بدايات القرن الرابع الهجرى إلى تأليف ستة أنواع من الخطوط هى: الثلث والريحان والتوقيع والمحقَّق والبديع والرقاع. وهنْدس أحدهما مقاييسها وأبعادها، ووضع معايير لضبطها والوصول بها إلى صيغ جمالية محكمة، معتمدًا فى ذلك على العلاقة بين النقطة والدائرة والخط. فجعل حرف الألف الذى حدد طوله بعدد من النقاط قطرًا لدائرة ونسب إليه الحروف جميعًا، فكانت هذه انطلاقة الخط المنسوب الذى أبدع فيه عدد من الخطاطين طوال قرن من الزمن ليصل إلى محمد بن السمسمانى ومحمد بن أسد الكاتب البزاز البغدادى الذى نقل كتابًا عن ابن مقلة، وكان هذان أستاذين تتلمذ عليهما الخطاط البغدادى المبدع أبو الحسن على بن هلال، ابن البواب.

درس ابن البواب خطوط ابن مقلة دراسةً معمقة مدققة استطاع بعدها أن يطور أسلوبه والقواعد التى وضعها للخط المنسوب منتقلاً به إلى مرحلة أكثر رقيًا وجمالاً عبر اصطفائه لأساليب تجمعها خصائص جمالية مشتركة؛ نقّحها وحولّها إلى طرق سار عليها فن الخط العربى قرونًا ثلاثة تالية، لتنتهى إلى زينب بنت أحمد الإبرى البغدادى الملقبة بشُهدة، التى يقال: إن ياقوت المستعصمى تتلمذ عليها، ثم الموسيقى الشهير الخطاط صفى الدين عبدالمؤمن الأرموى أستاذ أبى المجد جمال الدين ياقوت بن عبد الله المستعصمى.

شهد خط النسخ تطورًا كبيرًا فى الشام منذ أواخر القرن الخامس الهجرى وحظى بنصيب وافر من التجويد مع خط الطومار ومشتقاته

دقق ياقوت المستعصمى خطوط ابن مقلة، وخطوط ابن البواب بشكل خاص، فوجد أن القواعد التى أوصلا الخط المنسوب إليها متينة ومتماسكة من حيث مقاييسها وأبعادها ومعاييرها الجمالية الهيكلية، ولكنها تحتاج إلى أسلوب أرقى فى الأداء يضيف إلى جمال هيكلها ونسبها جمالاً فى تفاصيل حروفها وتناغم أجزائها. فركز جهوده فى هذا الاتجاه، وتوصل إلى اختراع طريقة غير مسبوقة فى برى القلم؛ فجعل شحمه أقل رهافة، وزاد من تحريف قَطّته مما شكل نقلة جمالية كبرى فى تجويد الأقلام الستة المنسوبة جميعًا، سرعان ما أعطت ثمارها فانتشرت فى مختلف المراكز الثقافية المنافسة لبغداد التى فقدت ثقلها فى توجيه مسيرة الخط العربى بعد سقوط الدولة العباسية ووفاة ياقوت.

كان خط النسخ قد شهد تطورًا كبيرًا فى الشام منذ أواخر القرن الخامس الهجرى، وحظى بنصيب وافر من التجويد مع خط الطومار ومشتقاته. ونافست مصر العراق فى الاهتمام بالخط العربى منذ العصر الفاطمى؛ فطورت أنواعًا جديدة من الكوفى، وواكبت مسيرة الخط المنسوب فيها مسيرته فى العراق، وسابقتها فى تجويده، وتطور تدريسه فيها حتى أصبح له معلمون متخصصون متفرغون لتعليمه، يعملون بناء على أسس محددة يمكن أن نرى مثالاً لها فى كتاب العناية الربانية فى الطريقة الشعبانية لزين الدين شعبان بن محمد الآثارى. وقد

أدى هذا إلى تطور كبير فى خطى الثلث والثلثين. وفى الوقت نفسه، ظهر وتطور فى فارس خط التعليق بعد أن حلَّت الحروف العربية محل الحروف الفهلوية فى كتابة اللغة الفارسية. وربما كان هذا الخط تطوراً عن خطى التوقيع والرقاع تعود بداياته الأولى إلى أوائل القرن الرابع الهجرى. وقد اكتسب خصائصه المعروفة فى القرن السابع الهجرى، ليقوم خطاط مبدع فى القرن التاسع الهجرى هو مير على التبريزى بابتداع وتجويد خط متطور عنه سمى نسخ التعليق أو مستعلق، يمتاز بالرقة والرشاقة والتناغم الجميل بين الرقة والغلظ فى كتابة حروفه ومدّاته، ووضع له نسباً خاصة. وقد اشتهر باسم الخط الفارسى.

المدرسة العثمانية: يمكن القول إن تطور خط النسخ فى الشام، والثلث والثلثين فى مصر شكّلا منهلاً نهل منه الخطاطون الأتراك وأساسًا اعتمدوا عليه ليحدثوا نقلة مهمة فى تجويد بعض أنواع الخط المنسوب. وقد أدى استقدام السلاطين لخيرة خطاطى العراق والشام ومصر، ضمن من استقدموهم من فنانين وصنّاع إلى الآستانة، دورًا كبيرًا فى النهضة الخطية التى شهدتها الدولة العثمانية. وكان الأتراك يستخدمون خط التعليق الفارسى فى كتابة لغتهم التى كانت قد تحولت أيضًا إلى الحروف العربية، بالإضافة إلى الخطوط المنسوبة التى كانت لها استخدامات مختلفة. وقد برز فى أواخر القرن التاسع خطاطان اتبعا طريقة عبد الله الصيرفى البغدادى كان لهما دور كبير فى تطور تجويد الخط العربى. أولهما الشيخ حمدالله الأماسى الذى جمع خطوط ياقوت المحفوظة فى الخزانة العثمانية، فدرسها، وانتقى من حروفها أجمل الأشكال والأساليب، لتكون هاديًا ودليلاً له فى تطويره للأداء الجمالى للخطوط المنسوبة، وثانيهما الخطاط أحمد القره حصارى الذى برع فى التراكيب والتشكيلات الخطية. وقد أدى التنافس بينهما إلى توسيع دائرة المجودين لتنتهى فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى إلى الحافظ عثمان بن على الخطاط المجود الشهير صاحب المصاحف الذى استقرت الأقلام الستة بطريقته. ثم أتى الخطاط المبدع مصطفى راقم فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى ليضع اللمسات الأخيرة على طريقة تجويد جلىّ الثلث التى لا تزال متبعة حتى الآن. وقام الخطاط سامى أفندى بتطوير الأرقام وعلامات التشكيل وإشارات الحروف المهملة حتى بلغت شكلها المعروف اليوم. وقد تسابق الخطاطون فى تراكيب خط الثلث وجليّه مما أدى إلى تطور جمالى كبير فيها كان من نتيجته إجراء بعض التعديلات فى مقاييس بعض الحروف بما يخدم التشكيل الخطى، وإحداث علاقات من التناغم بين غلظ القلم ورقة التشكيل وإشارات الحروف المهملة. وانتهى تجويد الثلث والنسخ والرقاع إلى فرعين على درجة عالية من الجمال يقف على رأس أولهما الخطاط قاضى العسكر مصطفى عزت، ويقف على رأس الثانى الخطاط محمد شوقى.

من ناحية أخرى، كان خط نسخ التعليق الفارسى يتطور بشكل تدريجى، عندما أتى الخطاط الشهير مير عماد الحسنى فى أواخر القرن العاشر الهجرى فدرس هذا الخط، وارتقى به إلى درجة عالية من التناسق والجمال والرقة. وقام تلميذه درويش عبدى البخارى بنقل طريقته إلى إسطنبول، حيث أقبل الخطاطون على استخدامها فى كتابة القطع الخطية، وقام محمد أسعد اليسارى باشتقاق طريقة جديدة منه أقبل عليها كثير من الخطاطين، وخصوصاً جليّها الذى طوره الخطاط مصطفى عزت أفندى ابن اليسارى، إلا أن خط التعليق التركى لم يرقَ إلى جماليات الفارسى، فلقد أهمل الأتراك الشكل التركيبى منه، وقللوا من مرونته ورشاقته.

وقد أضافت المدرسة العثمانية بعض الإضافات النوعية، فظهر الخط الديوانى الذى تعود جذوره إلى التوقيع والرقاع والتعليق، وتطور بشكليه العادى والجلى، فوضع أصوله الخطاط محمد منيف فى عهد السلطان محمد الثانى، ثم طورها ونشرها الصدر الأعظم شهلا باشا فى عهد السلطان أحمد الثالث وجوّدها السلطان مصطفى خان، ثم طورها الخطاط نعيم. وبرع فى هذا الخط الخطاط سامى، والحاج أحمد الكامل آخر رئيس للخطاطين فى الدولة العثمانية، بالإضافة إلى ممتاز بك الذى وضع فى عهد السلطان عبد المجيد خان قاعدة لخط آخر أضافه العثمانيون، هو خط الرقعة الذى طوره الخطاط محمد عزت أفندى، وهو خط يصلح للاستخدام اليومى وليس للأعمال الفنية. وابتكر الخطاط عارف حكمت خطًا سماه السنبلى، إلا أنه لم ينتشر رغم أنه على درجة لا بأس بها من الجمال.

وطور الخطاطون العثمانيون تصميم الطغراء التى تعود بداياتها إلى سلاطين المماليك فى مصر، واستخدمها السلاطين العثمانيون جميعًا.

كما اهتمت المدرسة العثمانية بتعليم الخط وتنشئة الخطاطين، حتى إن كثيراً من سلاطينها ووزرائها تعلموه. وقد استفادت هذه المدرسة من التقاليد التى كانت المدرسة المصرية قد أرستها، وأصبح سائداً نظام منح الشهادة أو الإجازة الذى كان ابن الصايغ قد وضعه. وقد مال الخطاطون، حتى المتميزون منهم، إلى محاكاة خطوط سابقيهم وتقليدها، الأمر الذى يمكن أن يكون أحد أسباب الروح المحافظة التى سادت المدرسة العثمانية بعد المجودين الأعلام.

المدارس العربية الحديثة: ظلّت شجرة الخط فى البلدان العربية مثمرة رغم الإهمال والظلال التى حجبت عنها النور بعد تركز الأضواء على الآستانة، فاستمر الخط العربى فى العراق لينتقل نقلة نوعية تتميز بالقوة والجمال على يد الخطاط الكبير هاشم محمد البغدادى الذى جود جميع أنواع الخط العربى بخصوصية كانت أساسًا لمدرسة العراق الحديثة تجمع ميزات المدرسة العراقية والمدرسة المصرية والمدرسة التركية.

وفى الشام، انتهى الأمر إلى الخطاط مصطفى السباعى الذى كان هو والخطاط التركى يوسف رسا، وتلميذه ممدوح الشريف أساتذة للخطاط بدوى الديرانى الذى جود جميع الخطوط بأسلوب متميز جميل، وطبع خط التعليق بطابعه الخاص كما طور طريقة جميلة من الخط الديوانى، بالإضافة إلى إجادته للخط الكوفى، مما جعله رأسًا للنهضة الخطية فى الشام. أما فى مصر، فقد استمر الخط العربى عبر عدد كبير من الخطاطين حتى كان عهد أسرة محمد على، حيث اتجهت الأضواء مرة أخرى إلى القاهرة، فبرز الخطاط محمد مؤنس الذى أخذ الخط عن والده، وبرع فيه. وكان صاحب الفضل الأول فى النهضة الخطية الحديثة فى مصر. وقد درّس عدداً كبيراً من الخطاطين، ووضع كتاب «الميزان المألوف فى وضع الكلمات والحروف».

ثم كان هناك عدد من الخطاطين الأفذاذ أمثال محمد جعفر ومصطفى الحريرى ومحمد الجمل وعدد كبير من الأساتذة الذين درّسوا فى مدرسة تحسين الخطوط الملكية التى أنشأها السلطان فؤاد بعد الانقلاب الكمالى الذى عصف بالحروف العربية فى تركيا. وكان من أبرزهم الخطاط التركى عبد العزيز الرفاعى، والخطاط مصطفى غزلان الذى طور الخط الديوانى تطويراً جماليًا كبيراً، والأستاذ يوسف أحمد الذى أحيا الخط الكوفى من جديد وقام بتدريسه ونشره، والخطاط محمد حسنى الدمشقى الذى برع كثيراً فى التراكيب الخطية التى ابتدع فيها أسلوبًا خاصًا اتبُع من بعده. ويضاف إلى هؤلاء عدد كبير من الخطاطين الأعلام أمثال محمد إبراهيم الذى افتتح فى الإسكندرية مدرسة خاصة لتعليم الخط، وأحيا بعض أنواع الخط الكوفى، والأستاذ سيد إبراهيم الذى كان من أوائل المدرسين فى مدرسة تحسين الخطوط الملكية وأستاذاً لعدد كبير من الخطاطين والأستاذ محمد عبد القادر، كبير مفتشى مدارس تحسين الخطوط المنتشرة اليوم فى أنحاء مصر.

وفى المغرب العربى، حافظ الخط العربى على بعض سمات الخطوط الأولى. وظهرت أولى أساليبه فى القيروان كاشتقاق يحمل سمات جمالية خاصة عالية من خط المصاحف الكوفى، عُرف بالخط القيروانى، ثم تطور عنه خط نُسب إلى المهديّة. وتطور فى الأندلس نوعان أساسيان، أحدهما تكثر فيه الزوايا سُمىّ بالكوفى الأندلسى؛ والآخر تكثر فيه الانحناءات والاستدارات سُمى بالقرطبى أو الأندلسى، استخدم فى نسخ المصاحف والكتب وكان لتعليمه تقاليد خاصة فى الأندلس والمغرب. وقد ساد هذا النوع فى المغرب العربى كله حتى أواخر حكم الموحدين. ثم ظهر الخط الفاسى ثم السودانى أو التمبكتى (نسبة إلى تمبكتو فى مالى)، ويمتاز بكبره وغلظه، والتونسى الذى يعد أكثر الخطوط المغربية مرونة، والجزائرى وهو حاد الزوايا. ويستخدم الخطاطون فى المغرب العربى أقلاماً تختلف عن أقلام المشارقة من حيث بريها وقطتها التى تميل إلى الاستدارة. وفى العقود الأخيرة، شاع استخدام الخطوط العربية المشرقية للاستخدامات الفنية بشكل كبير، وأقبل الخطاطون المغاربة على تعلمها وتجويدها.

وقد ظهرت فى البلدان العربية تصاميم فنية لخطوط جديدة، وتم إحياء وتطوير بعض أنواعها الجميلة المهملة، وانتشرت اللوحات الخطيّة ومعارضها. إلا أن الخط العربى لم يعد يلقى العناية والتشجيع اللازمين بما يكفى من الجهات الرسمية، وأصبح يعتمد فى بقائه ونموه على الجهود الفردية لفنانيه وعشاقه ومحبيه وبعض المدارس والمراكز التعليمية الفقيرة.

المسلمون بناة الحضارة

أضواء

«ليس من شعب آخر قام فى العصور الوسطى بما قام به العرب والمسلمون فى سبيل تقدم البشرية (وتطلق كلمة العرب على أبناء الجزيرة العربية، وعلى سائر الشعوب التى اتخذت العربية لسانًا) حينما كان فلاسفة العرب منكبين على دراسة مؤلفات أرسطو وترجمتها وشرحها وبجانب الاهتمام بكل المؤلفات اليونانية والفارسية والهندية، وكان شارلمان ورجال بطانته يحاولون إتقان كتابة أسمائهم، وبينما كان علماء العرب فى قرطبة يترددون على خزائن كتبها السبع عشرة، ومنها خزانة بها ٤٠٠ ألف مجلد، ويعودون إلى بيوتهم فينعمون بالاستحمام فى حمامات بلغت الغاية فى المياه الباردة والساخنة كما كانت مهيأة بالنظافة والأناقة، وكان الأساتذة والتلاميذ فى جامعة أكسفورد فى ذات الفترة الزمنية يستنكرون الاستحمام ويحسبونه ترفًا من ملذات المعيشة الشهوانية التى يجب الترفع عنها.

د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة*

ولاشك أن اللغة العربية اليوم وسيلة للتعارف والتفاهم بين ٢٣٠ مليونًا من الناس فى المنطقة العربية، ولقد كانت فى العصور الوسطى لغة العلم فى جامعات الأندلس ولغة الثقافة والتقدم والعمران فى العالم قاطبة، فكان عدد المؤلفات الفلسفية والطبية والتاريخية والدينية والفلكية والجغرافية تربو على المليون عنوان، وهى التى كتبت خلال تلك المدة الواقعة بين القرن التاسع والقرن الثانى عشر للميلاد أعظم مما كتب بأية لغة أخرى، ولا يزال أثر اللغة العربية ظاهرًا فى لغات الغرب التى استعارت منها مفردات علمية وفنية جمة، ولا تزال حروفها أوسع الحروف انتشارًا بعد اللاتينية».

وليس فضل الحضارة العربية مقصورًا على أنها بدأت علومًا جديدة، وكشفت للناس طرائق غير مألوفة فى البحث والمناقشة والمناظرة والترجمة، والتسجيل والتصحيح والمقابلة بين الأصول المختلفة للمؤلَّف الواحد فى اللغات المتباينة، بل إن فضلها أكبر من ذلك وأهم، ذلك أنها هدمت الفوارق بين الناس، وفتحت لهم جميعًا باب العلم والمعرفة والإنتاج وقدرت منهم المخلص المنقطع لعمله مهما كان جنسه أو دينه أو لونه.

«ومهما كانت قومية المسلم أصلاً فقد صار الآن عربيًا، أصبح كل من يعتنق الدين الإسلامى ويتكلم اللغة العربية عربيًا بقطع النظر عن قوميته الأصلية، وهذا الحدث كان من أشد الأمور خطورة فى تاريخ المدنية الإسلامية، فنحن إذا ذكرنا «الطب العربى» أو «الفلسفة العربية» أو «الرياضيات العربية» فلسنا نقصد بذلك أن هذه العلوم بكليتها كانت من نتاج العقل العربى، أو أن الذين وضعوها ونبغوا فيها من أبناء الجزيرة، فإن مجموعة تلك العلوم التى وضعها فى اللغة العربية رجال نشأوا جلهم فى عصور الخلافة هم فرس ومصريون وعرب من مسلمين

* أستاذ بجامعة المنوفية.

ونصارى ويهود، وقد استمد بعضهم معلوماته من مصادر يونانية والبعض الآخر من مصادر آرامية أو هندية أو فارسية أو غيرها».

وقد لا يرضى كبرياء بعض العرب أن يسمع أن الثقافة العربية لم تكن إنتاج أجداده العرب الخلص وحدهم، وإنما هى نتاج الثقافات الآرامية والفارسية والهندية واليونانية والتى أسهمت كلها فى خلق الثقافة التى عرفت فى تاريخ الفكر والحضارة الإنسانية بثقافة العرب، وقد أقبل رجال الفرس واليونان والهند إلى تعلم اللغة العربية وحذقوها حذقًا يدعو إلى الإعجاب، ويحكى الجاحظ عن موسى بن يسار وهو قصاص فارسى الأصل كانت فصاحته فى الفارسية فى وزن فصاحته بالعربية، كان يجلس فى مجلسه العرب عن يمينه والفرس عن يساره، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، وهذا مثل له نظراء كثيرون.

وكان من أثر اختلاف السكان فى الدولة الإسلامية واختلاف أصولهم وأجناسهم وامتزاجهم بالسكن والزواج وغير ذلك، ودخول كثير منهم فى الإسلام ونمو الحضارة يتطلب دراسة واسعة بالهندسة والطب والفلك والنظام والحكم والسياسة واللغة والأدب، كان ذلك كله أن انتشرت فى الدولة الإسلامية ثقافات مختلفة امتزجت بالثقافة العربية

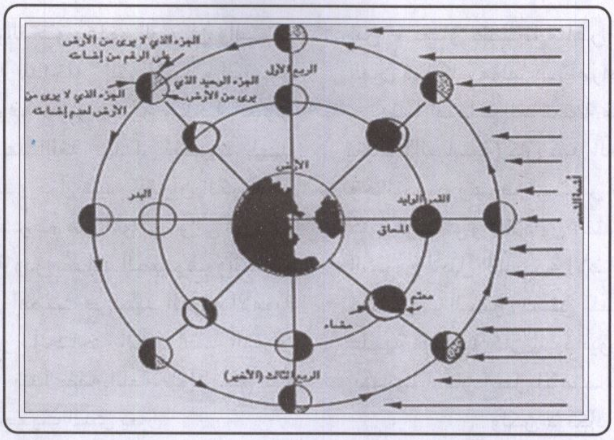

وكونت فى مجموعها ما يعرف بالثقافة الإسلامية.

فالثقافة بطبيعتها خلاصة أفكار أجناس وشعوب متعددة؛ لأن الفكرة الإنسانية كالصوت والضوء سريعة الانتقال، لا تكاد تخرج من رأس صاحبها حتى تنتقل من شخص إلى شخص، ومن بقعة إلى بقعة، ومن إقليم إلى إقليم، وهى فى هذا التنقل المستمر تتلون وتتغير، وتأخذ أشكالاً متباينة، وتلبس أثوابًا مختلفة، وتظهر تحت أسماء وعناوين لا تقع تحت حصر، والفكرة التى خرجت من رأس صاحبها وبقيت محبوسة لا تتعداه، هى الفكرة الميتة أو الحركة الذهنية التى لا تستأهل اسم «الفكرة».

فى العصور الأولى أقبل رجال الفرس واليونان والهند على تعلم اللغة العربية لأنها لغة العلوم وقتها

وليست الأفكار وحدها هى التى تخلق الحضارة أو الثقافة، إنما الجو الذى يتلقى هذه الأفكار، والأيدى التى تجمعها، والأذهان التى تنسقها، ولذلك لا تخلو صحائف التاريخ أبدًا من أفكار نادى بها أصحابها أن سجلوها على الورق، ثم بقيت خامدة لا تحرك شيئًا، جامدة لا تلهم أحدًا حتى يتهيأ لها جو أو تتلقفها يد.

فالحضارة العربية هى التى هيأت التربة التى تلقت البذور المختلفة، ثم هى التى أضافت إلى التربة الصالحة الحرارة اللازمة لنضج البذرة، ثم الماء اللازم الذى لا غنى لها عنه.

والدراسات العربية وإن كانت قد بدأت باللغة العربية فإن الباعث الأول لهذه الدراسات بما فيها

دراسات الصرف والنحو وعلوم البيان والبديع والبلاغة، كانت حاجة الداخلين إلى الإسلام إلى تعلم اللغة العربية ومعرفة أصولها، ثم حاجة العرب أنفسهم إلى تعلم قواعد اللغة، بعد أن بعد بهم العهد قليلا عن العصر الذى نزل فيه القرآن الكريم مع اختلاطهم بغيرهم من الموالى، وإلى أن هذه الدراسات اللغوية ودراسات الصرف والنحو والبلاغة، لم تلبث أن أفضت فى عهد الدولة الأموية إلى اشتداد الشعور بالحاجة إلى دراسة القرآن الكريم دراسة علمية، تبدأ بفقه اللغة، فولد علم فقه اللغة، ثم إلى علم الحديث الذى يعين قارئ القرآن على فهم أحكامه بما روى عن الرسول ﷺ من قول أو فعل، وقد عنى المسلمون بالحديث، وبذلوا كل ما لديهم من جهد لسماعه وفهمه، ثم استيعابه وحفظه وكتابته، وحرص الصحابة والتابعون على تلقى الحديث من رسول الله ﷺ بلا واسطة، وكان يطيب لهم أن يلازموه ليأخذوا عنه ما استطاعوا، ثم إلى علم القانون، الذى هو علم الشريعة الإسلامية، وبميلاد هذه العلوم اللغوية والشرعية، نشأ الجو العلمى الصحيح: جو الاستنباط، استنباط القاعدة الكلية من الحالات الفردية، وتحقيق الأمور، بردها إلى أصولها، وبتقدير ما فيها من حقيقة، بتقدير صدق ناقلها وعلمه، ولذلك لم يكن غريباً أن يشهد العصر الأموى ميلاد العلوم التطبيقية من طب وكيمياء، وقد بدأ ذلك كله بالترجمة، وقد ترجم حنين بن إسحاق كتب جالنيوس فى الطب كما ترجم عدداً من كتب أبقراط مثال ذلك كتاب الفصول مع تفسير جالنيوس، وكتاب الكسر، وكتاب الخلع، وتقدمة المعرفة وتدبير الأمراض الحادة وكتاب فى القروح، وكتاب جراحات الرأس وكتاب الأمراض الوافدة وكتاب فى الأخلاط وكتاب الأهوية والمياه والبلدان وكتاب الغذاء وكتاب طبيعة الإنسان، كما كان حنين ابن إسحاق طبيبًا ماهرًا ممتازًا، اهتم بأمراض العين كما كان مؤلفًا فى أمراض عدة.

فلما انتقلت العاصمة من دمشق (الأموية) إلى بغداد (العباسية) كان عند العرب معظم كتب أبقراط وجالنيوس وثيوفراستوس وستراتو الطبية، وأهم كتب أرسطو وأفلاطون الفلسفية، ونخبة من كتب الشروح لأهل الفلسفة الأفلاطونية الجديدة، ففى عشرات السنين تسنى للعرب الوقوف على آثار علمية فلسفية كان اليونانيون قد أنفقوا القرون فى إنشائها، وكان أصل الاهتمام بالعلوم الفكرة الدينية، ولكن لا تكاد العلوم تولد حتى تنمو وتكبر كأى علم آخر، فمثلاً كان مرد الاهتمام بالفلك الرغبة فى تعيين جهة القبلة وتعيين أول الشهور العربية، وتحديد شهر رمضان المبارك وتحديد مواقيت الصلاة بالضبط، وقد جاء الخوارزمى فوضع جداوله الفلكية استنادًا إلى كتاب وفد به رحالة هندى إلى بغداد، وكان الخليفة قد أمر بترجمته، ففتح أمام الذهن العربى والإسلامى باب الدرس والتأمل فى الشئون الفلكية، وقد قام بترجمة هذا الكتاب الفلكى الفزارى، كما ترجم معه كتابًا فى الرياضيات عن الهندية أيضًا، فانتقلت الحروف الهندية من العرب إلى أوروبا، ولذلك تسمى الأرقام التى تستعمل فى أوروبا إلى اليوم، بالأرقام العربية؛ لأنها نقلت إلى أوروبا عن العرب، والعرب هم وحدهم الذين يعرفونها بالأرقام الهندية.

شهد العصر الأموى ميلاد العلوم التطبيقية كالطب والكيمياء وأهم كتب أرسطو وأفلاطون الفلسفية

وقد كان الأمر الصادر من الخليفة المأمون بإنشاء دار الحكمة نقطة تحول هامة فى حياة الفكر الإنسانى، وقد كانت دار الحكمة هذه خزانة كتب، ودار علم ومكتب ترجمة، وقيل عنها إنها كانت أول أكاديمية ظهرت فى الإسلام، وقد بلغ شغف هارون الرشيد بالعلوم أنه حين استولى على أنقرة وعمورية كان أول ما فكر فيه هو تكليف عدد من العلماء

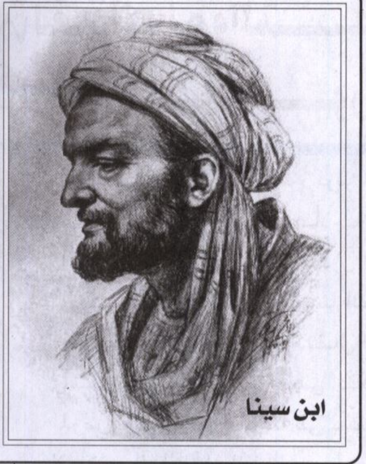
ابن سينا

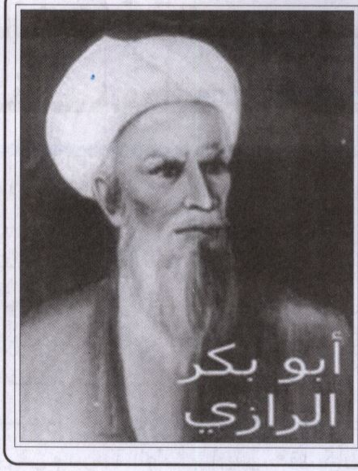
أبو بكر الرازي

يحذقون اليونانية والآرامية والسريانية لفحص المكتبات واختيار أحسن ما فيها من الكتب ليضعها فى بيت الحكمة، ولم يكن بيت الحكمة إلا تتويجًا للجهود التى بدأت فى العصر الأموى واستمرت مع بداية العصر العباسى، وقد وجدت هذه المؤسسة العلمية التى يتفق المؤرخون على دورها فى نشر المعرفة وإثراء المدنية الإسلامية، وقد اعتنى المأمون ببيت الحكمة وجعل منها مجمعًا علميًا ومرصدًا فلكيًا، ومكتبة عامة أقام فيها طائفة من المترجمين أجرى عليها الأرزاق من بيت المال.

وقد كانت أعمال الترجمة قبل ذلك يقوم بها أفراد متفوقون، ويقومون بجهود مبعثرة، فتركزت أعمال الترجمة وجهود المترجمين فى هذه الدار التى قامت على تنسيق أعمالهم، ومدهم بالمعونة والتوجيه، فاستطاعت حركة الترجمة أن تستمر مائة عام، فتمت ترجمة كل الآثار اليونانية الفلسفية والعلمية، وكان من فرط اهتمام المأمون بالترجمة أنه كان يمنح المترجمين ما يساوى وزن ماترجموه ذهبًا، ومن أعلام الترجمة آنذاك حنين بن إسحاق، وإسحاق بن حنين، ويوحنا بن مساويه وقسطا بن لوقا البعلبكى، وحبيش بن الحسن، واصطفن بن بسيل، وأيوب الأبرشى وماسرجويه، والحجاج بن مطر وموسى بن خالد وحبرون بن رابطة، وأيوب الرهاوى، وإبراهم بن الصلت، ويحيى البطريق والرهاوى.

دار الحكمة نقطة تحول هامة فى حياة الفكر الإنسانى لأنها أول أكاديمية ظهرت فى الإسلام

على أن دور العرب لم يقتصر على الترجمة، وإن كان فضلهم فى هذا ليس بالقليل، فقد تبع مرحلة الترجمة دور الابتكار والابتداع، وقد نالت اللغة العربية بفضل المرحلتين واتسعت، حتى أصبحت تطاوع رغبة العلماء والإفصاح عن الآراء الفلسفية ذات التعقيد وأصبحت تعاريفهم فى العلوم والقانون والفلسفة آية من آيات الإحكام والدقة مع الإيجاز والخلو من الحواشى الزائدة، لقد ابتكر العرب فى الطب والفلسفة والفلك والرياضيات والجغرافيا والكيمياء، وقد كان الطبيب العربى عالمًا بالأبدان فوق علمه بما وراء الطبيعة والفلسفة والحكمة، ولذلك كان إطلاق لفظ «الحكيم» على الطبيب مطابقًا للواقع فى ذلك الحين، ومازال أحفاد العرب يطلقون كأجدادهم على الطبيب لقب «الحكيم» وقد كان العرب أول من أوجدوا حوانيت لبيع الأدوية، وأقدم من أسس مدرسة للصيدلة، وكان الطبيب الصيدلى لا يباشر عمله إلا إذا اجتاز امتحانًا، فقد فرض المأمون هذا الامتحان، وجعله شرطًا لمزاولة هاتين المهنتين وتبعه فى ذلك المعتصم، ورأى المقتدر أن يمتحن كل الأطباء الذى كانوا يزاولون الطب فى أيامه، حتى يقصى عن شرف هذه المهنة من لم يصلح لها، ومن لا يستعد

كانت اللغة العربية لغة العلم والثقافة والتقدم والعمران فى العصور الوسطى

لتبعاتها بالعلم والتجربة، وقد نجح فى ذلك الامتحان فى بغداد ما يزيد على ثمانمائة وستين طبيباً، وقد أمر وزير المقتدر، حسين ابن على، فأرسل بعثات من الأطباء إلى أنحاء البلاد والقرى لتعالج المرضى بالمجان، وتوزع عليهم الأدوية بلا مقابل، وكانت العناية الطبية شاملة حتى للمساجين فى السجون.

ولا يزال اسما «الرازى» و «ابن سينا» يزينان القاعة الكبرى فى مدرسة الطب بباريس، فقد كان أولهما أعظم المبتكرين فى علم الطب فى القرون الوسطى، وأكبر الأطباء الذين نشأوا على منهج الخبرة المنظمة عقليًا، وكان رأى الرازى أن الطب النظرى أساس الطب التطبيقى، ويجب أن يسبقه، ويؤكد على ضرورة امتحان الطبيب فى التشريح ووظائف الأعضاء، وفى التعليم يجب الجمع بين الطب النظرى والطب الإكلينيكى، وقد وضع نظامًا لتنسيق أسماء الأدوية باللغات اليونانية والسريانية والعربية والفارسية والهندية، وأما ابن سينا فقد أضاف إلى العلوم الطبية بكتابه «القانون فى الطب» شيئًا عظيما فقد بقى مرجعًا تعتمد عليه دور العلم فى جامعات أوروبا.

فقد كان شغله الشاغل التشخيص والعلاج والتفريق بين الأمراض المتشابهة، وحسن تدبير المرضى وتجنب الأخطاء وتنسيق الحقائق وربط الأسباب بالمسببات، وكتاب القانون لابن سينا من الكتب العالمية فيه حل لكل المشاكل الطبية، فهو أول من قدم فى تاريخ الطب تشخيصًا كاملاً ودقيقًا للالتهاب الرئوى والربو والسل مميزًا بينها، ولعل وصف ابن سينا للسل كان دقيقًا لحد أن ظهور أشعة إكس لم يدخل عليه أى تعديلات، وهو أول من وصف الالتهاب السحائى وفرق بينه وبين الأمراض المتشابهة كما أشار ابن سينا الى دور الجهاز الهضمى فى نشوء مرض الربو الشعبى، وأول من وصف مرض داء الكلب وعلاجه وأسبابه، المرض الذى ظل غامضًا حتى القرن التاسع عشر فى أوروبا، كما استطاع ابن سينا الفصل بين الجدرى والسحاء، وقال بإمكانية انتقال الطاعون بالعدوى، وأشار إلى أن الفئران هى الناقلة لجراثيم هذا المرض، وتطرق ابن سينا فى عملياته الجراحية لاستئصال الأورام الخبيثة، وأن أساليبه فى علاج كسور العظام صالحة حتى اليوم، ووضع ابن سينا الأسس العلمية لطب الأمراض العقلية.

أما أبو الكيمياء العربية «جابر بن حيان» وهو من الرواد الأوائل فى حقل البحث التجريبى، فقد كان من أوائل الدعاة إلى الأخذ بالمنهج التجريبى.

وقد يطول بنا الكلام إذا نحن أردنا أن نعدد الأسماء العربية، والآثار العربية التى كانت أساس العلوم الحديثة، ونكتفى هنا فى هذه العجالة بأن ننقل هذه العبارة من الفصل المعنون فضل العرب على المدنية الغربية من كتاب تاريخ العلم لجورج سارتون أيضا:

«فالعرب هم الذين وضعوا علم المثلثات كما وضعوا علمى الجبر والهندسة التحليلية، ومن يطالع أسماء النجوم التى تتحلى بها القبة الزرقاء يدرك حالاً أن الفلكيين العرب، تركوا آثارا خالدة تنطق بمقدرتهم واجتهادهم، وليست جمهرة أسماء النجوم فى اللغات الأوروبية، عربية الأصل فقط أمثال العقرب Acrab والجدى Algedi والطائر Altair والفرقد Pharked بل إن كثيرًا من مصطلحاتها الفلكية يرجع إلى ألفاظ عربية مثل السموت Azimuth والنظير Nadir والسمت Samth وما هذا غير قليل من كثير مما أتحف به الإسلام أوروبا المسيحية».

العبادات والمعاملات برهان الإيمان

د. أحمد عبد اللطيف الكلحى *

إن الإسلام لم يفرق بين العبادات والمعاملات، بل جعل المعاملات دليلاً على قبول العبادات لذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: الآية ٧٧).

نداء من الله تعالى للمؤمنين يحضهم على الإقبال عليه سبحانه بأعمال العبادات والمعاملات فى تلازم وتكامل بينها: ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ..﴾، فكل أعمال الطاعات عبادة لله تعالى بالاستجابة له فيما يرضيه،سواء فى القيام بواجب حقوقه الخالصة كالتوحيد والصلاة والصيام والحج وغيرها، أو فى التزام حسن الخلق والمبادرة إلى فعل الخير فى معاملة الناس ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾، فالإسلام دين عقيدة وشريعة، عام وشامل وكامل، تحيط تشريعاته الحكيمة بجميع مجالات الحياة الإنسانية، المادية والروحية والاجتماعية والحضارية، من خلال مقتضيات العقائد والعبادات والمعاملات، فى تلازم وتكامل لا يستقيم منها جانب دون آخر.

فالتوحيد أساس إيمانى اعتقادى، والعبادات استجابة وتطبيق لذلك فى علاقة المسلم بربه، والمعاملات مجال تفعيل لمقتضيات كل ذلك فى شؤون الحياة والمجتمع، التزاما وانضباطا بين الأوامر والنواهى الشرعية. ويعنى ذلك التلازم والتكامل بين الإيمان والعبادة، والأخلاق والمعاملات، فلا انفصال بينها إلا مظهريا، أما فى تدين المسلم فإن إيمانه وعبادته وأعماله ومعاملاته منظومة سلوكيات متكاملة ومتفاعلة يغذى بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض. فالإيمان طاقة عقدية حافزة تغذى همة المؤمن بعزائم الإرادة والصبر والثبات فى العبادة، والعبادات برهان الإيمان وحافز الاستقامة الخلقية، والأخلاق روح العبادة وجوهر الإحسان فى العمل والمعاملة. وتحضر

* إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

هنا مقولة فقهية مشهورة، وجيزة وجامعة: (الدين المعاملة)، يحسبها كثير من الناس حديثا نبويا، وما هى بحديث، ولكن معناها صحيح تشهَد له مَقَاصِد الدِّين فى كثير من آيات القرآن والأحاديث النبوية، بما تنص عليه من أهمية السلوك والمعاملة فى حقيقة التحلى بالإسلام وتطبيقه، لأن المعاملة معيار التزام المسلم بدينه، وبرهان إيمانه وتقواه، بحيث لا يجدى تدين لا يستقيم على إحسان المعاملة، وقد كتب الله الإحسان على كل شىء كما نص على ذلك حديث رسول الله ﷺ.

لذا فالعمل بالإسلام لا يقتصر على الإيمان وأداء الأعمال التعبدية الظاهرة وحدها كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها، بل لابد أن يكون لهذه الأعمال آثار طيبة تطبع سلوك المسلم وتميزه فى جوانب حياته كلها أقوالا وأفعالا وأحوالا. ولقد أتى على المسلمين حين من الدهر شغلوا بالدنيا عن التفقه فى الدين، وابتعدوا عن حكمة الإسلام ونبل مقاصده، فتسربت إليهم أوهام واختلالات فى فهم الدين وفى سلوك التدين؛ فأصبح منهم من يتوهم الإيمان مجرد شعور قلبى لا حاجة معه إلى أفعال تعبدية ولا خلقية، ويزعمون أن الله غنى عن طاعاتهم ما دام يطلع على ما فى قلوبهم من حسن الظن به: «وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل». كما قال الحسن البصرى. ومنهم من توقفوا بدينهم وتدينهم عند الشعائر التعبدية الصرف وحدها، ولا يعنيهم منه مقاصده وأحكامه وضوابطه فى الأخلاق والمعاملات، فإذا هم على تصرفات تناقضه كليا أو جزئيا، يفرقون بين الدين والدنيا، وبين الدنيا والآخرة، فإذا فرغوا من هذه العبادة أو تلك، قد لا تجد للإسلام دورًا أو أثرا فى حياتهم العملية، وقد يتساهلون أو يترخصون فى المحرمات والمنكرات القولية والفعلية. وكما أن شاهد صدق العبادة يتجلى فى إحسان المعاملة مع الناس، فكذلك أعمال العبادة برهان الإيمان.

وَلِذَلِك يُخْطِئ كَثِير من النَّاس عِنْدمَا تَأْمُر أحدهم بالصَّلَاة أَو الصِّيَام أَو الزَّكَاة أَو أى عَمَل صَالح فَيَقُول: أَنَا فى عبادة لأننى لا أَسْرِق، وَلَا أَزْنِى، وَلَا أَشْرَب الْخَمْر، وَيَدِى نَظِيفَة، وَإِيمَانِى فِى قَلْبِى.. وذلك سوء فهم وضلال؛ لأن الدين كل لا يتجزأ اعتقادا وعملا، لكن المؤمنين الصادقين ـ الذين يأخذون دينهم عن علم ويقين وبصيرة ـ يستجيبون لشريعته ويلتزمون به إيمانا وعبادة وأخلاقا ومعاملات، على قدر استطاعتهم، لا يفرقون بين أركانه وأحكامه وآدابه ولا ينتقون ولا يعطلون.

ولما كانت حقيقة الدين إنما تتجلى عمليا فى إحسان معاملة الناس، فإن مدلول المعاملة واسع يشمل كل علاقات المسلم ومجالات تدينه والتزامه، وهى بذلك تتضمن مقاصد الحديث النبوى: «**الدين النصيحة**». والنصيحة: إخلاص والتزام وإحسان فى كل الأعمال والمعاملات:

ـ فالدين المعاملة فى علاقة المسلم بربه وهو يقبل عليه بأداء حقوقه سبحانه، إيمانا وتوحيدا وعبادة،

الدين المعاملة فى علاقة المسلم بالناس وسائر الخلق وتحقيق الصلات وفعل الخيرات وبذل النصح وكف الظلم والأذى

على الصدق والإخلاص، سمعا وطاعة وتسليما وتعظيما وتوقيرا. فى كل ما يقتضيه منه ذلك قلبا وعقلا وجوارح، فيجعل وجوده كله لله عبودية وعبادة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ (الأنعام: الآية ١٦٢).

ـ والدين المعاملة فى علاقة المسلم بالناس وسائر الخلق، التزاما بأوامر الله تعالى وحدوده، عملا بالعدل والإحسان، فى رعاية الحقوق وأداء الواجبات وتحقيق الصلات وفعل الخيرات وبذل النصح وكف الظلم والأذى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: الآية ٩٠)، ومناط ذلك كله فى التحلى بأخلاق الإيمان كما يأمر النبى ﷺ: «**وخالق الناس بخلق حسن**». وفى حديث آخر: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم**». إن أخلاق المعاملات وفق الأوامر والنواهى الشرعية هى روح العبادة ولبابها، بل هى برهانها وشاهد صدقها، وإلا فإن إخفاق العبد فى مجال المعاملات بالتهاون والتفريط، له عواقب وخيمة على عباداته نفسها،التى قد يكون مصيرها ضياع ثوابها بسبب إساءته فى معاملة الناس، كما هو حال المفلس الذى أخبر عنه النبى الكريم ﷺ وحذر فقال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ؛ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**» (أخرجه مُسلِم).

فَهذَا الْمُفْلس جَاء بالإسْلام الظَّاهر فى العبادات من صَلاة وَصِيَام وزكَاة وَلَكنه أساء فِى مُعَامَلَة الخَلْق، وفرق فى تدينه بين العبادة والسلوك، اجتهد فى أداء حقوق الله بالعبادة، وتنكر لواجب حقوق العباد،وفى كل ذلك عبادة بالطاعة والاستقامة، فَدَل ذلك عَلَى ضَعْف إيمَانه وَتقواه، فَرَسَب فِى موازين العدل يَوم الْقِيَامَة،يَوم يُكْرم الْمَرْء أَو يُهَان. فحق له أن يكون يومئذ صفر اليدين؛ وذلك لأن عبادته لم تؤت ثمارها التى شرعت من أجلها، وهى ضبط السلوك وإحسان المعاملات؛ فالصلاة وهى عمود الدين، ليست مجرد حَركَات تعبدية، لَكنَّها تُربى صاحبها على التزام الحَق وَالصِّدْق وَالعدل،واجتناب الفحشاء والمنكر والبغى، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: الآية ٤٥)، بل هى عَون عَلَى الالتزام بِشَرْع اللَّه وَالْقيَام بأَمْره: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ (الْبَقَرَة: الآية ٤٥). والزَّكَاة لَيسَت ضَرِيبَة مَاليَّة، بل هى طاعة وعبادة إنفاق ووَسيلَة للتطهُر وَالتَّزكيَة وتقوية علاقات الأخوة والتعاون: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ (التَّوبَة: الآية ١٠٣).

والصَّوم لَيس عبادة جُوع وَعطَش وحرمان، بَل هُو شعيرة تربوية تغذى القلب بالتقوى والجوارح بالانضباط والالتزام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الْبَقَرَة: الآية ١٨٣)، وَقَال ﷺ: «**مَن لَم يَدَع قَوْلَ الزُّوْرِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّه حَاجَة أَن يَدَع طَعَامَه وَشَرَابَه**». وَقَال: «**رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، و رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**» وَالحَج لَيس شعيرة سيَاحَة واغتراب، بَل هُو موسم عبادة ودورة تربوية للطُّهر وَالزُّهد وَالتَّرفُّع عَن مَتَاع الدُّنيَا ومساوئ الأَقوال والأفعال: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ

> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
>
> **إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة**
>
> رواه البخاري

ولا جِدَالَ فى الحج ﴾ (البَقَرَة: الآية ١٩٧).

فالمسلم الحق هو الذى يترجم الإسلام ترجمة سلوكية عملية فى واقع حياته؛ ليصبح له تجليات ملموسة فى علاقاته ومعاملاته أقوالا وأفعالا، فلقد جعل النبى الكريم حسن المعاملة والعلاقة مع الآخرين من كمال الإيمان فقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**». وقال ﷺ: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**»، وفى مقابل ذلك قد تكون المعاملة السيئة مع الناس سببًا لدخول النار حتى ولو مع الاجتهاد فى العبادات، لما روى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِى جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: «**هِيَ فِى النَّارِ**». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ - القطع من الجبن - وَلَا تُؤْذِى جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ: «**هِيَ فِى الْجَنَّةِ**»، بل إن الإسلام يسمو بالمسلم فى علاقاته مع الخلق أجمعين، حتى مع الحيوان، فكانت الجنة جزاء امرأة بغى من بنى إسرائيل رق قلبها رحمة،فسقت كلبا أوشك على الموت عطشا، بينما كانت النار مصير امرأة أخرى قال النبى ﷺ عنها: «**دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تاكل من خشاش الارض**»، ولو كان الدين إيمانا وعبادة فحسب دون اعتبار للمعاملات، ما كان لدعوة النبى ﷺ جاذبية ولا أثر على الناس، وهم أهل مآرب دنيوية فى مجتمع تحكمه علاقات وتفاعلات ومصالح.

لذلك يثنى القرآن الكريم عليه بقيمة وفعالية أخلاقه بينهم وهى مناط الإقناع والتأثير: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ**﴾ (آل عمران: الآية ١٥٩)، وبذلك نال ثقة الجميع وتقديرهم حتى من أعدائه. فقد كان بعض كفار قريش يودعون أماناتهم عنده ﷺ، وهم لا يؤمنون به، لما يعلمون من نبل أخلاقه وقد عرف بينهم بالصادق الأمين.

فهذا عوف بن الحارث كان ممن قاتل المسلمين مع قومه، حتى قام يوما على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وهو نائم، فقال: «من يمنعك منى؟ قال ﷺ: «**الله**» فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقال له: «**ومن يمنعك منى؟**» قال: «كن خير آخذ» قال: «**تشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله**» قال لا، ولكن أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلَّى رسول الله ﷺ سبيله، فجاء إلى أصحابه يقول: «جئتكم من عند خير الناس».

إن الإسلام انتشر فى بلدان آسيا كالصين وأندونيسيا وماليزيا وفى إفريقيا وغيرها بسبب أخلاق المهاجرين والتجار المسلمين الذين ما كانوا فقهاء ولا علماء ولا متخرجين من معاهد إعداد

الدعاة، إنما كانوا على الإسلام الصحيح الذى تشهد به أخلاقهم فى معاملاتهم للناس بالحق والعدل والإحسان، فكانوا بها قدوات طيبة مقنعة وفاعلة، ترغب فى فضيلة الإسلام والإقبال عليه. ذلك الذى نفتقده اليوم فى الكثير من أحوالنا وقد اضطربت الكثير من أخلاقنا وساءت الكثير من معاملاتنا؛ فأضحى التدين عند شريحة من المسلمين تدينًا شكليًّا فاقد الروح، عديم الثمار السلوكية الطيبة، بل صار عدم إحسان المعاملة مسلكا منفرا من الدين من حيث لا ندرى .

فلو كان المعول فى الإقناع بفضيلة ديننا على واقع حياتنا الإسلامية الحالية، لقل البرهان المقنع للإقبال على الإسلام. طَلَبَ عُمَرُ الْفَارُوقُ مِنْ رَجُلٍ أَنْ يَأْتِيَه بِمَنْ يَعْرِفه حَقَ الْمَعْرِفَةِ ليضمنه فى مَسْأَلَةٍ، فَلَمَّا جَاءَه بِالرَّجُلِ ابْتَدَرَه الْفَارُوقُ سَائلاً: أَنْت جَارُه الأَدْنَى؟ قَالَ: لا، قَالَ: إِذَن فَقَد رَافَقْتَه فِى سَفَرٍ؟ قَالَ: لا ؟ قَالَ: فَلَعَلَّك عَامَلْتَه بِالدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ؟ قَالَ: لا، قَالَ: إِذَن فَلَعَلَّك أَبْصَرْتَه فِى الْمَسْجِد يَرْفَع رَأْسَه تَارَة وَيَخْفِضُه تَارَة، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اذْهَب فَإِنَّك لا تَعْرِفُه».

فَانْظُرُوا كَيْف جَعَلَ الْفَارُوقُ الْمُعَامَلَةَ مِعْيَارَ الحكم على أقدار الناس وليست المظاهر التعبدية التى قد يتظاهر بها ضعاف الإيمان، كما يخادع بها المنافقون **﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾** (النساء: الآية ١٤٢).

إن حسن التعامل مع الناس إكسير ناجح لكسب قلوبهم ونيل رضاهم، ومع أن ذلك لا يكلف كثيرا، لكن آثاره الطيبة عظيمة على مستوى النفس والمجتمع . فمن أحب أن يعيش حقيقة دينه وتدينه فليعامل الناس بكريم الأخلاق كما يحب أن يعاملوه، فإن النبى ﷺ يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**». فبحُسن الخلق عملا ومعاملة، يستقيم الجانب السلوكى من الدين، ويتجانس مع الجوانب الأخرى فى العقائد والعبادات، وذلك أساس الحياة الإسلامية الطيبة الراقية، وهى أقوى شاهد وبرهان للاقتناع والإقناع بربانية الإسلام وتميزه وامتيازه .

يقول روجيه جارودى ـ وكان فيلسوفا شيوعيا قبل إسلامه ـ : كنت مع مجموعة الجنود الفرنسيين الذين كانوا يحاربون المسلمين الجزائريين فى ثورة الجزائر عام ١٩٦٠ وتم القبض علىَّ بواسطة مجموعة من المجاهدين المسلمين، وسلمونى إلى أحدهم ليتولى إعدامى فى الجبل، وحين انفرد بى سألنى: «هل معك سلاح؟»، فقلت له: «لا، ليس معى سلاح»، فقال: «وكيف أقتل رجلاً ليس معه سلاح؟» وأطلق سراحى.

قال جارودى: «وبقيَتْ هذه القصة تتفاعل فى ضميرى سنين كثيرة، حتى قمت بدراسة الإسلام فأيقنت أن هذا المجاهد كان ينطلق فى تصرفه معى من واقع العقيدة والأخلاق الإسلامية، فكان لهذا الحادث أثره البالغ فى إسلامى الذى هز العالم بأسره .

وحدث مثل ذلك مع مسلم ألمانى (يحيى يشوفسكه) حين ركب مع زوجته ناقلة عمومية فى أمريكا، فصعد إفريقىّ هرم أسود، فقام له وأجلسه مكانه،فإذا بالرجل يبكى، ولما كان يحيى لا يعرف الإنجليزية فقد سأل جيرانه لماذا يبكى الرجل؟ قالوا له: إنه قادم من جنوب إفريقيا ولأول مرة فى حياته يرى رجلاً أبيض يقوم له ويجلسه مكانه. يحكى يحيى القصة، ويقول: «هذا هو الإسلام». كذا كان حسن المعاملة وصفة سحرية لولوج قلوب الناس وامتلاكها، ويكون ذلك قدوة طيبة وشهادة عملية صادقة على عظمة الإسلام.

أحبابى هذا هو ديننا .. إنما الذين يروعون الناس ويخربون العمران ويهدمون البنيان فالإسلام منهم براء وفى الختام نقول لهم:

أفمسلمون وأمة شلاء

لاهم ميتون ولاهم أحياء

يرنونا والإسلام أشرف منزلا

ومحمد ومايفعلون منه براء

المديح النبوى فى الشعر العربى

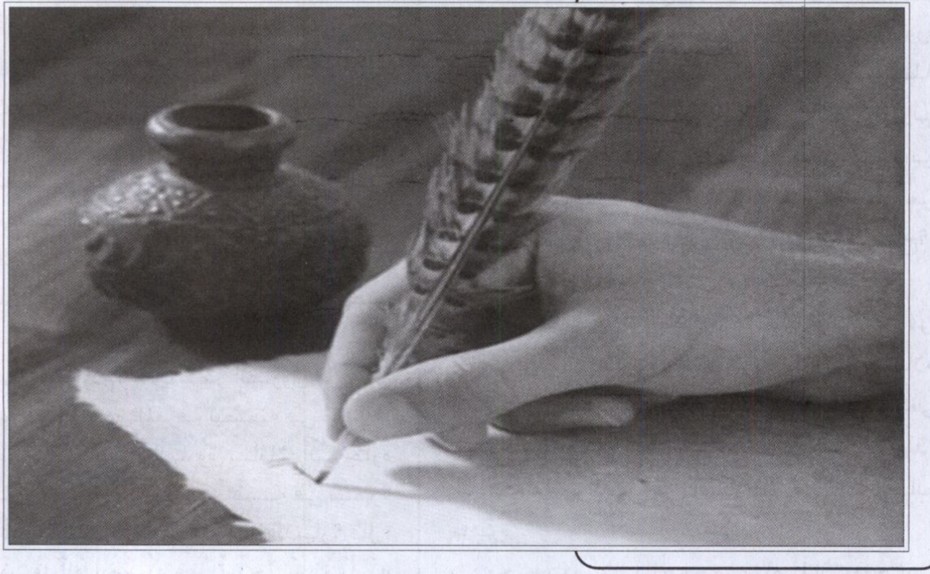

المديح النبوى هو شعر دينى غايته مدح النبى ﷺ فيعدد صفاته الأخلاقية ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم الآية ٤) والخلقية، وعصمته كخاتم للنبيين وسيد للبشر، ويذكر معجزاته المادية والمعنوية، وينظم سيرته شعراً.

ويتميز هذا النوع عن غيره من شعر المديح بصدق العاطفة، وجيشان الانفعالات، فدافعه الشوق الحار لصاحب الرسالة ولزيارة الأماكن المقدسة التى حل بها، وناظمه لا يبتغى تكسبا، ولا رياء للسلاطين، أو الأمراء أو الوزراء، أو ما شاكل ذلك، فهو يناجى ربه من خلال شعره معترفا بذنبه مستعطفاً إياه طالبا العفو والغفران، منتقلا بعد ذلك لمدح النبى ﷺ. ويعرف الدكتور زكى مبارك المدائح النبوية بأنها: «فن من فنون الشعر التى أذاعها التصوف، فهى لون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية، وبات من الأدب الرفيع لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص».

د. هند ماهر أبو العطا

نشأ المديح النبوى فى عصر صدر الإسلام فهذا حسان ابن ثابت - شاعر الرسول - يقر فى أبياته أنه لم يجد أكمل منه ﷺ خُلُقاً وخَلقاً فيقول:

وأحسن منك لم تر قط عينى
وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

ومدح كعب بن زهير النبى ﷺ فى قصيدته (بانت سعاد..) التى كانت اعتذاراً عما بدر منه فعفا الرسول ﷺ عنه بسببها وخلع عليه بردته بعد أن أهدر دمه وكان أشهر بيت بها:

إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

ظل المديح النبوى موجودا على مر العصور، وسيظل إلى ما شاء الله، ومن ثم وجب علينا طرح سؤال مهم ألا وهو: ما الفرق بين المديح والرثاء؟ فالمديح هو ذكر محاسن ومناقب الحى، أما الرثاء فهو ذكر تلك المحاسن والمناقب للميت، والإجابة أن هذا الفرق ينطبق على سائر البشر ماعدا رسول الله ﷺ فخلقه منهاج لكل البشر فى كل زمان ومكان قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ (سورة الأحزاب الآية ٢١) لذا فكل ما جاء بحقه مدح.

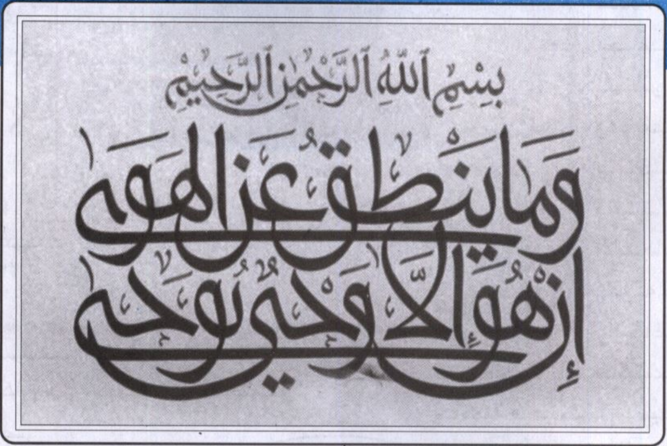

المديح النبوى ليس إطراء ولا ثناء بقدر ما هو إقرار بفضائل النبى ﷺ

وهذا المنهاج محفوظ برعاية الله تعالى الدائمة للمنهج ومبلغه: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾ (سورة الضحى الآية ٣)، وكما طمأنه الله بدوام الرعاية فقد شهد له بالعصمة ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى • إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى • عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ (سورة النجم الآية ٣-٥) كما شهد الله له بالمنزلة العالية ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ (سورة الحاقة الآية ٤٠)، ورفع ذكره فى الأولين والآخرين: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ (سورة الشرح الآية ٤)، بعثه ربه لكل البشر، وهو سراج نهتدى به على مر الزمان: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا • وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾ (سورة الأحزاب الآيات ٤٥-٤٦)، ولذلك كان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ (سورة التوبة الآية ١٢٨).

وقد علم الله تعالى المؤمنين التأدب فى خطاب الرسول ﷺ، ونهاهم عن التقدم بين يديه، وبين لهم أن رفع الصوت عنده يحبط الأعمال:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ**﴾ (سورة الحجرات الآيات ١-٢).

ولكل ما سبق ظل ما ينظم فى النبى ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى يسمى مديحا ومن ذلك مدح بعض الشعراء الرسول فى العصر الأموى كالفرزدق بقوله:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرم

إلا أن النزاعات السياسية فى العصر الأموى والعباسى قد أدت إلى خفوت هذا اللون الشعرى

قال الله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

سورة الأحزاب

واضمحلاله إلا ما كان من الكميت فى مدحه لآل البيت، والشريف الرضى.

وعندما ننتقل إلى أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجرى فى عصر الدول والإمارات المتتابعة يزدهر المديح النبوى مرة أخرى خاصة فى بيئة المتصوفة، ومن هؤلاء «البوصيرى» صاحب البردة واصفا مكانة الرسول وراجيا شفاعته، فهو خير الأنبياء وخاتمهم:

محمد سيد الكونين والثقلين
والفريقين من عُرب ومن عجم

نبينا الآمر الناهى فلا أحد
أبر فى قول «لا» منه ولا «نعم»

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم

دعا إلى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منفصم

فاق النبيين فى خلق وفى خلق
ولم يدانوه فى علم ولا كرم

وقد دفع صدق الحب والوفاء الشاعر إلى إبداع هذه الأبيات المحلاة بجمال اللفظ وروعة المعانى وحسن السبك، وهو ما جعل الشعراء يتخذونها نموذجا يحتذى، ودفع فرط الإعجاب بها وبمن قيلت فيه كلا من العامة والخاصة باقتفاء أثرها فاكتسبت لديهم أهمية خاصة فحفظها جميع الناس وتوارثتها الأجيال ورواها الرواة فى المناسبات، وعارضها الشعراء عبر الأزمان المتتابعة ومنهم صفى الدين الحلى، وابن جابر الأندلسى، وعبدالله الحموى، والشيخ الحملاوى، وفى العصر الحديث اشتهر بنهجها أحمد شوقى.. فيقول:

لزمت باب أمير الأنبياء ومن
يمسك بمفتاح باب الله يغتنم

فكل فضل وإحسان وعارفة
ما بين مستلم منه وملتزم

ونخلص مما سبق إلى أن المديح النبوى ليس إطراء ولا ثناء بقدر ما هو إقرار بخلق النبى ﷺ وقيمه النبوية التى ستظل منهلا ينهل منه كل من ابتغى الرضا والفوز فى الدنيا والآخرة.. ومن يقرأ شعر الشعراء فى مديح النبى ﷺ وأقوالهم فى مديح غيره من الملوك أو الأمراء أو أصحاب الجاه والسلطان على اختلاف مكامن قواهم يلمس بجلاء الفارق الكبير بين الإخلاص والمجاملة، وبين الصدق وشبهة الكذب، وبين من يرجو الآخرة ومن يسعى لمصلحة مادية وكسب عاجل.

الكرامة

تُعدُّ الكرامة إحدى الصفات الحميدة التى تكون منظومة مكارم الأخلاق، والتى جاءت رسالة الإسلام، للدعوة إليها، وتثبيتها فى سلوكيات البشر، لما يبنى عليها من ارتقاء فى العلاقات الإنسانية، التى تحكم خيوط التواصل بين المسلم وغيره.

وكان هذا المنظور الأخلاقى محل العناية من الرسول ﷺ حيث قال: «بعثت لأتمم حسن الأخلاق» (رواه مالك وأحمد، واللفظ من الموطأ) أى أن بعثته كانت مرتهنة بالوصول مع الأخلاق الإسلامية إلى درجة التمام والكمال، وذلك هو الباعث على الانتقال الجماعى إلى السمو والتحضر، وتهدئة الأجواء الساخنة التى تلتهب أحيانا بين المسلمين، أو بينهم وبين غيرهم على العموم، وذلك بعض متطلبات الكرامة الإنسانية، التى يسمو بها الإنسان عن الدنايا وإذلال النفس، وازدراء الذات فى سبيل الفوز بأهداف راقية ومتحضرة .

د.السيد محمد الديب*

دلالات الكرامة الإنسانية

الكرامة صفة أخلاقية ترتقى بالإنسان فيشعر معها بآدميته، ويترفع بها عن الضغائن والصغائر، وهى تقترب بهذه المعايير من خُلق العزة التى أقرها الله تعالى لنفسه، ولرسوله ﷺ ولسائر المؤمنين فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: آية ٨)، ومن متطلبات الكرامة أن يبتعد المسلم عن الهوان والضيم، ويأبى الخنوع والذل، فإن كبرياءه إذا خُدش أو جُرح، وتعمق الأثر فى كيانه، وتمادى فى إهدار كرامته فإن نفسه سوف تستعذب الهوان وتعتاده، ولا تجد حرجا فيه، وكأنه ميت لا يشعر بألم الجراح فى ضوء قول الشاعر:

من يهُن يسهل الهوانُ عليه
ما لجُرحٍ بميت إيلامُ

ومن نواقص الكرامة فى نفس الإنسان أن يغيب وعيه وإدراكه، وتذوب إرادته، ويُمحى كيانه، ويصير تائها ضالا غير مدرك لعطاءات الله له، وذلك ما حذر الرسول ﷺ منه، إذ قال : «**لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءاتهم**» (رواه الترمذى).

* أستاذ بجامعة الأزهر.

الكرامة صفة أخلاقية ترتقي بالإنسان فيشعر منها بآدميته ويترفع بها عن الصغائر

قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾

النساء (٨٦)

والكرامة: من الكرم بمعنى السخاء والعطاء، وهو ضد اللؤم والذل والهوان، والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد، وهو من صفات الله تعالى وأسمائه، وهو الكثير الخير والجواد، والمعطى الذى لا ينفد عطاؤه.

والكرامة بالمعنى الأخلاقى ـ كما قال أستاذنا الدكتور/ أحمد الشرباصى ـ رحمه الله ـ: «هى أن يحسن المرء الإحساس بآدميته وإنسانيته، وبأنه صنع الله ومخلوقه، وأن الله تبارك وتعالى وهب الإنسان تكريما وتمجيدا، فيلزم هذا الإنسان أن يكون مقدرا هذه الهبة، صائنا هذا التكريم، مرتفعا بخلقه وقوله وعمله وسلوكه إلى مستوى هذا التمجيد، فلا يصدر منه قول أو فعل أو سلوك يشين هذه الإنسانية، التى كرمها الله جل جلاله، وزكّى شأنها، وأراد لها أن تكون تأهيلا لخلافة الإنسان فى الأرض، وسيادته على غيره من المخلوقات فيها»(١).

ومن معانى الكرامة فى غير ما نحن بصدده «هى أمر خارق للعادة، يظهره الله على يد عبد صالح غير مدعى النبوة، وقيل غير ذلك».

وأن مقصدنا هنا ـ بيان الكرامة بالمعنى الأخلاقى التى يحرص المسلم بها على عزته ومروءته فلا يهوى بها إلى الذل والمهانة.

تكريم الله للإنسان

الكرامة: عطاء إلهى أخلاقى لسائر البشر، وذلك ما جاء تأكيده فى كلام الله تعالى، مقرونا ببيان الاستحقاق الإنسانى للكرامة والتشريف، والتفضيل على كل المخلوقات، التى أوجدها الله تعالى فى سائر الكون المعمور، المرئى وغير المرئى، وجاء هذا مقرونا بإنعامات أخرى ذكرها الله تعالى فى قوله: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾** (الإسراء: آية ٧٠)، وتفيد هذه الآية أن

الكرامة خلق إسلامى وحق إنسانى وعلى المسلم أن يحرص عليها ويلتزم بمتطلباتها

الكرامة ثابتة لكل البشر دون نظر إلى الفوارق فى اللون أو النوع أو الدين أو اللغة .

وذكر المفسرون - فى ضوء هذه الآية - كثيرا من الجوانب التى يظهر فيها تكريم الله للإنسان منها: التكريم بالنطق والفهم والتمييز، والخلق على الهيئة التى بها امتداد القامة وحسن الصورة، وتسخير سائر المخلوقات له، وذكر القرطبى أن التفضيل والتكريم بالعقل، قال: «والصحيح الذى يُعوّل عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذى هو عمدة التكليف، وبه يُعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب»(٢).

وذكر الدكتور مصطفى السباعى أن الكرامة حق للإنسان، ونظر للآية المذكورة بقوله: «هذه الآية نص صريح فى أن الإنسان أكرم من كل شىء على ظهر الأرض، وأن الكرامة حق لكل إنسان، وأن كرامته ملازمة لإنسانيته، فإذا حُرم من هذه الكرامة لم يكن المجتمع الذى يعيش فيه مجتمعا متماسكا سعيدا»(٣)، وذكر أهم المظاهر التى تتجلى فيها الكرامة الإنسانية، ومنها كرامة الإخاء الإنسانى، وكرامة المنزلة الاجتماعية.

وقال الألوسى فى ذات الآية: «جعلناهم قاطبة برهم وفاجرهم ذوى كرم أى شرف ومحاسن»(٤).

وجاء الخطاب الإلهى بتكريم الله للإنسان فى قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ**﴾ (الفجر: آية ١٥)، وهذا التكريم هو لب المنهج الإلهى للإنسان فى عمومية خلقه وكيانه ووجوده، وأن هذا العموم يتخصص لجمع يتأكد تكريمه عند الله تعالى بممارسته لمتطلبات التقوى، وفق خطاب قرآنى مؤكد قال الله تعالى فيه: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات: آية ١٣)، وقد تعانقت السنة النبوية مع هذه الآية فى تحديد الأكرم عند الله تعالى : فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «قيل: يا رسول الله، أى الناس أكرم؟ قال: «**أكرمهم عند الله أتقاهم**» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فعن معادن العرب تسألوننى**»؟ قالوا: نعم، قال: «**تجدون الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية، خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا**» (رواه البخارى ومسلم).

وإذا ما تأكد حق الإنسان فى الكرامة بمَنْح إلهى فلا يليق به أن يقصر فى هذا الحق، وعليه أن ينتقل إلى نطاق السلوك الإيجابى المفعل مع الآخرين.

حفاظ المسلم على كرامته

إن الكرامة خُلق إسلامى، وحق إنسانى، وعلى المسلم أن يحرص عليها، ويلتزم بمتطلباتها، وبحيث يحيا كريما، عزيزا، رافضا للضيم، وتجاوزات الآخرين للحدود المقررة .

وإكرام الإنسان لنفسه - أى حفظها وتنزيهها عما لا يليق - سبيل واضح لإكرام الآخرين له، ذلك أن التضحية بالقيم والمبادئ والأعراف الصحيحة ليس من شيم المؤمنين الملتزمين بمبادئ دينهم وأخلاق شريعتهم، فإذا فرط الإنسان فى مكونات عزته، ومروءته فسوف تتهاوى كرامته فى حسابات الآخرين، وذلك هو المعنى الذى عبر عنه الشاعر بقوله:

إذا أنت لم تعرفْ لنفسك حقها

هوانا بها كانت على الناس أهونا

وأن الإنسان القويم هو من يعتز بنفسه، ويصون كرامته، ويسعى لتفعيلها وانعكاس آثارها على الآخرين، مادام سلوكه حميدا، ومفعلا بالتقوى والورع، وسائر مكارم الأخلاق، وغير متصادم مع ثوابت الشريعة الإسلامية .

صيانة المسلم لكرامة الآخرين

تستلزم علاقة المسلم بالآخرين أن يؤثر فيهم، ويتأثر بهم، وأن يبدأ بنفسه فى تقديم القدوة الطيبة والأسوة الحسنة مما يحفز الآخرين على الرد الطيب والتفاعل الحميد، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء: آية ٨٦)، وقد يكون الآخر سفيها متخليا عن كرامته فالأجدر أن يكون التعامل معه حكيما مرشدا، بحيث لا تزداد مساحة الخلاف اتساعا، بل يجب رتق الخروقات التى تعرى جسد العلاقة بين الاثنين:

إذا نطق السفيه فلا تجبه
فخير من إجابته السكوت

وقول الآخر:

ولقد أمر على اللئيم يسبنى
فمضيت ثمَّت قلت لا يعنينى

إن الأخلاق الإسلامية منظومة متكاملة، تتحقق فى شخصية المسلم، وتنعكس على الآخرين، إما إيجابا بالتأثير فيهم، وإما سلبا بتجاهل إساءاتهم، وعدم إشعال المواقف بالسلوكيات الذميمة، إذ ينبغى أن يفيض نهر العلاقة بالمياه العذبة الرائقة، ولا يصح أن تقذف الألسنة شرورها إلى الآخرين فتنمو الإساءة، وتتلاشى الكرامة، وتتطاير الشرور والآثام، وتتحول العزة والكرامة إلى فجور وعصيان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: آية ١١).

إن الكرامة خُلق ذو عوالم رحبة، فالله هو الكريم، ويمتد ذلك ـ بمعايير فاصلة ـ إلى رسل الله وكتبه وملائكته وسائر الأخيار من أمة الإسلام، خاصة الصفوة من عباد الرحمن الذين قال الحق تبارك وتعالى عن بعض أوصافهم ومنها الكرامة: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: آية ٧٢).

فما أحرى المسلمين أن يلتزموا بخلق الكرامة، وأن يحرصوا على عزتهم ومروءتهم وسائر متطلبات إنسانيتهم، والتى تنعكس آثارها على الآخرين.

الهوامش:

١ ـ موسوعة أخلاق القرآن ج٣ ص٢٦٦.

٢ ـ تفسير القرطبى ج١٠ ص٢٩٤.

٣ ـ اشتراكية الإسلام ص٧١ ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة، عام ٢٠١٢م.

٤ ـ السابق ص٧١ نقلاً عن روح المعانى ج١٥ ـ ص١١٧.

الهجرة النبوية بين التخطيط البشرى والتأييد الإلهى

الجمعة ٧ من المحرم ١٤٣٦هـ - ٣١ من أكتوبر ٢٠١٤ م

أولا : العناصر :

١ - الهجرة والأخذ بالأسباب.

٢ - التخطيط ضرورةٌ من ضرورات الحياة.

٣ - تأييد الله تعالى لنبيه ﷺ.

٤ - معية الله تعالى لعباده المؤمنين.

ثانيًا : الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١ - قال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة : الآية ٤٠).

٢ - وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: الآية ٣٠).

٣ - وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: الآية ٩٧).

٤ - وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال:الآية ٦٠).

٥ - وقال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ (يس: الآية ٩).

٦ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: الآية٥١).

٧ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: الآية ١٨

الأدلة من السنة:

١ ـ عَنْ عَائِشَةَ (رضى اللَّهُ عنهَا)، قَالَت: اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ فى الخُرُوجِ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَذَى فَقَالَ لَهُ: «**أَقِمْ**». فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَتطمَعُ أَنْ يُؤْذَنَ لَكَ فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنِّى لأَرْجُو ذَلِكَ**»، قَالَتْ: فَانْتَظَرَهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَتَاهُ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ظُهْرًا، فَنَادَاهُ فَقَالَ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَاى...) (رواه البخارى).

٢ ـ وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**».
تغدو: تذهب أول النهار، وتروح: ترجع آخر النهار. (رواه الترمذى).

٣ ـ وعن عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) قال: تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ، فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، يريدون النَّبِىَّ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا، يَحْسَبُونَهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا، رَدَّ اللَّهُ مَكْرَهُمْ، فَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبُكَ هَذَا؟ قَالَ: لاَ أَدْرِي، فَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَلَ خُلِّطَ عَلَيْهِمْ، فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ، فَمَرُّوا بِالْغَارِ، فَرَأَوْا عَلَى بَابِهِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ، فَقَالُوا: لَوْ دَخَلَ هَاهُنَا، لَمْ يَكُنْ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى بَابِهِ، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ (رواه أحمد).

٤ ـ وعن أبى بكر رضي الله عنه قال: «... فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ مَا زَالَت الشَّمْسُ وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِك ـ قَالَ ـ وَنَحْنُ فى جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ (صلبة) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه أُتِينَا، فَقَالَ: «**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**». فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا أُرَى فَقَالَ إِنِّى قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَىَّ فَادْعُوَا لِى فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ. فَدَعَا اللَّهَ فَنَجَى فَرَجَعَ لاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلاَّ قَالَ قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَا هُنَا فَلاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلاَّ رَدَّهُ ـ قَالَ ـ وَوَفَى لَنَا) (صحيح مسلم).

٥ ـ وعَنْ أَبِى بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِى الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا، فَقَالَ ﷺ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**».(مُتَّفَقٌ عَلَيْه).

ثالثا: الموضوع:

الإسلام دين العمل والاجتهاد ويحارب التواكل وينبذه ويدفع إلى الاجتهاد والتوكل على الله

فى مثل هذه الأيام المباركة من كل عام يحتفل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بذكرى هجرة النبى ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، ونحن إذ نحتفل بهذه الذكرى العطرة إنما يكون ذلك للعبرة والاقتداء والوقوف على الدروس المستفادة منها، فالمتدبر لمعانى الهجرة الشريفة يستنبط منها دروسا عظيمة، ويستخلص منها فوائد جمة، ويلحظ فيها حكماً باهرة يستفيد منها الفرد والمجتمع في كل نواحى الحياة، فالهجرة مع التخطيط والإعداد والأخذ بالأسباب لم تخلُ من مظاهر التأييد الإلهى، والرعاية الربانية، فحين واجه المشركون النبى ﷺ ووقفوا عقبة فى طريق دعوته وتبليغ رسالته مستخدمين كل أساليب القمع والبطش والتنكيل والتعذيب ليثنوه عنها، ويمنعوه من أدائها، حتى وصل بهم العداء إلى العمل على قتله والخلاص منه قال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ (الأنفال: الآية ٣٠)، فلم يزده ذلك إلا ثباتًا وقوة مما جعله يأخذ بالأسباب التى

مكنت لدعوته وساعدت على نشر رسالته دونما تقصير أو كسل، أو تخاذل أو ملل .

إن الإسلام دين لا يعرف التواكل، بل يحاربه وينبذه ويدفع إلى الاجتهاد والعمل، وإنما هو دين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (النحل: الآية ٩٧). وفى الحديث عَنْ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**». تغدو: تذهب أول النهار، وتروح: ترجع آخر النهار. (رواه الترمذى).

فهو ﷺ مع علمه الكامل بربه وهو القائل عن نفسه كما فى صحيح ابن خزيمة (فأنا والله أعلم بالله وأتقاكم له)، وتيقنه التام على وعده بنصرته لدينه وتأييده له، إلا أنه ﷺ أعد لحادثة الهجرة عدتها، واتخذ لها ما يقدر عليه من الأسباب، فالأخذ بالأسباب هو طريق الحصول على ما عند الله عز وجل، مع مواصلة العمل الجاد المحكم وقوة العزم وإخلاص النية وصدقها .

لهذا رأينا رسول الله ﷺ يتخذ من الأسباب ما يقدر عليه، فى إعداده لرحلة الهجرة، وترتيب كل ما يلزم لها، حيث كان ﷺ حريصاً على قضاء حاجته سرًا، وقد ظهر ذلك واضحًا حينما جاء ليخبر الصديق رضي الله عنه بأن الله قد أذن له بالهجرة، تقول السيدة عائشة (رضى الله عنها) - كما فى صحيح البخارى وغيره ـ : (عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتِ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ فِى الْخُرُوجِ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَذَى فَقَالَ لَهُ «**أَقِمْ**» فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَتَطْمَعُ أَنْ يُؤْذَنَ لَكَ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ إِنِّى لأَرْجُو ذَلِكَ، قَالَتْ : فَانْتَظَرَهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ظُهْرًا،(وفى بعض الروايات أنه جاء متقنعاً) فَنَادَاهُ فَقَالَ : «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَاىَ...).

فلنتأمل حرص النبى ﷺ فى مجيئه بيت أبى بكر متقنعًا حتى لا يُعرَف، و حرصه على أن لا يدرى أحد بحركته وتوجهاته.

ومن الأخذ بالأسباب حسن التخطيط والإعداد الجيد لأنه ضرورةٌ من ضرورات الحياة، وسبب من أسباب النجاح ونرى ذلك جليًّا فى هجرته ﷺ فقد أعد لكل أمر عدته على الرغم من عصمة الله له، وذلك باختياره الوقت المناسب، والرفيق المناسب، وأساليب التعمية والتمويه على القوم، فكان ﷺ بذلك أنموذجًا للقائد والمعلِّم، فتراه يضع خطة الهجرة بمنتهى الدقة والحكمة مستخدمًا الفكر والعقل، ويثق فى نصر الله (عزّ وجلّ) أولاً وأخيرًا.

ويتجلى ذلك فى توزيع المهام وعدم احتكار الأدوار ، فعهد إلى ابن عمه على بن أبى طالب رضي الله عنه لينام على فراشه الشريف ؛ على سبيل التمويه للمتربصين به بأنه ﷺ مازال فى فراشه، ويسلك ﷺ طريقًا وعرًا غير مأهول ولا معتاد ؛ لتضليل المطاردين، ثم يتجه ناحية الجنوب مع أنه ﷺ كان يقصد المدينة المنورة شمالاً، وفى اختياره ﷺ من يهديه الطريق استعان بذوى الكفاءة من أهل المروءة، وهو عبد الله بن أريقط الخبير بمجاهل الصحراء

ودروبها .

ومن تخطيطه الجيد وإعداده المحكم أنه ﷺ مكث بغار ثور ثلاث ليال قبل التوجه نحو يثرب حتى يهدأ الطلب عليه وعلى صاحبه، وجهز من يأتيه فى الغار بالطعام والشراب، وهى أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها، ويختار عبد الله بن أبى بكر فيكلفه بنقل أخبار قريش، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق رضي الله عنه راعيًا للغنم؛ ليخفى آثار عبد الله بن أبى بكر، حتى لا تعرف قريش أين ذهب؟ فكان ﷺ يحسن انتقاء من يقوم بكل مهمة، وهُو فى هَذا كلّه متوكلٌ على الله ـ تعالى ـ مُعلنًا أنه فى معية الله، فيقول لصاحبه : ﴿.. لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا..﴾ (التوبة:الآية ٤٠).

وكان هذا التخطيط المُحكم بهذه الدقة من النبى ﷺ ليُعلم أمته أن هذا الدين القويم هو دين التخطيط لأى أمر من الأمور، فالمؤمن إذا كان قوى الإيمان بالله يعتمد تمام الاعتماد على الله، لابد له من إجادة التخطيط فى أى أمر يريد أن يبلغه فى هذه الحياة كما فعل رسول الله ﷺ، حيث كان معه نصر الله ومعه رعاية الله ومعه تثبيت الله ومعه كفالة الله لكن لابد له من التخطيط الدقيق، هكذا يُعلمنا رسول الله ﷺ الدرس .

أعطت الهجرة درسًا علميًا فى ضرورة الإعداد المادى والتأهيل القلبى اكتسابًا للمعية الإلهية والتأييد الربانى

فمن أراد أن يتعلم التخطيط فليتأمل هجرة النبى ﷺ التى أكدت أن الإسلام دين الإعداد الجيد، والتخطيط السليم، وقد أمرنا الله بالإعداد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال:٦٠). ومن ثم كان التخطيط ضرورةً من ضرورات الحياة وسببًا من أسباب النجاح، وفى ذلك درسٌ بليغ وحكمة عظيمة ؛ إذ إن حسن التخطيط وروعة التدبير لا تعدو أن تكون أسبابا أُمرنا أن نجتهد فى إعدادها دون التعلق بها، إذ الحافظ والناصر والموفق هو الله سبحانه وتعالى.

إن المتأمل فى الهجرة النبوية الشريفة يجد أنها مظهر من مظاهر تأييد الله تعالى لرسوله ﷺ والدفاع عنه، فأحداثها لم تخلُ من مظاهر التأييد الإلهى، والحفظ والرعاية الربانية.

ولعل من أعظم تلك المظاهر فى تأييد الله تعالى لرسوله ﷺ وحفظه له: ما وقع له عند خروجه من مكة، وقد تآمر به كفار قريش ليقتلوه بضربة رجل واحد ليتفرق دمه فى القبائل عملاً بمشورة أبى جهل، يقول تعالى حاكيًا عنهم كيدهم وتآمرهم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠).

وهنا تتجلى العناية الربانية والتأييد الإلهى لرسوله ﷺ، حيث يخرج ﷺ من بيته ـ بحفظ الله تعالى له، وفى رعايته وعنايته ـ وهو يخترق صفوف المشركين، وفى يده الشريفة حفنة من التراب، فجعل يذره على رءوسهم، وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ (يس : ٩)، فقد أعمى الله أبصار قريش عن مقره فلا يرونه مع سعيهم الدائب فى البحث عنه، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا.

أخرج الإمام أحمد فى مسنده، عن عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال: بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبى ﷺ، وقال: بعضهم بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله ـ عز وجل ـ نبيه على ذلك فبات علىٌّ على فراش النبى ﷺ تلك الليلة وخرج النبى ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبى ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟، قال لا أدرى، فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خُلِّط عليهم فصعدوا فى الجبل فمروا

بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال».

ومظهر آخر من مظاهر ذلك التأييد الربانى، والحفظ الإلهى يتجلى واضحاً، فى خبر سراقة بن مالك وهو يلحق بالنبى ﷺ وصاحبه، فحينما اقترب منهما، وهو على فرس له، ورآه أبو بكر وقع فى نفسه الخوف والحزن، فالتفت أبو بكر، فقال: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا، فقال النبى ﷺ: **«لا تحزن إن الله معنا»**.

وفى ذلك، يقول أبو بكر رضي الله عنه كما فى (صحيح مسلم): «... قَالَ فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ مَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِك - قَالَ - وَنَحْنُ فِى جَلَد مِنَ الأَرْضِ (صلبة) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه أُتِينَا، فَقَالَ: **«لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»**. فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا أُرَى فَقَالَ إِنِّى قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَىَّ فَادْعُوَا لِى فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ. فَدَعَا اللَّهَ فَنَجَى فَرَجَعَ لاَ يَلْقَى أَحَداً إِلاَّ قَالَ قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَا هُنَا فَلاَ يَلْقَى أَحَداً إِلاَّ رَدَّهُ - قَالَ - وَوَفَى لَنَا» . فكان كذلك إذ صد الله سراقة، وعاد أدراجه بعد أن أعطى الأمان لرسول الله ﷺ، وعرض عليه الزاد والمتاع، بل وعاد يصد ويرد كل من يلقاه فى طريقه يطلب محمداً وصاحبه.

كما نرى من مظاهر ذلك التأييد الربانى، والحفظ الإلهى للرسول ﷺ، حين خرج بصحبة أبى بكر الصديق وأقاما فى غار ثور ثلاث ليال، وقريش تبحث عنهما فى ربوع الصحراء، وتجعل لمن يأتى بهما مائة من الإبل، حتى عظم الخطب، ولما بلغ المشركون باب الغار، هناك قال أبو بكر رضي الله عنه للرسول ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا، فَقَالَ ﷺ قولة المؤمن الواثق من معية الله تعالى وتأييده له: **«مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»** (صحيح البخارى).

وصدق الله العظيم حيث قال: **﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** (التوبة :٤٠).

فى هذه المعالم من هجرته ﷺ، يقترن الإعداد البشرى بالتأييد الإلهى، وفى ذلك عبرة وعظة للمسلمين من بعد، بأنهم مكلفون بأن يتخذوا من الأسباب ما يستطيعونه ويقدرون عليه، دون تقصير أو تكاسل، ثم التجرد من الأسباب وتفويض الأمر لرب الأسباب.

كذلك ينبغى للإنسان أن يعلم أن معية الله تعالى هذه التى نستفيدها من حدث الهجرة النبوية ليست خاصة بالرسول ﷺ، بل إنها عامة لكل مؤمن تقى أخلص لله تعالى فى طاعته وأحسن العمل، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾** (النحل:١٢٨). وقال ﷺ: **«احفظ الله يحفظك»**. فمن كان فى معية الخالق سبحانه وتعالى لن يضره أذى، وحاشا لله أن يترك أنبياءه وأولياءه أو يتخلى عنهم، فهو القائل سبحانه: **﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾** (غافر:٥١).

بهذا تكون الهجرة قد أعطت دروسًا عملية فى حقيقة الإيمان بالله (عزّ وجلّ) وما يتطلبه من إعداد مادى وتأهيل قلبى اكتسابًا للمعية الإلهية، والتأييد الربانى.

فعلينا جميعًا أن نتعلم من هذه الدروس أن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع حسن التوكل على الله عزّ وجلّ، بل هو جزء من التوكل الصحيح وأساس له، وما أحوجنا إلى هجرة حقيقية إلى الله ورسوله، هجرة من الكسل إلى العمل والإنتاج، من الكذب إلى الصدق، من الخيانة إلى الأمانة، من خُلف الوعد إلى الوفاء به، من البخل إلى الكرم، من الأنانية إلى التكافل والتراحم والإيثار، من الاعتداء الآثم على الأوطان أو الآمنين إلى التزام منهج الله عز وجل فى حرمة الدماء والأموال والأعراض والوفاء بحق الأوطان .

ترسيخ النبى ﷺ لأسس التعايش السلمى بين البشر

الجمعة ١٤ من المحرم ١٤٣٦هـ - ٧ من نوفمبر ٢٠١٤م

أولا: العناصر:

١ - مراعاة الإسلام للبعد الإنسانى.

٢ - التعايش السلمى بين طوائف المجتمع المدنى بعد الهجرة.

أ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

ب - وثيقة المدينة

٣ - منهج الإسلام فى حل الخلافات :

- عدم التنازع، ضرورة الحوار، العدل، - الصلح، العفو.

٤ - ضرورة التعايش السلمى .

٥ - أثر التعايش السلمى على المجتمعات .

ثانيا: الأدلة من القرآن الكريم:

١ - يقول تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٣).

٢ - ويقول تعال : ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً...﴾ (آل عمران: ١٠٣) .

٣ - يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

٤ - ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) .

٥ - ويقول تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٨) .

٦ - ويقول تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦)

٧ - ويقول تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء : ١١٤) .

٨ - وقال تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨)

٩ - وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦) .

١٠ - وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠) .

ثالثا: الأحاديث والآثار:

١ - عن عدة من أصحاب النبى ﷺ عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: «**أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» (أخرجه أبو داود).

٢ - وعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟**» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ: «**إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ**» (أخرجه أبو داود).

٣ - وعن أُمّ كُلْثُوم بِنْت عُقْبَةَ (رضى الله عنها) أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِى يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِى خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**» (متفق عليه).

٤ - وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَىَّ أُمِّى وَهِىَ مُشْرِكَةٌ فِى عَهْدِ رَسُولِ اللَّه ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ، قُلْتُ: وَهِىَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّى؟ قَالَ: «**نَعَمْ صِلِى أُمَّكِ**» (متفق عليه).

٥ - وعن سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ كَانَا قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَىْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِىَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِىٍّ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَتْ نَفْسًا**» (متفق عليه).

الموضــــوع

يقيم الإسلام العلاقة بين البشر جميعًا على أساس التعارف والتآلف والتعايش السلمى ذلك لأن أصلهم واحد قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحجرات: ١٣) فالناس على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وعقائدهم إخوة فى الإنسانية تنشأ بينهم علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية قوامها التعارف والتآلف، نلمح هذا من خلال تعامل النبى ﷺ مع مجتمع المدينة فقد أسس نظامًا عامًا أساسه التعايش السلمى بين الناس جميعا، والمسلمون اليوم فى بلادهم، ومع من يعيشون معهم من مختلف الطوائف والملل، والنحل هم فى أشد الحاجة إلى هذا المفهوم مفهوم أن تعيش مع الآخر فى سلام وأمان.

الناس على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وعقائدهم إخوة فى الإنسانية بينهم علاقات قوامها التعارف والتآلف

لقد هاجر النبى ﷺ إلى المدينة فوجد مزيجًا إنسانيًا متنوعًا من حيث الدين، والانتماء ومن حيث نمط المعيشة، فهناك الأوس والخزرج قبيلتان متناحرتان، وقبائل اليهود الثلاثة بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة والأعراب الذين يساكنون أهل يثرب والموالى والعبيد وغيرهم إضافة إلى العنصر الجديد من المهاجرين الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ، فكيف وفق النبى ﷺ بين كل هذه الطوائف والعناصر؟ وبين هذه الاتجاهات وتلك الأديان بين المؤمنين وبين غير المؤمنين، ناهيك عما كان بينهم من خلافات؟ فهذا الخُلق الذى نحن فى أمسّ الحاجة إليه فى وقتنا الحاضر.

إن الاختلاف بين الناس سنة من سنن الله عز وجل، فهم مختلفون فى معظم الأشياء قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ (يونس: ١١٨)، فهذا الاختلاف من سنن الله تعالى فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، وهو دليل على أن الله منح عباده حرية الاختيار وهذا يلزمنا باحترام الاختلاف وتقديره فهو من صنع الله تعالى الذى أتقن كل شىء خلقه، وليس لنا أن نتألّه على الله أو نفتئت على حكمه ويجب علينا التعامل فى الحياة مع كل الناس على اختلاف أفكارهم وتباين عقائدهم على هذا الأساس، ووفقًا لما خلق الله تعالى دون السعى إلى الإقصاء للمختلفين معنا.

كما أن الإسلام لا يُكره أحدا على الدخول فيه قال تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ (البقرة: ٢٥٦) ذلك لأن حرية الاعتقاد كفلها الإسلام لبنى البشر جميعًا والله سبحانه وتعالى هو

الذى سيحاسبهم، فالاختلاف إذن هو من سنن الله تعالى فى خلقه وفطرته التى فطر الناس عليها فسيبقى فينا مادامت السماوات والأرض وسيبقى منا المؤمن ومنا الكافر ومنا المطيع والعاصى ومنا التقى والفاجر إلى أن يشاء الله ولم ولن يملك أحد تغيير هذا التنوع والاختلاف، ويجب أن يُقرّ الناس جميعًا وفى مقدمتهم المسلمون، ويعترفوا بهذا الاختلاف والتنوع قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ (يونس: ٩٩).

ولقد أوجب الإسلام الإيمان بجميع الأنبياء والرسل السابقين قال تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ (البقرة: ٢٨٥)، وألزمنا بعدم السب أو التعرض لأصحاب الديانات الأخرى بما يسيئ لهم أو لمعتقدهم فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (الأنعام: ١٠٨).

ولقد أمر الإسلامُ أتباعَه بالمحافظة على كرامة غير المسلمين ومراعاة مشاعرهم حتى فى موطن الحوار أو الجدل أمرنا بأن تكون المجادلة بالتى هى أحسن فقال تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (العنكبوت: ٤٦).

إن حفظ الكرامة الإنسانية يتجلّى لنا فى التعامل النبوى مع غير المسلمين،فقد كان النبى ﷺ يعامل كل الناس مسلمين وغير مسلمين باحترام لحقوقهم وحرياتهم، فقد أرسى الرسول ﷺ مبادئ التعايش والاحترام المتبادل وحقوق الإنسان بين كل طوائف المجتمع منذ نشأة الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة بعقد الوثيقة التى أبرمها مع يهود المدينة وغيرهم، فقد أعطى اليهود كل حقوق المسلمين فى الأمن والسلام والحرية والدفاع المشترك ومن بين بنودها المهمة: «وَأَنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ فَإِنَّهُ لاَ يُوتِغُ (أَىْ يُهْلِكُ) إِلاَّ نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ»، وجاء فيها كفالة حرية الدين والأمن والدفاع المشترك ضد أى معتد على المسلمين أو على اليهود (كتاب الأموال لأبى عبيد).

وهذا يعنى أن الدولة الإسلامية تتسع للجميع مسلمين وغير مسلمين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا بشرط الالتزام بالضوابط المجتمعية التى تحفظ للجميع الحقوق والواجبات وفى مقدمتها السلم وعدم الاعتداء وعدم خرق بنود العقد الاجتماعى «الدستور» الذى ينظم العلاقة بين الناس جميعا.

ولما كان للاختلاف بين الناس من أثر قد ينشأ عنه بعض النزاعات والاختلافات التى تهدد السلم والأمن فقد وضع الإسلام منهجا قويما لحل هذه النزاعات والتى منها الاعتراف بأن الاختلاف سنة،وليس من حق أحد أن يدعى أن الحق والصواب فى جانبه، والاتفاق مسبقًا على آلية لحل النزاعات، والبعد عن أسباب النزاع بقدر الإمكان قال تعالى: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (الأنفال: ٤٦).

والمتأمل لحياة النبى ﷺ وتعامله مع الناس يقف على المنهج العملى والخلقى لمواجهة النزاعات والخلافات ويتضح ذلك فى موقفه من النزاع بين الأوس والخزرج بعد الهجرة النبوية، ومثله ما حدث من بعض الأنصار حين وجدوا فى أنفسهم من توزيع النبى ﷺ وعطائه الجزيل للمهاجرين وبعض قبائل العرب وعدم إعطائهم يوم غزوة حنين من الغنائم حتى قالوا: إنَّ هذا لهو العجب يعطى قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، وأيضًا ما حدث فى صلح الحديبية فلقد كان معظم الصحابة (رضوان الله عليهم) بين رافض وموافق على هذا الصلح وضاقت صدورهم بشروط قريش المجحفة لهم، وكذلك موقف الرسول ﷺ فى قصة سيدنا حاطب بن أبى بلتعة عند فتح مكة، فلقد اتبع النبى ﷺ فى حل هذه القضايا والمشكلات وغيرها منهجًا غاية فى الرقى والسمو والشفافية. كما ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة فى أدب

العرض وأدب الحوار وأدب الاختلاف أثناء هذه المشكلات وغيرها .

وكذلك من أهم ما يميز المنهج الإسلامى فى حل الخلافات: العدل الذى هو الإنصاف، وإعطاء المرء ما له، وقيامه بما عليه، وقد جاءت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تأمر بالعدل وتحث عليه وتدعو إلى التمسك به يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى**﴾(النحل: ٩٠)، ويقول تعالى: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾ (النساء: ٥٨) العدل مع كل الناس جميعا فالمسلم مطالب بأن يعدل مع جميع الناس سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، فالله يأمر بعدم إنقاص الناس حقوقهم، قال تعالى: ﴿**ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**﴾ (الشعراء: ١٣) ، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ (المائدة: ٨) أى: لا تحملكم عداوتكم وخصومتكم لقوم على ظلمهم، بل يجب العدل مع الجميع سواء أكانوا أصدقاء أم أعداء، ولقد حث النبى ﷺ على العدل مع غير المسلم وعدم ظلمهم فى أحاديث كثيرة منها ما أخرجه أبو داود فى سننه عن عدة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، ولقد سار على هذا المنهج النبوى فى العدل مع غير المسلمين الخلفاء الراشدين فعلىّ رضي الله عنه فقد دِرْعَهُ عِنْدَ رَجُلٍ نَصْرَانِىٍّ فَأَقْبَلَ به إِلَى شُرَيْحٍ يُخَاصِمُهُ، فَقَالَ شُرَيْحٌ لِلنَّصْرَانِىِّ: مَا تَقُولُ فِيمَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ النَّصْرَانِىُّ: مَا الدِّرْعُ إِلاَّ دِرْعِى وَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدِى بِكَاذِبٍ، فَالْتَفَتَ شُرَيْحٌ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ مِنْ بَيِّنَةٍ؟ فَضَحِكَ عَلِيٌّ وَقَالَ أَصَابَ شُرَيْحٌ، مَا لِى بَيِّنَةٌ، فَقَضَى بِهَا شريح للنصرانى، قال فأخذه النصرانى ومشى خطا ثُمَّ رجع فَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنَّ هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدنينى إلى قاضيه يَقْضِى عَلَيْهِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدِّرْعُ وَاللَّهِ دِرْعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اتَّبَعْتُ الْجَيْشَ وَأَنْتَ مُنْطَلِقٌ إِلَى صِفِّينَ فَخَرَجَتْ مِنْ بَعِيرِكَ الأَوْرَقِ. فَقَالَ: أَمَا إِذْ أَسْلَمْتَ فَهِىَ لَكَ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ. (البداية والنهاية لابن كثير).

وقد أعلن القرآن الكريم براءة يهودى اتهمه مسلم بالسرقة فنزلت آيات القرآن الكريم تنفى عنه ما اتُّهم به زورًا فقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا • وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا • وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا • يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا • هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً**﴾ (النساء : الآيات ١٠٦، ١٠٩). ومنه أيضاً قصة القبطى مع عمرو بن العاص والى مصر وابنه، وقد اقتص الخليفة للقبطى فى مظلمته، وقال مقولته التى أضحت مثلاً: «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟» (فتوح مصر لابن الحكم) .

وفى أحيان أخرى لم يأخذ المسلمون العدل من خصومهم، بل عفوا وتجاوزوا كما جرى زمن معاوية بن أبى سفيان حين نقض أهل بعلبك عهدهم مع المسلمين، وفى أيدى المسلمين رهائن من الروم فامتنع المسلمون من قتلهم، ورأوا جميعًا تخلية سبيلهم، وقالوا :بوفاء بغدر خير من غدر بغدرب. قال هشام: وهو قول العلماء، الأوزاعى وغيره. (فتوح البلدان).

ومن أهم ما يميز المنهج الإسلامى فى حل الخلافات الإصلاح بين الناس، فالإصلاح بين الناس يدعم التعايش السلمى ويبقى على المودة والمحبة بين الناس قال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (الأنفال :١)، وقال تعالى: ﴿**لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (النساء: ١١٤)، فقد حض القرآن على الإصلاح بين الناس سواء أكانوا جماعات أم أفرادًا لأن التخاصم والتنازع يؤدى إلى انتشار العداوات والمفاسد بين الناس. وقد جعل الرسول ﷺ للإصلاح بين الناس

درجة أعلى من درجة الصيام والصلاة والصدقة فعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟**» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ**» (أخرجه أبو داود)، بل رخص الرسول ﷺ فى الكذب إذا كان بقصد الإصلاح بين الناس فعن أُمّ كُلْثُوم بِنْتَ عُقْبَةَ رضى الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِى يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِى خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**»، والمتتبع لسيرته الشريفة يجد أنه ﷺ كان يميل إلى الصلح وإن كان فيه بعض الإجحاف تغليبا للمصلحة العليا وحقننا للدماء وهذا الذى حدث فى صلح الحديبية.

ومن أهم ما يميز المنهج الإسلامى فى حل الخلافات: العفو فما فعله الرسول ﷺ بعد فتح مكة مع أهلها الذين آذوه وأخرجوه لهو خير دليل قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ.. يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِالْآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾(الحجرات: ١٣) الآيَةَ كُلَّهَا. ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّى فَاعِلٌ فِيكُمْ؟**» قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ**» (السيرة النبوية لابن هشام).

فهذا هو منهج الإسلام الذى يدعو إلى التعايش مع الآخر والحفاظ على حقوقه وحرماته وتأمين المجتمع وقيمه مما يهدد أمنه وسلمه ويحافظ على الأصل الذى على أساسه تُبنَى المجتمعات وهو التعارف والتآلف والتعايش السلمى.

إنّ التعايش مع الآخر ضرورة إنسانية ودينية وأخلاقية ومجتمعية، والمتتبع لنصوص الشرع الحكيم يجد أنها تحث على التعايش مع الآخر طالما كان هناك احترام متبادل ومراعاة للحقوق والواجبات قال تعالى: ﴿**لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (الممتحنة: ٨).

قال ابن كثير: أَىْ لاَ يَنْهَاكُمْ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْكَفَرَةِ الَّذِينَ لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ فى الدين، كَالنِّسَاءِ وَالضَّعَفَةِ مِنْهُمْ، ﴿**أَنْ تَبَرُّوهُمْ**﴾ أَىْ: تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ ﴿**وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾ أَىْ: تَعْدِلُوا ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾.

ولقد حث النبى ﷺ على الإحسان إلى الوالدين وإن كانا مشركين فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَىَّ أُمِّى وَهِىَ مُشْرِكَةٌ فِى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِىَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّى؟ قَالَ: «**نَعَمْ صِلِى أُمَّكِ**» (متفق عليه).

ولقد كرم النبى ﷺ النفس الإنسانية أيا كان انتماؤها أو اعتقادها أيّما تكريم حتى وهى فى حال الموت فعن سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ كَانَا قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجِنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَىْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِىَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِىٍّ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَتْ نَفْسًا**» (متفق عليه). والقرآن الكريم كرم الإنسان من حيث إنه إنسان أيا كان انتماؤه فقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ (الإسراء: ٧٠). فقد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأحسن صورته ومنحه العقل والعلم والمعرفة والاختيار.

إن مظاهر تكريم الإسلام للإنسان من حيث هو إنسان أكثر من أن تحصى، فالاختلاف الفطرى بين الناس يمكن أن يثرى الحياة ويمد جسور التعاون والتعارف بين البشر إذ الإنسان مدنى بطبعه لن يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين والحياة تتطلب هذ التعاون قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحجرات: ١٣).

قال الشاعر:

النَّاسُ للنَّاسِ من بدوٍ وحاضرَةٍ
بعضٌ لبعضٍ وإنْ لَم يشعروا خَدَمُ

إن التعايش السلمى مع الآخر والذى يدعو إليه الإسلام جدير بأن يحقق للجميع السعادة والأمن والاستقرار والتقدم ويخلق جوا من التسامح والتحاب والتعاون الذى هو أحوج ما تكون البشرية إليه الآن.

الوساطة والمحسوبية والرشوة عوامل هدم وإحباط يجب القضاء عليها

خطبة الجمعة بتاريخ ٢١ المحرم ١٤٣٦هـ ـ ١٤/ ١١/ ٢٠١٤م

قال الله تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

سورة الروم

أولا: العناصر:

١ ـ موقف الإسلام من الوساطة.

٢ ـ الوساطة والمحسوبية والرشوة سلوكيات مرفوضة

٣ ـ الإسلام يحارب المحسوبية.

٤ ـ أضرار الرشوة والمحسوبية بالمجتمع.

ثانيًا: الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

٢ ـ وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ • فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون ١١٥: ١١٦).

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر: ٨٥).

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا • إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (النساء: ٨٥: ٨٦)

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٨).

٦ ـ وقال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ (المائدة: ٤٢).

الأدلة من السنة:

١ ـ عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ» (رواه الحاكم).

٢ ـ وعَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِى سَرَقَتْ فَقَالَ، وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «أَتَشْفَعُ فِى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ

اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» (متفق عليه).

٣ - وعن أبى بُرْدَةَ بن أَبِى مُوسَى، عَنْ أَبِيه (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِى اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ». (رواه البخارى).

٤ - وعَنْ أَبِى نَضْرَةَ، حَدَّثَنِى مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فى وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ» (مسند أحمد).

٥ - وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِىُّ ﷺ فى مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِىٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ، عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» (صحيح البخارى).

٦ - وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْ عِصَابَةٍ وَفِى تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وخَانَ رَسُولَهُ وخَانَ الْمُؤْمِنِينَ» (مستدرك الحاكم).

٧ - وعن ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: (لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ الرَّاشِىَ وَالْمُرْتَشِىَ وَالرَّائِشَ) يَعْنِى: الَّذِى يَمْشِى بَيْنَهُمَا(مسند أحمد).

٨ - وعن أبى حُمَيْدٍ السَّاعِدِىِّ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِىُّ ﷺ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: «هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِىَ لِى، قَالَ: فَهَلاَّ جَلَسَ فِى بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرُ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ - اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا» (رواه البخارى).

المتأمل لمبادئ الشريعة الإسلامية يجدها تقوم على أسس العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص

ثالثا : الموضوع

فإن المتأمل بعين الحقيقة لمبادئ الشريعة الإسلامية يرى أنها صمام أمان لجميع أمور الحياة، لأنها تقوم على أسس العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، فما أجمل الحياة فى ظل شريعة الله، وإتقان العمل طاعة لله ورغبة فى بناء الوطن، ومحاربة السلوكيات المرفوضة، ووضع الرجل المناسب فى المكان المناسب.

ومن السلوكيات التى انتشرت بين بعض الناس والتى تدمر الأفراد والجماعات وتوقد نار البغضاء والحسد : (الوساطة، والمحسوبية، والرشوة)، فهى داء عضال تفشّى فى المجتمعات ومظهر من مظاهر الفساد يجب التصدى له قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

جدير بالذكر أن هذه السلوكيات تؤثر فى المجتمع تأثيرًا سلبيًا، وتنخر فى جسد المجتمع حتى تهدم بنيانه، ذلك لأنها سلوكيات تهدم قيمة ناصعة من قيم الإسلام، وهى تلك القيمة التى ما خلقت السموات والأرض ولا قامت إلا بها، وهى قيمة الحق قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الحجر: ٨٥)، وذلك لأنّ هذه السلُوكيات تبطل الحق وتحق الباطل.

لأجل هذا حرم الإسلام التعامل بها ؛ لما فيها من ظلم الناس وعدم إقامة العدل بينهم، ولما فيها من تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، وكذلك عدم الوفاء بالأمانة وهى إسناد الأمر إلى غير أهله، فعَنْ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ:

رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ».

● أول هذه السلوكيات التى انتشرت هذه الأيام فى كثير من الأمور (الوساطة)، فلا يكاد الإنسان يصل إلى حق من الحقوق أو أمر يريده إلا بواسطة، وهى ظاهرة اجتماعية موجودة منذ القدم، فقد جاء فى الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِى سَرَقَتْ فَقَالَ، وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ فَقَالُوا، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «أَتَشْفَعُ فِى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

لقد ضرب رسول الله ﷺ بذلك مثالاً رائعًا لكل من يأتى بعده من حكام وقضاة وولاة، فما أحرانا بالاقتداء به ﷺ فى هذا الأمر وفى غيره.

والوساطة تعنى الشفاعة، والشفاعة إما محمودة ، وإما مذمومة. فالمحمودة هى: مساعدة كل محتاج للوصول إلى هدف مشروع من حقه أن يحصل عليه لكنه لا يملك الوسائل التى توصله إليه شريطة أن لا يلحق الضرر بالآخرين.

وهذه هى الشفاعة الحسنة التى قال الله تعالى فيها: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ (النساء: ٨٥)، وفى صحيح البخارى قال ﷺ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِى اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ».

وأما المذمومة فهى: مساعدة الإنسان لحصوله على حق لا يستحقه أو إعفائه من حق يجب عليه دفعه مما يلحق الضرر بالآخرين. وهذه هى الشفاعة السيئة التى قال الله تعالى عنها: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ (النساء: ٨٥).

فالوساطة إن كانت لأجل إحقاق حق أو كشف ظلم وباطل فهى شفاعة حسنة وهى التى جاء بفضلها الآيات والأحاديث، أما عكس ذلك بمعنى أن يقوم الإنسان بالشفاعة لأجل رد حق وإبطاله أو تثبيت باطل أو منع إنسان حقه الشرعى لأجل مصلحة إنسان آخر فهى لا شك وساطة سيئة، وهى من الظلم والعدوان، وبسببها يُحرم كثير من الناس من حقوقهم الشرعية، ويُوضع أناس فى غير ما يستحقون من الأماكن والمناصب مع أنهم لا يمتلكون المؤهلات التى تؤهلهم لذلك، وهناك من هو أفضل منهم، والله عز وجل يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب:٥٨)، وقال سبحانه: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

أمَا عَلِمَ من يشفع لغير مستحق أنه يشهد زورًا وبهتانًا وسيسأل أمام الله عن شهادته وشفاعته قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ● فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون ١١٥: ١١٦).

وإذا كان ديننا الإسلامى الحنيف وقيمنا الأصيلة تؤكد أن الناس سواسية فإن ظاهرة الوساطة المذمومة أحد مظاهر الفساد التى تنسف مبدأ المساواة والعدالة وتهدر إمكانات الموهوبين أو المتميزين، وتعتبر معول هدم ينخر فى بنيان المجتمع، وهى أخطر ما يهدد استقراره وتقدمه .

ومن ثم فإن الوساطة المذمومة سلوك خاطئ غير سوى، وهو أمر محرم من الناحية الشرعية ومن الناحية الاجتماعية ويؤدى إلى تدمير عملية التفاعل الاجتماعى وفقدان الثقة والشعور بخيبة الأمل وبالتالى زيادة مشاعر الغيرة والحقد والعداء.

● ثانى هذه السلوكيات المرفوضة (المحسوبية)، التى انتشرت فى الوقت الحاضر انتشاراً واسعاً، حتى أصبح الإنسان لايستطيع الحصول على حقه إلا بها .

إن المحسوبية تُعد من الأمراض المعنوية الخطيرة التى تفسد الحياة، وهى نوع من أنواع الظلم.. سواء ظلم الإنسان لنفسه أم للآخرين، مع أن الإسلام لا يعرف المحسوبية ولا يعرف المحاباة، فالناس جميعا فى تشريعات الإسلام سواسية كأسنان المشط لا

فضل لعربى على عجمى، ولا لأبيض على أحمر أو أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، فالبشرية كلها سواء فى عرف الإسلام، خلقوا جميعا من أصل واحد أبوهم آدم عليه السلام وأمهم حواء.. فلا تفاضل بين بنى البشر إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** (الحجرات:١٣)، وفى الحديث أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ**» (مسند أحمد).

ومن هذا المنطلق نرى الإسلام لا يفرق بين سيد ومسود ولا بين حاكم ومحكوم، الكل أمام تشريعات الله سواء، فلابد من تحقيق العدل بينهم، فلا محاباة ولا محسوبية فى الإسلام ولا عند حكام الإسلام.

ولقد وقف سيدنا على بن أبى طالب (كرم الله وجهه) أمام القاضى مع خصمه اليهودى وهو أمير المؤمنين يومها، وإذ بالقاضى ينادى على أمير المؤمنين بكنية أبى الحسن فيقول: يا أبا الحسن، وينادى اليهودى باسمه. فيقول أمير المؤمنين على رضي الله عنه: والله ما عدلت أيها القاضى، لقد ناديت على خصمى باسمه، وناديتنى بكنيتى ولقبى فقلت: يا أبا الحسن، وإنه يجب عليك أن تسوى بيننا فى الكنى والألقاب.

نعم إنّ الإسلام لا يعرف المحاباة ولا يقر المحسوبية، لقد تعلم الصحابة هذا من رسول الله ﷺ، ففى حياة رسول الله ﷺ مواقف حطم فيها كل مظاهر المحسوبية والمحاباة حتى مع أقرب الناس إليه، كما حدث فى شأن المرأة المخزومية، فالإسلام لا يحابى ولا يجامل أحدًا على حساب أحد فى الحق والحقيقة. فكم من حقوق سُلبت؟! وكم من أموال ضُيعت؟!، وكم من نفوس أُزهقت وضاع دمها هدراً بسبب تفشى المحسوبية والمحاباة حتى بين الدول بعضها مع بعض، علاوة على محاباة الأفراد والأشخاص؟!

فلخطورتها حذر منها الرسول ﷺ، ففى صحيح البخارى،عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِىُّ ﷺ فِى مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِىٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ، عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**».

فقد وضّح الحديث أنّ من فضّل أحدًا على أحد محاباة وهناك فى المسلمين منْ هو خيرٌ منه، فقد ضيع الأمانة وخان الله وخان رسوله وخان المؤمنين، يؤكد ذلك ماجاء فى حديث آخر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْ عِصَابَةٍ وَفِى تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَخَانَ رَسُولَهُ وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ**» (مستدرك الحاكم).

وهذا ما نراه للأسف الشديد فى أيامنا هذه من افتقاد للعدالة وانتشار للمحسوبية، حيث نجد الكثير من الناس لم يحصلوا على حقوقهم نظرًا لعدم وجود المحسوبية لديهم مما أدى إلى الفرقة والبغضاء والأحقاد وإيغار الصدور بين أفراد المجتمع.

● كذلك من السلوكيات المرفوضة التى انتشرت فى مجتمعاتنا (جريمة الرشوة) : فهى مرض اجتماعى خطير، وجريمة خطيرة، تؤصل وتؤسس مبدأ الظلم الفاحش فتحرم ذوى الكفاءة والنباهة الذين لا ظهر لهم ولا ظهير من نيل حقوقهم المشروعة وإعطائها لغيرهم ممن لا يستحقون، وكل ذلك لأن لهم سندا ومعينا يخول لهم ما لا يستحقون.

فهى من أشدّ الأمراض الاجتماعية فتكًا بالأمم، فهى تفتك بالمجتمع فتكًا ذريعًا، وتهدر أخلاق الأمة وكيانها وتعود عليها بالوبال والدمار فى الأسر والمجتمعات والأفراد والمال فى الدنيا ويوم العرض على الكبير المتعال، فإذا فشت الرشوة فى أمة من الأمم واستمرأ الناس تعاطيها فاعلم أن الضمائر قد ماتت، وأن نظام الأمة قد قُوِّض ,فقد شدّد الشرع على آخذها ودافعها والساعى بينهما بأن جعلهم مطرودين من رحمة الله، متعرضين لسخطه وغضبه، فَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِىَ وَالْمُرْتَشِىَ وَالرَّائِشَ) يَعْنِى: الَّذِى يَمْشِى بَيْنَهُمَا ، فما

دخلت الرشوة عملًا إلا عاقته، ولا مجتمعًا إلا أفسدته ، ولم يتوقف الأمر على مجرد النهى عنها وذمها، بل تعدى ذلك ليصل إلى حد اللعن الصريح الذى يعنى الطرد من رحمة الله تعالى، وما هذا إلا لأن الرشوة قتل لكفاءات المجتمع، ودعوة صريحة لهدم أساساته التى يقوم عليها ازدهاره وتقدمه.

والرشوة فى الإسلام محرمة بأية صورة كانت، وبأى اسم سميت، سواء أسميت هدية أم مكافأة، فالأسماء لا تغير من الحقائق شيئًا، والعبرة للحقائق والمعانى لا للألفاظ والمبانى»، ولم يعبر القرآن الكريم عن الرشوة بلفظها صراحة ,لكنه ورد عن طريق النهى عن أكل أموال الناس بالباطل وهو الحرام عامة والرشوة خاصة، قال تعالى: **﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾** (البقرة: ١٨٨)، وقد جاءت فى موضع آخر بلفظ السحت وهو الرشوة، وذلك فى معرض ذم أحبار اليهود ؛ لتناولهم إياها وتعاملهم بها، قال تعالى: **﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾** (المائدة : ٤٢).

وفى الحديث عَنْ أَبِى حُمَيْدٍ السَّاعِدِىِّ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِىُّ ﷺ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِىَ لِى، قَالَ: «**فَهَلاَّ جَلَسَ فِى بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ بِيَدِهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ - اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلاَثًا**» (رواه البخارى).

ففى هذا الحديث وعيد شديد لمن يستغل نفوذه ويستبيح لنفسه أن يأخذ ما لا يحل له أخذه وإن ألبسه أثوابا مستعارة كالهدية والوساطة وغير ذلك , فهذا خيانة فى الأمانة ,وسحت لا يبارك الله له فيه ولا فى نفسه ولا فى أولاده ولا فى عائلته، فطالما أن العامل يأخذ ما يستحق وينال ما يحتاج ويحصل على ما يقضى حاجته ويلبى مطالبه فما أخذه بعد ذلك فليس من حقه .

ومن أضرار الرشوة بالمجتمع: إنها تهدم ركيزة أساسية هى أساس الملك وبها قامت الدنيا وعليها تقوم الدول، ألا وهى قيمة العدل، فالرشوة حرمت لأنها من أهم العوامل التى تؤثر فى مجرى العدل بين الناس وتغير موازينه وتمهد للظلم فى الأحكام وإعطاء الحقوق لغير مستحقيها .

وهى كذلك إعانة للظالم على ظلمه، وتفويت الحق على صاحبه، وإهدار للحقوق، وتعطيل للمصالح، وبها يقدم السفيه الخامل، ويبعد المجد العامل، فكم ضُيّعتْ من حقوق، وأُهدرتْ من كرامة، ورفعتْ من وضيع، وأهانت من كريم،وعطلت من طاقات؟! فهى قضية خطيرة ينبغى التصدى لها بقوة والأخذ على متعاطيها بيد من حديد .

إن ما تعانيه المجتمعات اليوم من مشاكل مزمنة يعود إلى انتشار الوساطة والمحسوبية والرشوة فى الحياة العامة، وانعدام تكافؤ الفرص بين الناس، والتمييز على أسس مختلفة، مما يؤدى إلى تأخر المجتمع، وغياب العدالة الاجتماعية، وبالتالى زيادة مشاعر الغيرة والحقد والعداء ويوم أن تدخل الوساطة، أو المحسوبية، أو الرشوة، فى حياة الناس فإن ذلك نذير شؤم، ومؤشر بلاء يدفع بالمجتمع نحو الخراب والدمار ويجعل الأمة فى رأس قائمة الفساد .

وليعلم كل منا أنه فى مجال عمله مسئول أمام الله عز وجل عمَّا ولاّه، فهو قاض فى مجاله وتخصصه فليعط كل ذى حق حقه، وليكن ناصرًا لكل مظلوم، وسندًا لكل ضعيف

عن عامر بن الحصيب قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ قَاضِيَانِ فِى النَّارِ، وَقَاضٍ فِى الْجَنَّةِ، قَاضٍ قَضَى بِغَيْرِ حَقٍّ، وَهُوَ يَعْلَمُ فَهُوَ فِى النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ فَهُوَ فِى النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالْحَقِّ فَهُوَ فِى الْجَنَّةِ فكن من أهل الحق والعدل لتفوز برضوان الله والجنة**»..

إن العدالة الاجتماعية تقتضى المساواة بين الناس ليس فى الحصول على الوظائف العامة فحسب وإنما فى الحصول على المزايا الصحية والتعليمية والثقافية بلا أدنى مجاملة أو محاباة,بحيث يشعر الناس جميعًا أنهم أمام القانون سواء، وهو ما يجب على كل إنسان أن يقوم به ويتقى الله فيه، فالقيام بذلك على الوجه الأكمل يعد واجبًا شرعيًا ووطنيًا فى آنٍ واحد .

نعمة الماء والحفاظ عليها

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٨ المحرم ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤/١١/٢١م

أولاً - العناصر:

١ - نعمة الماء ومكانتها فى القرآن الكريم والسنة.
٢ - منهج الإسلام فى الحفاظ على المياه.
٣ - حرمة الإسراف فى الماء وخطورته.
٤ - تلويث الماء عصيان لله وعقوق للوطن.
٥ - المسئولية الفردية والجماعية تجاه الحفاظ على الموارد المائية.

ثانيا - الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١ - يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

٢ - ويقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النور: ٤٥).

٣ - ويقول تعالى: ﴿...وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢)، ويقول تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الجاثية: ٥).

٤ - ويقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (النحل: ٦٥).

٥ - ويقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١٨).

٦ - ويقول تعالى: ﴿.. وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (النمل: ٦٠).

٧ - ويقول تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ • أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ • لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة: ٦٨ : ٧٠).

الأدلة من السنة والآثار:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ: «**كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ**» قَالَ: قُلْتُ: أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: «**أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (مسند الإمام أحمد، والمستدرك للحاكم وصححه الذهبي).

٢ - وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ (رضى الله عنهم) قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ الْوُضُوءِ، فَأَرَاهُ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ، أَوْ تَعَدَّى، أَوْ ظَلَمَ**» (سنن ابن ماجه).

٣ - وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ**» (متفق عليه).

٤ - وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضى الله عنهما) هُوَ وَأَبُوهُ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَسَأَلُوهُ عَنِ الْغُسْلِ فَقَالَ: «يَكْفِيكَ صَاعٌ فَقَالَ رَجُلٌ مَا يَكْفِينِي، فَقَالَ جَابِرٌ: كَانَ يَكْفِي مَنْ هُوَ أَوْفَى مِنْكَ شَعَرًا وَخَيْرٌ مِنْكَ ثُمَّ أَمَّنَا فِي ثَوْبٍ» (صحيح البخاري).

٥ - وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضى الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ وهو ابنُ وقاص رضي الله عنه وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا السَّرَفُ؟**» فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: **نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ**» (سنن ابن ماجة).

٦ - وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «**أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ**» (صحيح مسلم).

٧ - و عَنْ أَبِي نَعَامَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا. فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ سَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالدُّعَاءِ**» (سنن أبى داود).

٨ - وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **قَضَى أَنْ لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**. (سنن ابن ماجة).

٩ - وعن هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ وهو تابعي جليل - رحمه الله - أنه قال: «كَانَ يُقَالُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِسْرَافٌ حَتَّى فِي الطُّهُورِ وَإِنْ كَانَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ» (السنن الكبرى للبيهقي).

ثالثا - الموضوع:

الماء نعمة كبرى، ومنة عظمى، عليه تقوم الحياة، وهو أساس الحضارة والرقي وعماد الاقتصاد، ومن أهم مصادر الرخاء وأصل النماء، وسبب البقاء، فالماء أغلى ما تمتلك الإنسانية، إنه الرزق النازل من السماء، يقول الله تعالى: ﴿...**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة: ٢٢)، ويقول تعالى: ﴿... **وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (الجاثية: ٥)، فتارة يسمى النازل من السماء ماءً وتارة يسميه رزقًا ليعلم العباد أن هذا الماء النازل من السماء يحمل الخير والبركة والنماء والبهجة، فالأرض ميتة والماء حياتها، يقول الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾ (النحل: ٦٥)، والأرض هامدة يابسة مقحلة حتى إذا نزل عليها الماء تحركت بالنبات وصارت مبهجة، يقول الله تعالى: ﴿...**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾ (الحج: ٥)، فالماء إذًا بهجة الحياة: ﴿... **وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾ (النمل: ٦٠)، والماء اخضرار الأرض وجمالها: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحج: ٦٣).

الماء أهم مصادر الرخاء وأصل النماء وعليه تقوم الحياة وهو أغلى ما تمتلك الإنسانية

ورؤية الماء ترطب النفوس، وهو بإذن الله حياة الروح والبدن: ﴿... **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأنبياء: ٣٠)، ويقول تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ**

يَمْشِى عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النور: ٤٥)، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قُلْتُ : يا رَسُولَ الله إِنِّى إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِى وَقَرَّتْ عَيْنِى، فَأَنْبِئْنِى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ: «**كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ**»، فالماء هو العنصر الأهم فى حياة الأحياء، فالخلايا الإنسانية والحيوانية والنباتية تحتوى على كميات كبيرة من الماء، وإن نقصان هذه الكمية إلى حدود حرجة يعنى الجفاف والموت، فالماء يشكل ٩٠٪ من وزن بعض الكائنات الحية، أما الإنسان فيشكل الماء حوالى ٧١٪ من وزنه، وهى تقريبًا نفس نسبة الماء فى الكرة الأرضية، فسبحان من هذا خلقه، إنه الماء جعله الله تعالى وسيلة لحسن الثواب فى الدنيا فقال: ﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا**﴾ (الجن: ١٦)، كما جعله وسيلة عقاب على المكذبين والمذنبين فقال: ﴿**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ● وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾ (القمر: ١١، ١٢)، بل جعله المولى جل وعلا من أعظم نعيم أهل الجنة فقال: ﴿**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى...**﴾ (محمد: ١٥).

ومما يدل على العناية الإلهية بالماء أنْ ذَكَرَهُ الله تعالى فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة بلغت ثلاثة وستين موضعًا، فهل بعد هذا دليل على أهميته ووجوب الحفاظ عليه؟!

ولما كان للماء هذه المكانة التى تساوى الحياة حثَّ الإسلام على الحفاظ عليه وترشيد استهلاكه، ولذا حرص سلفنا الصالح على الماء حرصا شديدا، كما حرصوا على بقائه نقيًا طاهرا حتى يتمكنوا من شربه والتطهر به فى صلاتهم وسائر عباداتهم التى تحتاج إلى طهارة، كما حرصوا على توفيره للجميع فلا يحرم منه أحد، بل إن الإسلام اعتبر الماء ثروة يمكن التصدق بها كالمال، وقد حث الرسول ﷺ على ذلك كما فعل فى بئر رومة الذى كان تحت يد يهودى وكان يمنع المسلمين من مائه، فَعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «**مَنْ يَشْتَرِى بِئْرَ رُومَةَ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ**» فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ رضي الله عنه (صحيح البخارى).

ومن الحفاظ على الماء الاعتدال فى استعماله وعدم الإسراف فيه، فالإسراف حرام حرمه الله تعالى فى كتابه حيث يقول: ﴿.. **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ (الأعراف: ٣١)، فالمسرفون يكرههم الله تعالى فهم عنه مُبعدون، ومن نوره وهدايته محرومون.

إن أُخُوَّةً تجمع بين المبذر وبين الشيطان لهى أشد دليل على قُبح الإسراف والتبذير، يقول تعالى: ﴿.. **وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ● إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ (الإسراء: ٢٦، ٢٧)، فإذا كان الإسراف حرامًا على العموم فكيف به فى نعمة عظيمة كنعمة الماء بها تكون حياة كل حىّ؟! ولكننا نتساءل: هل نتعامل مع الماء فعلاً على أنه نعمة؟! هل نقدر لهذه النعمة العظيمة قدرها؟! الماء الذى نهدره فى الحقول، وفى البيوت، وفى المدارس وفى الشوارع ولا ندرى أن الله تعالى سيحاسبنا على كل نقطة منه نهدرها.

إن النبى ﷺ شدد فى النهى عن الإسراف فى الماء واعتبره تعديًا وظلمًا، فهذا الصحابى الذى جاء إلى النبى ﷺ ليتعلم منه الوضوء فأراه الوضوء ثلاثًا ثلاثًا ثم قال: «**هَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ، أَوْ تَعَدَّى، أَوْ ظَلَمَ**» (سنن ابن ماجة)، فجعل الزيادة على قدر الحاجة تعديًا وظلمًا، وإساءة فى استعمال النعم التى أنعم الله تعالى بها علينا، ويقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أيضًا: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ فِى هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِى الطُّهُورِ وَالدُّعَاءِ**».

إننا نخالف سنة رسول الله ﷺ فى ذلك مخالفة كبيرة، فقد كان النبى ﷺ يتوضأ بمُدّ، ويغتسل بصاع، فعن أنس رضي الله عنه قال: «**كَانَ النَّبِىُّ ﷺ يَغْسِلُ - أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ - بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ**»، (والصاع أربعة أمداد والمُد ملء كفى الرجل المتوسط)، وكَانَ عند جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله (رضى الله عنهما) قَوْمٌ فَسَأَلُوهُ عَنِ الْغُسْلِ فَقَالَ: "يَكْفِيكَ صَاعٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مَا يَكْفِينِى، فَقَالَ جَابِرٌ: كَانَ يَكْفِى مَنْ هُوَ أَوْفَى مِنْكَ شَعَرًا وَخَيْرٌ مِنْكَ". وإنما كان هذا القدر القليل يكفى النبى ﷺ لوضوئه أو اغتساله لشدة

حرصه على الماء، أما نحن فإن ذلك لا يكفى أحدنا لغسل يديه فقط، يا لنا من مسرفين !!! يجب علينا أن نقتدى برسول الله ﷺ فى الحرص على هذه النعمة العظيمة فلا نضيع منها ما يصلح لاستخدام أىّ استخدام - فما لا يصلح للشرب قد يصلح للغسل، وما لا يصلح للغسل قد يصلح لإزالة القاذورات، ولا يفعل ذلك إلا مؤمن يخشى الله تعالى ويدرك أن الماء نعمة كبرى وأنه أغلى من المال، بل أغلى من الدم الذى يجرى فى العروق، فهلاّ حافظنا عليه قبل فوات الأوان؟!، وقال تعالى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾** (الملك: ٣٠)، هذا الماء الذى أنزله الله بقدرته لئن لم نتق الله فيه فماذا عسى ربنا أن يفعل بنا؟! **﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ • أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ • لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾** (الواقعة: ٦٨: ٧٠).

إن الإسراف فى الماء - كما هو الإسراف فى غيره - حرام وإن كان الماء كثيرًا، إذ إنه معصية فى حد ذاته، فهذا رسول الله ﷺ ينهى عن الإسراف فى الماء ولو كان فى عبادة كالوضوء! ولو كنت على نهر جار! فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو (رضى الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ وهو ابن وقاص رضي الله عنه وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا السَّرَفُ**؟ فَقَالَ: أَفِى الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: **نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ**»، وكذا ورد عن هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ وهو تابعى جليل - رحمه الله - أنه قال: «كَانَ يُقَالُ فِى كُلِّ شَىْءٍ إِسْرَافٌ حَتَّى فِى الطُّهُورِ وَإِنْ كَانَ عَلَى شَاطِئِ النَّهَرِ».

لقد امتنَّ الله تعالى علينا فى كتابه الكريم بأن رزقنا ماءً فراتًا - أى صافيًا نقيًا - فقال: **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا • أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا • وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾** (المرسلات: ٢٥ : ٢٧)، فما بال كثير من الناس يغيرون خلق الله تعالى ويبدلون نعمته ويلوثون ماءً أنزله سبحانه صافيًا؟! إن إلقاء القاذورات والمخلفات فى النيل، وفى الترع ومجارى المياه دليل على انعدام التقوى ومراقبة الله تعالى، وكذا إلقاء المواد السامة وكل ما يسبب ضررًا، يقول النبى ﷺ: «**لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ**»، فلا يجوز لمسلم أن يفعل ما يضر غيره، ومثل ذلك - أو أشدّ ما يفعله بعضهم من إطلاق الصرف الصحى فى مجارى المياه الصالحة للاستخدام، كيف يفعلون ذلك وقد نهى النبى ﷺ عن البول فى الماء، فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِى الْمَاءِ الرَّاكِدِ، وما النهى عن ذلك إلا محافظة على صحة الناس إذ إن التبول فى الماء من الوسائل التى تنقل العدوى وتؤدى إلى انتشار الأمراض.

إن الذى يلوث الماء بأى شىء ضارّ يأثم بكل كبد فسد بسبب هذا الضرر، ويأثم بكل كُلْيَة فشلت وبكل داءٍ أصيب به إنسان من قبل هذا الماء الملوث، فكيف نلوث ماءً أنزله الله تعالى طهورًا؟! يقول تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾** (الفرقان: ٤٨).

ومن عناية النبى ﷺ بالحفاظ على الماء أن وجّه المسلمين إلى تغطية أوانى الماء لحمايته من الملوثات التى قد تنتقل إليه من الهواء أو الحشرات الناقلة للجراثيم والطفيليات كالصراصير والفئران والنمل والبعوض، فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**غَطُّوا الإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ وَأَغْلِقُوا الْبَابَ وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَحُلُّ سِقَاءً وَلاَ يَفْتَحُ بَابًا وَلاَ يَكْشِفُ إِنَاءً فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ**» (صحيح مسلم)، وأوكوا السقاء أى: اربطوا فوهات أوانى الماء لحمايتها من التلوث والأوبئة، بل إن حرص النبى ﷺ على طهارة الماء وسلامته بلغت حدا أكبر من ذلك إذ نهى عن النفخ فى الشراب ليحميه من نفس شاربه ورائحة فمه كى لا يتلوث، لأن الشارب الأول قد لا يشرب الماء كله، وقد يحتاج بقيته شخص آخر، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضى الله عنهما) قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُتَنَفَّسَ فِى الإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ. (سنن أبى داود)، وبالمثل نهى ﷺ عن الشرب من فم السقاء مباشرة، وقد ذكروا لذلك سببين: الأول عدم تلوث ماء السقاء برائحة فم الشارب، والثانى حماية الشارب مما قد يكون فى السقاء من شىء مختلط بالماء، فإذا وضع الماء فى كأس علم ما به.

إننا فى ظل ما ينتابنا من خوف على مياه النيل - وهى المصدر المائى الرئيس لنا فى مصر - لا خلاص لنا إلا بأن نتقى الله تعالى فيما بين أيدينا من نعمة الماء، إذ إن التقوى هى سبيل النجاة والخلاص من الأزمات، يقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا • وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ (الطلاق: ٢، ٣)، فلنحافظ على الماء بألا نلوثه ولا نسرف فى استعماله حتى يؤمننا الله تعالى فإن الأمر بيد الله تعالى وحده، عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: «لما فتح عمرو بن عاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل شهر بؤونة من أشهر العجم (القبطية) فقالوا: (أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنةً لا يجرى إلا بها، فقال لهم وما ذاك؟ قالوا: إذا كان لثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحُلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل، فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون فى الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بؤونة والنيل لا يجرى لا قليلا ولا كثيرا، وفى رواية: فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى وهو لا يجرى حتى هموا بالجلاء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب إليه عمر إنك قد أصبت بالذى فعلت وإنى قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابى هذا فألقها فى النيل، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر (أما بعد) فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرِ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله أن يجريَك، فألقى عمرو البطاقة فى النيل فأصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة» (البداية والنهاية لابن كثير).

لقد وعد الله تعالى من يؤدى حق النعمة ويشكر ربه عليها بالزيادة فقال: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ (إبراهيم: ٧)، فأعظم وسيلة لضمان الإمدادات الإلهية من الماء هو شكر النعمة والحفاظ عليها.

إن الماء أنزله الله فى الأرض بقَدَر وبنظام محكم دقيق، يقول الله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**﴾ (المؤمنون: ١٨)، يقول ابن كثير - رحمه الله -: «وفى إنزاله القَطْر من السماء ﴿**بِقَدَرٍ**﴾ أى: بحسب الحاجة، لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلا فلا يكفى الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقى والشرب والانتفاع به... وقوله تعالى: ﴿**فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ**﴾ أى: جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد فى الأرض، وجعلنا فى الأرض قابليَّة له؛ تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى..» (تفسير ابن كثير)، إذًا ففى جوف الأرض خزانات للمياه بقدرة الخلّاق العليم سبحانه، وعندما نزل أحد العلماء إلى منجم للفحم يبلغ عمقه تحت سطح الأرض أكثر من ألف متر اكتشف وجود مياه تعود إلى ملايين السنين! فسبحان القائل: ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ...**﴾ (عن كتاب: دورة المياه بين العلم والإيمان لعبد الدائم كحيل).

فالماء أنزله الله بقَدَرٍ فهو محدد كالرزق، لكن الله تعالى أراد أن ينزل فى بلاد وينتفع به أهل بلاد أخرى تمامًا كالمال فى أيدى الأغنياء، يقول سيدنا على رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى أَغْنِيَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ الَّذِي يَسَعُ فُقَرَاءَهُمْ، وَلَنْ تُجْهَدَ الْفُقَرَاءُ إِذَا جَاعُوا وَعَرُوا إِلَّا بِمَا يَصْنَعُ أَغْنِيَاؤُهُمْ، أَلا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحَاسِبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابًا شَدِيدًا، ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (المعجم الصغير للطبرانى).

إن الواجب علينا أن نتقى الله وأن نراعى هذه النعمة التى هى سبب الحياة وليتحمل كل منا مسئوليته أمام الله عز وجل فى الحفاظ على ما أولانا من نهر عظيم وماء عذب، فغيرنا فى أمس الحاجة إلى قطرة ماء تروى ظمأه وتنبت كلأه .

ألا فلتكن هَبَّةٌ مجتمعيةٌ تستهدف الحفاظ على الحياة عن طريق الحفاظ على هذه النعمة التى تستمد منها حياة الإنسان، والحيوان، وكل كائن حى بإذن الله تعالى: ﴿**.. وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى • كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى**﴾ (طه: ٥٣، ٥٤).

«الهند»

نافذة على العالم الإسلامى

إعداد: جليلة أحمد حلمى

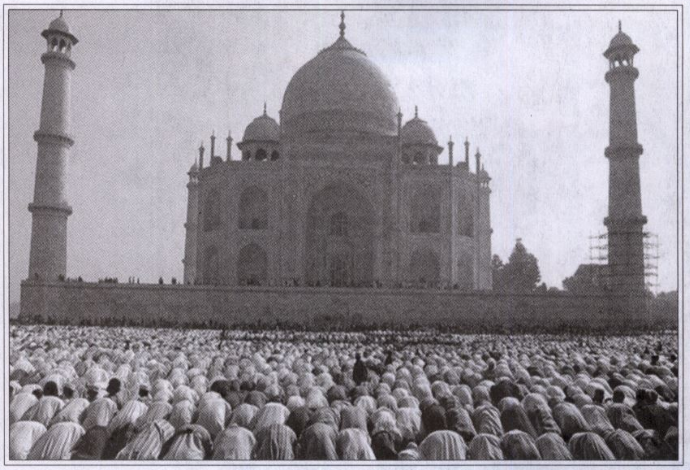

أصل التسمية:

الهند مشتق من «أندوس» وهى مشتقة من الفارسية القديمة «الهندوس»، من السنسكريتية «سيندو»، كما أشار اليونانيون القدماء إلى الهند بـ «إندو».

الهند هى مهد الحضارة فى وادى السند ومنطقة التجارة التاريخية والعديد من الامبراطوريات، كانت شبه القارة الهندية المعروفة بثرواتها التجارية والثقافية تتكون جمهورية الهند من ٢٨ ولاية و٧ أقاليم اتحادية وتمتلك ثانى عشر أكبر اقتصاد فى العالم فى سوق العملات ورابع أكبر قوة شرائية فى العالم وحولتها الإصلاحات الاقتصادية منذ عام ١٩٩١م إلى واحدة من أكبر الاقتصادات نمواً ومع هذا النمو إلا أنها لا تزال تعانى من مستويات عالية من الفقر والأمية وسوء التغذية نظراً للكثافة السكانية.

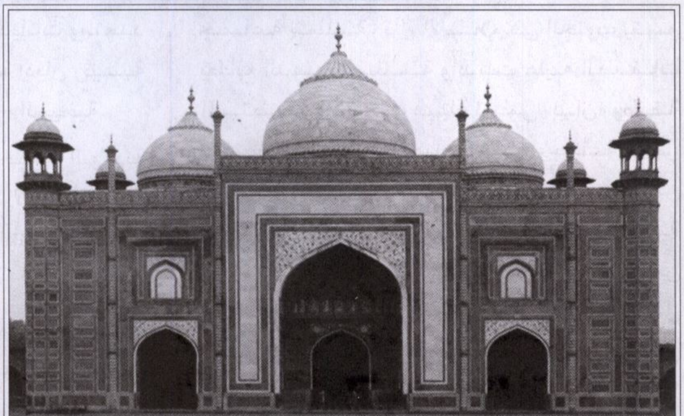

يقال إن شبه القارة الهندية هى أسرع القارات حركة فى تاريخ الأرض وذلك بفضل وجود طبقات حجرية متقدة تحت الأرض.

الهند كما يطلق عليها رسميا أيضا جمهورية الهند تقع فى جنوب آسيا سابع أكبر بلد من حيث المساحة الجغرافية والثانية من حيث عدد السكان وهى البلد الديمقراطية الأكثر ازدهاراً بالسكان فى العالم ويحدها المحيط الهندى من الجنوب، وبحر العرب من الغرب، وخليج البنغال من الشرق كما تحدها باكستان من الغرب وجمهورية الصين الشعبية، نيبال، وبوتان من الشمال، وبنجلاديش وميانمار من الشرق كما تقع الهند بالقرب من سيريلانكا، وجزر الملاديف وأندونيسيا على المحيط الهندى.

تمتلك الهند مجتمعًا متعدد الديانات ومتعدد اللغات ومتعدد الأعراق فهناك أربعة أديان رئيسية هى الهندوسية - البوذية - الجاينية - السيخية.

فى حين أن الزراد شتية - المسيحية - اليهودية - الإسلام وصلوا إليها فى الألفية الأولى للميلاد وشكلت هذه الديانات والثقافات التنوع الثقافى للمنطقة.

تم استعمار الهند من قبل المملكة المتحدة البريطانية فى الفترة من منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين وأصبحت الهند مستقلة فى عام ١٩٤٧م بعد حركة الكفاح من أجل الاستقلال التى تميزت على نطاق واسع بالمقاومة غير العنيفة.

دخول الهند:

وصل الإسلام إلى الهند مبكرًا وتمثل أول قدوم للإسلام عبر محور بحرى انتقل الإسلام عبره عن طريق التجار العرب الذين تعاملوا مع موانئ سواحل الهند وحمل التجار العرب الجديد فى بدائيته إلى الهند وأصبح كل ميناء أو مدينة اتصل بها العرب جماعة مسلمة. ظل الإسلام فى الجنوب يتسم بطابع الدعوة السلمية وأقبلت عليه الطبقات المستضعفة فدخلت قبيلة تسمى «نيان» وطبقة تسمى «تشرو من» أى حراث الأرض وجماعة تسمى «مكهه - ون» أى طبقة السماكين وغيرهم من الجماعات التى خلصها الإسلام من القيود الطبقية ثم انتشر الإسلام إلى هضبة «الدكن» وعبر من الساحل من ملبار إلى جزائر الملاديف ومعظم أهل الجزر من المسلمين ويدين سكان هذه المناطق فى دخولهم الإسلام إلى التجار العرب والفرس كما انتشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة إلا أنه انتشر ايضا بوسيلة الفتح وكانت أولى الغزوات التى قادها محمد بن القاسم الثقفى عام ٩٢هـ وشملت الفتوحات إقليم السند وجنوب البنغال وشمال أراكان المحتلة وكذلك بورما. وأقام محمد القاسم العديد من مناطق البنجاب وكان تعوذ الدولة الإسلامية فى الهند تعوذًا قويًا فى عهد الخلافة الإسلامية واستطاع بعض المسلمين فى إقامة دولة إسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية. ويقدر عدد المسلمين فى الهند حوالى ٢٢٠ مليون نسمة تقريبًا أى بنسبة

٠٠,١٦٪ من سكان الهند مما يجعلها ثانى أكبر معدل مسلمين فى العالم بعد إندونيسيا.

الجماعات الإسلامية فى الهند:

بفضل تحركات وأنشطة الجماعة تشهد الهند الآن صحوة إسلامية واضحة المعالم والمظاهر فالحجاب انتشر بين النساء المسلمات فى المدارس والجامعات والمساجد. الجماعة الإسلامية تعمل على نشر الإسلام هناك وهى حركة إسلامية لا تتدخل فى السياسة وتركز جهدها على دعوة المسلمين إلى الالتزام بالعبادات والأخلاق الإسلامية.

هناك أيضا جمعية علماء الهند وهى جمعية أهل الحديث المركزية وتعتبر جمعية سلفية أنشئت عام ١٩٠٦م.

جمعية علماء الهند وأنشئت فى العشرينيات من القرن الماضى وهى جمعية مرتبطة بالجامعة الإسلامية فى «ديوبند» ويهيمن عليها العلماء الذين تخرجوا من هذه الجامعة. كما أن جمعية علماء الهند تتمتع بتأييد كبير وسط مسلمى الهند ويظهر ذلك فى حجم الحضور فى المؤتمرات والتجمعات التى تعقدها الجمعية كما أن هناك مجلس المشاورة الإسلامى لعموم الهند وهو عبارة عن اتحاد فيدرالى للجمعيات والمنظمات الإسلامية تم إنشاؤه عام ١٩٦٤م بهدف أن يكون الصوت الذى يمثل كل مسلمى الهند وتتمثل مهمته فى التواصل مع الحكومة والإعلام والمجتمع الهندى فيما يخص القضايا التى تتعلق بالمسلمين والرئيس الحالى لهذا المجلس منذ عام ٢٠٠٨هـ وحتى الآن هو الدكتور «ظفر الإسلام خان» رئيس تحرير صحيفة «ملىّ غازيت».

التحديات التى تواجه مسلمى الهند

التحدى الأول وجود المسلمون فى بلد مشهود لأبنائه بالإقبال الكبير على التعليم الفنى والتقنى والهندسى وأكبر عالم ذرة فى الهند هو الدكتور أبو بكر عبد الكلام آزاد.

التحدى الثانى هو محاولة مسلمى الهند الحفاظ أكبر قدر من التواصل وتعميق التعاون مع الأحزاب المختلفة.

التحدى الثالث أن تقوم المنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان بمراقبة أشكال التطهير العرقى وجرائم الحرب.

التحدى الرابع أن تراجع باكستان مواقفها وتراقب الحركات التى تعمل باسمها والتى تنقل ميدان الصراع مع الهند من خط الحدود الكشميرى إلى العمق الهندى وهو ما يتسبب فى وقوع خسائر فادحة للمسلمين.

> **الهند غنية بمواردها الطبيعية وأرضها قابلة للزراعة وهى مهد الحضارة فى وادى السند**

التحدى الخامس أن تتحمل الدول العربية والمنظمات الإسلامية الدولية مسئولياتها الأدبية والمادية وتمد جسور تواصل مع مسلمى الهند الذين لم يتأخروا يومًا عن الخروج متعاطفين متظاهرين فى كل حدث يشهده العالم العربى.

اللغة:

اللغة الهندية والانجليزية هما اللغتان الرسميتان فى الهند كما أن هناك لغات محلية معترف بها كاللغة البنجابية - الأردية - البنغالية.

الإسلام:

الإسلام فى الهند يتكيف تبعا لطبيعة المكان فيما يتعلق بالشعائر والمعطيات الثقافية ففى بعض الأماكن يلاحظ أن تقديس الأولياء منتشرًا انتشارًا واسعًا ويمارسه المسلمون والهندوس على السواء.

تعد ولاية «كرالا» الهندية أصغر الولايات مساحة وأكبر الولايات كثافة للسكان ودخل الإسلام فى هذه

الولاية فى عهد الرسول ﷺ ويقال أن ملك «كيرالا» واسمه «جيرمان برمال» شاهد انشقاق القمر الذى وقع فى عهد الرسول ﷺ فأسلم فى الحال وخرج إلى المدينة المنورة لملاقاة الرسول ﷺ وبعد مقابلته للرسول ﷺ مات فى عودته إلى الهند وهناك مسجد تاريخى معروف باسمه إلى الآن كما أن هناك كثيرًا من الكليات والمدارس الإسلامية المنتشرة بالولاية وأغلب المسلمين فى الولاية شافعيون فى المذهب أشعريون فى الأصول.

كما أن هناك طرقًا صوفية كثيرة. وهناك أيضا انقسامات بين التيارات الفكرية السنية فيما بينها من ناحية وبين السنة والشيعة من ناحية أخرى.

وتوالى على الهند ثلاث رؤساء حتى الآن: د. ذاكر حسن، د. فخر الدين أحمد، د. أ. ب ح عبد الكلام.

هناك العديد من المعاهد الإسلامية منها:

جامعة أليكره المسلمة - جامعة همدارد، مؤسسات البركات الإسلامية - الجامعة السلفية جامعة دار السلام - جمعية التوحيد - الجمعية الأشرفية - دار العلوم - وغيرها من الجامعات الإسلامية وأشهر الجامعات الإسلامية «جامعة الحرمين الشريفين العربية الإسلامية النموذجية» وهى الأولى والفريدة من نوعها خلال عشرة قرون لمناهجها وطرق تدريسها حيث يتدرب الطلبة على إجادة اللغة العربية فى حوالى أحد عشر شهرًا، وتحفيظ القرآن الكريم فى أحد عشر شهرًا وتحفيظ الصحيحين الشريفين خلال نفس الفترة وأيضا استيعاب علوم القرآن وإجادة الانجليزية والعربية.

مدينة: أجرا تسمى بمدينة الملوك وأشهر آثارها المعمارية «تاج محل» الذى يعد من عجائب الدنيا السبع ومن أكبر الشواهد على الفنون والعمارة فى العهد المنغولى وأقامة الأمبراطور الهندى شاه جيهان تكريمًا وتخليدًا لزوجته «ممتاز محل أى مختارة القصر» وقد قال نهرو عن هذا البناء المقام من المرمر الخالص المرصع بالأحجار الكريمة «هذا ليس قبرًا.. هذا أغنية من المرمر».

الموارد الطبيعية والسياحية:

الهند غنية بمواردها الطبيعية حيث تتنوع الطبيعة فيها من الصحراء الجرداء إلى الغابات الاستوائية كما أن بها العديد من الأنهار التى تنبع من الجبال الشمالية حاملة معها الطمى إلى السهول فى الأسفل.

وأرضها قابلة للزراعة كما أنها غنية بمصادر المياه العذبة وتغطى الغابات حوالى ٢١,٠٦٪ من مساحتها تعتبر نيودلهى هى العاصمة السياسية للهند وتجمع تلك المدينة العريقة بين الحصون والأضرحة والآثار إلى جوار الأبنية الشاهقة والبيوت العريقة الفاخرة ومن أشهر المناطق الجاذبة للسياحة: حصن بوراناكيلا وهو حصن يقام فيه عرض للصوت والضوء يحكى تاريخ الهند القديم - حديقة حيوان دلهى تشتهر بنمورها البيضاء، قطب «مينار» أنشىء عام ١١٩٩ كنصب تذكارى للنصر، متحف نهرو الذى يمتلىء بتراثه وتاريخه.

وأخيرًا:

إن الهيئات والمؤسسات الإسلامية الكثيرة فى الهند والتى تبلغ حوالى ٤٠٠ هيئة ومؤسسة تسببت فى إثارة الكثير من المشكلات مما أدى إلى تفتيت وحدة المسلمين ولقد حرم هذا المسلمين من مظلة تحميهم وتحافظ على هويتهم الإسلامية فعلى المراكز الإسلامية الإعلامية الكبرى أن تتبنى قضايا المسلمين فى الهند وأن يفتح ذلك أفقًا أكثر رحابة وتبسط يدًا للتواصل والبناء مع أكبر جالية إسلامية فى العالم وثالث أكبر تجمع إسلامى على سطح الأرض.

د/ شوقى عـلام
مفتى الجمهورية

الولاية على الصغير

من تكون له الولاية التعليمية للصغير؟

الجواب: حضانة الأم لأولادها لا تَسلُب الأبَ الحقَّ فى تربيـة أولاده المحضـونين وتوجيـههم ورعـايتهم والإشراف عليهم بما يعود عليهم بالصلاح والنفع فى حياتهم، وذلك بولايته الطَّبَعِيّة والشرعية عليهم، وهو مُلزَمٌ برعاية الله تعالى فيهم، من باب كونه راعيًا ومسؤولاً عَن رعيته، فيختار الأنفع والأصلح لهم، والذى من شأنه أن يكفل لهم حياةً كريمة ويُهَيِّئَهم لأن يعودوا بالنفع على مجتمعهم، ويكون إنفاقه عليهم متوافقًا مع مستوى معيشته ومتناسبًا مع دخله؛ لقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ (الطلاق: الآية ٧)، فإذا راعى الأب جميع ما سبق فى تعليمه لأولاده فليس للأم أو لغيرها أن تلزمه فوق طاقته، وإن رأت الأم أن تساهم بمالها لتعليمهم تعليمًا أرقى مما وجب على الأب أن يُلحقَهم به - حسب حالته المادية - فلا بأس بذلك، بشـرط ألاَّ يكون فى هذا النوع من التعليم ضرر على المحضون فى دينه أو نفسه؛ لأن مدار الحكم فى ذلك على تحقيق مصالح المحضون التى كُلِّف الأب برعايتها، وليس له أن يتعنت فى ذلك على حساب المحضون، فإذا بقى النزاع بين الأب والحاضنة قائمًا، فالقاضى هو المُخَوَّل بالفصل بينهما بما يحقق المصلحة للمحضون.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

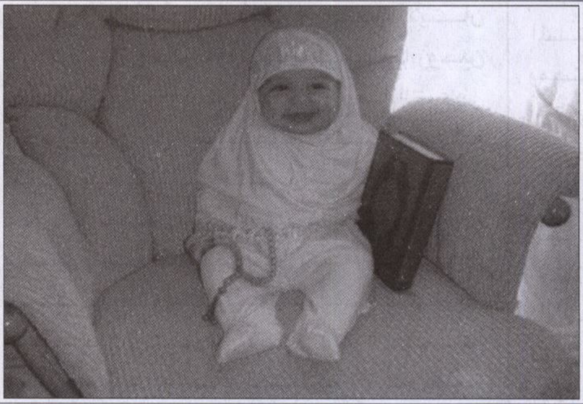

حكم أخذ أدوية زائدة عن الحاجة من التأمين الصحى

ما حكم أخذ أدوية زائدة عن الحاجة مِن التأمين الصحى أو الجهة التى تقوم بعلاجى على نفقتها؛ لاستبدالها بأشياء أخرى أو أدويةٍ أخرى مِن الصيدليات لاستخدامها للنفس أو للغير؟

الجواب: الأصل أن الأدوية التى يصرفها التأمين الصحى وغيره من الهيئات والجهات العلاجية لا تُصرَف إلا لمن يحتاجها من المرضى المشتركين فى التأمين؛ وذلك وفقًا للشروط واللوائح المنصوص عليها فى عقود التأمين مع تلك الجهات، وحينئذ فلا يجوز شرعًا تجاوز شرط هذا العقد بأخذ ما لا يحتاجه الإنسان من الأدوية، سواء أكان ذلك لنفسه أو لغيره.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

تحديد نوع الجنين

ما حكم التدخل الطبى فى تحديد نوع الجنين؟

الجواب: خلق الله تعالى الإنسانَ خلقًا متوازنًا؛ فجعله زوجين: ذكرًا وأنثى، وميَّز كلاً منهما بخصائص تتناسب مع الوظائف التى أقامه فيها، وبيّن أن هذه هى طبيعة الخلق التى تقتضى استمراره، فقال تعالى: ﴿**يا أيها النّاسُ اتّقُوا رَبّكم الذى خَلَقَكم مِن نَّفسٍ واحِدةٍ وخَلَقَ منها زَوجَها وبَثَّ منهما رِجالاً كَثِيرًا ونِساءً واتَّقُوا اللهَ الذى تَساءَلُونَ به والأَرحامَ إنّ اللهَ كان عليكم رَقِيبًا**﴾ (النساء: الآية ١)، وقال تعالى: ﴿**وأنَّه خَلَقَ الزّوجَينِ الذَّكَرَ والأُنثَى● مِن نُطفَةٍ إذا تُمنَى**﴾ (النجم: الآيتان ٤٥،٤٦)، وقال تعالى: ﴿**ومِن كُلِّ شَىءٍ خَلَقنا زَوجَينِ لَعَلَّكم تَذَكَّرُونَ**﴾ (الذاريات: الآية٤٩)، وهذا التنوع فى الخلق والتوازن فى الطبيعة هو ما اقتضته حكمة الله تعالى العليم بكل شىء والقدير على كل شىء؛ قال تعالى: ﴿**لله مُلكُ السَّمَواتِ والأَرضِ يَخلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَن يَشاءُ إناثًا ويَهَبُ لِمَن يَشاءُ الذُّكُورَ● أو يُزَوِّجُهم ذُكرانًا وإناثًا ويَجعَلُ مَن يَشاءُ عَقِيمًا إنَّه عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾ (الشورى: الآيتان ٤٩،٥٠)، وعندما نتناول مسألةً كمسألة تحديد نوع الجنين فإننا نعالجها على مستويين مختلفين:

فإذا عالجناها على المستوى الفردى فالأصل فى الأشياء الإباحة؛ لأن الإنسان يمكنه أن يتزوج أو لا يتزوج، وإذا تزوج فيمكنه أن يُنجِب أو لا ينجب، وإذا أنجب فيمكنه أن يُنَظِّم النسل أو لاَ ينظّمه، كلٌّ حسب ظروفه وأحواله، وكما يجوز للإنسان أن يعمل على زيادة نسبة اختيار نوع الجنين بما ينصح به المختصون فى ذلك - مِن اختيار نوع الغذاء، أو توقيت الجماع قبل التبويض أو أثنائه، أو غربلة الحيوانات المنوية، أو غير ذلك مِن الأساليب التى يعرفها أهلُها- فكذلك يجوز التعامل المجهرى مع الكروموسومات والمادة الوراثية (DNA)لنفس الغرض؛ إذ ليس فى الشرع ما يَمنع مِن ذلك على المستوى الفردى، ولكن كل هذا بشرط ألاَّ يكون فى التقنية المستخدمة ما يَضُرُّ بالمولود فى قابل أيَّامه ومستقبله، وهذا مَرَدُّه لأهل الاختصاص؛ فلا يُقبَل أن يكون الإنسان محلا للتجارب، ومحطًّا لِلتَّلاعُب.

وعليه: فإن هناك فارقًا فى الحكم بين تحديد نوع الجنين على المستوى الشخصى وعلى المستوى الجماعى؛ وذلك بناءً على ما هو مقرر شرعًا من اختلاف الفتوى باختلاف تعلق الحكم بالفرد وتعلقه بالأمة، وهذا نجده كثيرًا فى كتب الفقه؛ مِن مثل قتال أهل البلدة إذا امتنعوا عن أداء سنة الفجر أو الأذان مع جواز ترك ذلك على المستوى الفردى الشخصى.

أما إذا عالجناها على مستوى الأمة فالأمر يختلف؛ لأن الأمر سيتعلق حينئذ باختلال التوازن الطبيعى الذى أوجده الله تعالى، وباضطراب التعادل العددى بين الذكر والأنثى الذى هو عامل مهم من عوامل استمرار التناسل البشرى، وتصبح المسألة نوعًا من الاعتراض على الله تعالى فى خلقه بمحاولة تغيير نظامه وخلخلة بنيانه وتقويض أسبابه التى أقام عليها حياة البشر.

وبِناءً على ذلك وفى واقعة السؤال: فتحديد جنس الجنين جائزٌ شرعًا ،ما لم يُشَكِّل اختيارُ أحد الجِنسين ظاهرةً عامة.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الله تعالى:

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

سورة الشورى

كتابة عقد الزواج فى المنزل والإشهار فى المسجد بنفس الصيغة

ما الحكم الشرعى فى كتابة عقد الزواج فى المنزل، والإشهار فى المسجد بنفس صيغة العقد مرة ثانية؟

الجواب: حقيقة صيغة النكاح إنما هى للإخبار وليست للإنشاء، وإنما احتجنا لنقلها من دائرة الإخبار إلى دائرة الإنشاء حتى يتم العقدُ وتكون دلالةُ الكلام هى الواقع فى الخارج دون احتمال الصدقِ والكذب الذى يكتنف الإخبارَ، وهو غرض مهم صحيح جعل صيغةَ الإخبار مُلغاةً مع أنها هى الأصل ليحل محلها الإنشاء وهو الفرع، فإذا قيلت الصيغةُ مرة أخرى على جهة الأصل التى وُضِعَت له وهو الإخبار بقرينة الحال فذَلك صحيح لغة وجائز شرعًا، كما لو قال ولى الزوجة لزوجها: زوجتُك مَولَّيتى، فقال له: قبلتُ؛ يريدان حكاية الماضى ولا يريدان إنشاء عقد جديد؛ فكأن معنى كلام الولىّ: زوجتُك مَولِيَّتى منذ سنين، ومعنى كلام الزوج: وأنا قبلتُ حينئذ. ولا مانع من ذلك شرعًا ولا حرج فيه.

ولا يجوز الاعتراض على ذلك بأنه لم يكن من فعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه لا يلزم من عدم وروده عدمُ حصوله، كما أنه إذا سُلِّم عدمُ الحصول فلا يلزم منه عدمُ الجواز؛ لأنه استدلالٌ بالتَّرك، والاستدلال بالترك باطلٌ كما هو مقرر فى أصول الفقه.

وبناءً على ذلك وفى واقعة السؤال فإن ما جاء فى السؤال من عقد الزواج على نطاق ضيق ثم إعادة التلفظ به من طرفيه على نطاق واسع صحيح وجائز شرعًا.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

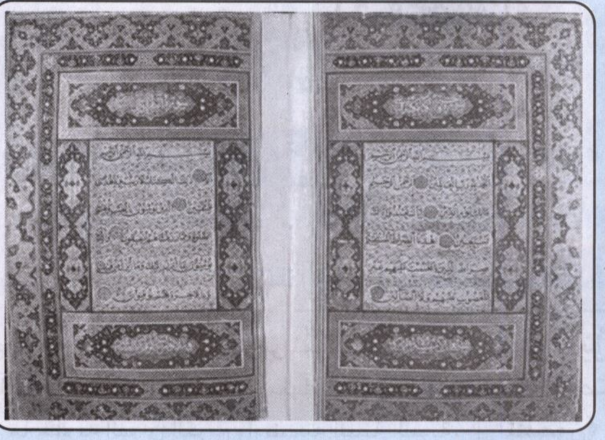

فرم ورق المصاحف القديمة وإعادة تصنيعها

هل يجوز وضع المصاحف القديمة وكذلك الكتب الدينية القديمة فى آلات تقطيع الأوراق (مفرمة) وإعادة تصنيعها؟

الجواب: مِن المعلوم من الدِّين بالضرورة عدمُ جوازِ إهانة كتاب الله تعالى ولا كلامِه ولا أسمائه الحسنى ولا كلامِ رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولا كتبِ العلم الشرعى، وفى المقابل فإن تعظيم كل ذلك هو من علامات صحة الإيمان؛ قال تعالى: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِندَ رَبِّهِ**﴾ (الحج: الآية٣٠)، وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ (الحج: الآية ٣٢).

والمصحف إذا كان صالحًا للقراءة فلا يجوز إتلافه، أما إذا لم يكن كذلك فقد أجاز جماعة من العلماء حرقه إذا كان ذلك لغرض صحيح، وفى معنى الحرق وضع أوراقه فى مفرمة الأوراق التى لا يبقى معها أى أثر للنص المقدس.

وعليه وفى واقعة السؤال فإن إدخال المصاحف والكتب الدينية القديمة فى آلات تقطيع الأوراق من الأفكار الجيدة التى يتم من خلالها الحفاظ عليها مِن أن تَطالها يدُ الإهانة بشكل غير مقصود، أو بنوع تهاون، ويشترط فى ذلك التعاملُ معها باحترام قبل أن يتمّ تمزيقها جيدا وتَنمَحِى الكلماتُ المقدسة التى فيها، أما بعد ذلك فلا بأس بالتعامل مع الناتج كمادة صناعية خام لصناعات ورقيّة جديدة تكون فيها خالية عن القداسة والاحترام الواجبَين تجاهها قبل التقطيع الكامل.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

الهجرة تضحيات صادقة

ما أحوج أمتنا الإسلامية، وهى تمر بهذه الظروف الحالكة من تاريخها إلى دعم وحدتها بين أفراد الأمة وفق ما جاء به القرآن الكريم وأوضحته السنة النبوية. ومع بشائر شهر الله المحرم، واستهلالنا لعام هجرى جديد نتذكر حادث الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.. فترك الرسول ﷺ، وأصحابه الكرام الديار والأموال فى سبيل الدعوة الإسلامية.. ولولا الهجرة المباركة ما وصل إلينا الدين الحنيف. وإذا تأملنا هذا الحادث العظيم نجد أن المسلمين قبل الهجرة عانوا أشد المعاناة من تعذيب واضطهاد.. نذكر منهم: عمار وياسر وسمية وبلال بن رباح وغيرهم من الصحابة الأخيار رضى الله عنهم.. مما جعل الرسول ﷺ يأذن لصحابته الكرام بالهجرة، فاستجابوا جميعًا لأمر الرسول ﷺ دون أن يخالفه أحد من صحابته الكرام، ولا عجب فى ذلك فهم الذين استأثروا بحمل راية هذا الدين الحنيف. وكما قدم المهاجرون من تضحيات صادقة فى سبيل نصرة دين الله - عز وجل - فقد قدم إخوانهم الأنصار أيضا تضحيات صادقة تتسم بروح الإسلام وهى «الإيثار».. ففتحوا لهم ديارهم وعرضوا عليهم أن يقاسموهم أموالهم ويشاركوهم معيشتهم.. وكانوا كما وصفهم الحق عز وجل فى كتابه الكريم: **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** (سورة الحشر الآية: ٩).

وأصبح الأنصار مع المهاجرين يشكلون قوة لحماية الرسول ﷺ ودعوته وخاضوا الغزوات واستشهدوا فى سبيل الله من أجلها، وبذلوا الجهد لنشرها وبيان فضلها بإرشاد وتوجيه القائد والرسول ﷺ وسرعان ما سطع نورها وبددت ظلمات الكفر والفساد. فهيا نترسم خطاه ونقتدى به ونعمل بسنته. فهذا خير احتفال بذكرى هجرته ﷺ.

القارئ: سعيد عبد العظيم السيد.

عزيزى القارئ: إن الذين يبايعون الله ورسوله ربحت تجارتهم فى الدنيا والآخرة. نعم - ضحى المهاجرون بالروح والنفس والمال وتركوا الأهل والوطن بعد أن تحملوا إيذاء الكفار لهم وهاجروا من مكة إلى المدينة لنصرة دين الله ورسوله.

واستقبلهم إخوانهم فى الدين «الأنصار» فآثروهم على أنفسهم وقاسموهم المال والديار وجاهدوا معهم فى سبيل الله فاستحقوا وصف الله لهم بأنهم «المفلحون».

ولكن التضحيات الصادقة التى قدمها المهاجرون والأنصار لو وضعت فى كفة وفى الكفة الأخرى وضع الأمل فى جنة الله ورضوانه لتمنى كل مسلم أن يكون معهم.

لقد كان «الصحابة الأعلام» - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - يدركون مدى عظمة الهجرة المباركة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وأنها غيرت وجه التاريخ كله.. كذا فقد أرضوا بها!.

ولقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «ما عدوا من مبعث النبي ﷺ ولا بعد وفاته ما عدوا إلا من مقدمه المدينة ﷺ!».

وقد ذكر القرآن الكريم «أن شهورنا الهلالية هي الأساس في التوقيت. ولقد قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (سورة البقرة الآية: ١٨٩).

ولقد قال تعالى أيضا وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (سورة التوبة الآية: ٣٦).

والمسلم الحق يرتبط بتاريخه ولغته وأسمائه العربية والإسلامية والانسلاخ عن هذا كله هو لون من ألوان الهزيمة النفسية التي منيت بها الأمة في عصورها المتأخرة فأخذت من أعدائها التشريع والاقتصاد، والنظم والقوانين، ونطقت بلغتهم وتخلت نساؤنا عن الحجاب لتتأسى بنسائهم وتخنس شبابنا تأسيا بشبابهم.

القارئ: خيري محمد إبراهيم أبو الروس إمام وخطيب ومدرس- بيلا - كفر الشيخ.

عزيزي القارئ: كانت هجرة الرسول الكريم من مكة إلى المدينة إيذانا وبلاغا ببزوغ فجر جديد على الإنسانية كلها، فجر أضاء الدنيا من مشرقها إلى مغربها بنور خلاب لا يعرف جماله ولا روعته إلا من عاش طويلاً في ظلام الجهل ودياجير الكفر والعصيان، دين جديد أضاء ما حوله فاطمأنت العيون والقلوب وعرف الناس الفرق بين الحق والباطل على يد الهادي البشير ﷺ فأصبح التاريخ بهذا الحدث العظيم حقًا؛ لأنه يمثل فاصلاً بين ظلام ذاهب ونور قادم ليملأ كل القلوب بالحب والرحمة.

ترقبوا

سلسلة دراسات إسلامية

• تصدر في منتصف كل شهر عربي

سلسلة قضايا إسلامية

• تصدر غرة كل شهر عربي

إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

من أمهات كتب التراث الإسلامي

موسوعات متخصصة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

مع مجلة «منبر الإسلام» الشهرية

ترقبوا الموسوعات المتخصصة

موسوعة الفقه الإسلامي الجزء ٤١

مسابقة منبر الإسلام الدينية -المحرم ١٤٣٦هـ

اقلب الصفحة

ونحن نستقبل العام الهجرى الجديد نستقبله بالأمل والتفاؤل والبحث والتأمل والدراسة؛ لنتعلم من الهجرة المباركة التى غيرت تاريخ البشرية، هجرة الرسول الكريم وصحبه الكرام من مكة إلى المدينة، من مكة المباركة حيث المسجد الحرام والتى ولد فيها الرسول الكريم وعاش فيها يدعو إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام والأوثان والربا والفواحش. دعاهم لمدة ثلاثة عشر عامًا لاقى فيها العذاب والمعاناة وكل أنواع القسوة من زعماء الكفر وأنصاره مثل أبى جهل وأبى لهب اللذين حاربا الإسلام بكل قوة ومال وعناد، وعرض أهل مكة على الرسول المال والجاه والسلطان لكنه رفض وقال قولته المشهورة: «والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» فكان لابد من الهجرة للمدينة المنورة، وإعداد العدة والتخطيط لبناء الدولة الإسلامية فى المدينة وإعلاء كلمة «لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» وصور القرآن الهجرة تصويرًا رائعًا قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٩٥). وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ (سورة التوبة الآية: ٤٠) وكان لتآخى المهاجرين والأنصار أثر عظيم فى بناء الدولة الإسلامية على أساس من الحب والرحمة والإيثار، والتعاون من أجل ترسيخ مفهوم الوحدانية والربوبية فى العالم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت الآية: ٦٩).

القارئ: محمد أحمد الديب - فوه.

عزيزى القارئ: إن فى الهجرة النبوية المباركة من مكة إلى المدينة حدثًا عظيمًا وتحولاً تاريخيًا حميدًا فهى نقطة الفصل بين الحق والباطل.

ويجب على كل مسلم أن يتمثل الدروس والعبر التى تذخر بها لتكون نبراسًا له فى حياته الدنيا ففيها التضحيات بالروح والنفس والأهل والوطن والمال فى سبيل الثبات على الحق.

وفيها دعوة للاتحاد والتآخى والتآلف والتعاون فى سبيل الله من أجل إقامة مجتمع سعيد ومستقبل مجيد.

ولنا فى رسول الله وصحابته الأخيار والمهاجرين والأنصار من أمته الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة.

مسابقة منبر الإسلام الدينية المحرم ١٤٣٦هـ

السؤال: «إدمان الكمبيوتر حيث يجلس الشاب ساعات طوال أمام جهاز الكمبيوتر متناسيًا تمامًا حياته اليومية»

فى أى مقال وردت هذه العبارة؟

عنوان المقال: .... **اسم الكاتب:** ....

العنوان: ....

العمل: ....

اسم المتسابق: .... **رقم التليفون:** ....

تاريخ الميلاد: ....

رقم البطاقة: .... **جهة الصدور:** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٣٥هـ حتى شعبان ١٤٣٦هـ.

الأميون أخلاقيا هم: صنف من أفراد المجتمع لا يمتلكون المعايير الأخلاقية والإنسانية. ويعانون من أزمة حادة تتضارب فيها القيم والمبادئ، وتختلط فيها المعتقدات والأفكار بكل ما هو سلبي ومرفوض أخلاقيًا، وتغيب فيها المثل العليا والقدوة الحسنة، صنف من الناس يحيدون بتصرفاتهم عن أنساق ومنظومات مجتمعاتهم القيمية، وأحدثوا بسلوكياتهم السيئة شروخًا فى جدار هذه المجتمعات.

أسباب الأمية الأخلاقية:

١ - عدم العناية الكافية بتدريس أسس ومبادئ التربية الأخلاقية فى مختلف المؤسسات التربوية بدءًا من رياض الأطفال وحتى المرحلة الجامعية.

٢ - عدم التأهيل الكافئ للمعلم وخاصة من الناحية التربوية والروحية والقيمية.

٣ - فقدت المؤسسات التعليمية دورها فى توثيق البنية الأخلاقية للطلاب بصورة تكفل لهم الحماية من الوقوع فى براثن العولمة السلبية؛ لأن معظم الاهتمام منصب حول الجوانب الأكاديمية.

٤ - افتقار الأسر اليوم لنموذج القدوة ووضع الضوابط المرتكزة على الأسس الأخلاقية فى تربية الأبناء منذ طفولتهم.

٥ - تجاهل الأفراد بالمجتمع للواجبات والأخلاقيات فى علاقاتهم الإنسانية، وانصراف الاهتمام حول النزاعات المادية.

٦ - الانفتاح غير المقنن من الشباب على الثقافة الغربية من خلال شبكة الإنترنت.

٧ - غياب الدور الريادى للإعلام فى محاربة الأمية الأخلاقية والسلوكيات غير المنضبطة الشائعة بالمجتمع.

٨ - انتشار حالة من التخبط والتناقض حيث يعيش الناس بين ما هو صواب وما هو خطأ.

٩ - الفقر والظروف الاقتصادية تمثل أحد أبرز الأسباب المؤدية لانتشار الأمية الأخلاقية؛ نتيجة الانشغال بالبحث عن المادة لتوفير الاحتياجات الضرورية.

١٠ - غياب القدوة الحسنة أمام الشباب على مستوى الأسرة والمؤسسات التعليمية المختلفة وكذلك على مستوى المجتمع ككل فهذا كله لا يشكل الوسط الصالح أو التربة الخصبة للاستقامة الخلقية، ولا لوضوح المثل العليا فى أذهان الأفراد.

القارئ: محمد عباس محمد عرابى - عضو اتحاد كتاب مصر.

عزيزى القارئ: ما أروع تشخيصك لهذا المرض الاجتماعى المنتشر اليوم فى مجتمعنا وهو «الأمية الأخلاقية» وسعيا لعلاجها أدعو كل مسلم إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم فهما طوق النجاة للبعد عن الضلال.

كما أدعو وسائل الإعلام ورجال الدين والآباء والمعلمين وقادة الرأى والفكر وكافة مؤسسات التنشئة الاجتماعية إلى غرس القيم الدينية والأخلاقية الصحيحة والأصيلة فى نفوس النشء والشباب وأن يلتزموا بها فى سلوكهم؛ ليكونوا مثلا أعلى تحتذى به الأجيال الصاعدة ويمكنها من التصدى للتغريب والغزو الثقافى المضلل الذى يسعى لتقويض قيمنا الأخلاقية الأصيلة وهويتنا الثقافية.

le Prophète n'avait pas quitté la maison. Laisser 'Ali derrière lui avait aussi un autre but : rendre les dépôts à leurs propriétaires pour honorer et glorifier cette valeur de la loyauté, Amanah. Heureusement 'Ali fut sauvé et leur complot fut échoué.

Cet acte constitua une partie du plan déjà établi par le prophète pour mener à bien son émigration et fuir les Quoraychite. Nous mentionnons d'autres actes qui en faisaient partie: louer deux montures et les cacher chez Abou Bakr, se rendre chez Abou Bakr dans une heure inhabituelle, voiler son visage, confier à Asmaa, fille d'Abou Bakr, l'affaire des provisions, sortir par une issue derrière la maison, suivre une itinéraire inhabituelle pour les Quoraychites, de recruter Abdoulaah Ibn Abou Bakr pour venir le soir leur donner les nouvelles de la Mecque, avoir un guide, même incroyant, Abdoullah ibn Orayqit, avoir Amer ibn Fohaïra, le berger, pour faire disparaître les traces de leurs pas, passer trois jours dans la caverne Thawr, une caverne si dangereuse qu'Abou Bakr avait peur pour la vie du prophète, mais le prophète le rassurant et le Coran le raconte : « *Si vous ne lui portez pas secours... Allah l'a déjà secouru, lorsque ceux qui avaient mécru l'avaient banni, deuxième de deux. Quand ils étaient dans la grotte et qu'il disait à son compagnon: «Ne t'afflige pas, car Allah est avec nous.»* (At-Tawba (Le Repentir) : 40). Abou Bakr entra donc le premier pour inspecter la caverne et s'assurer qu'il n'avait rien à craindre en vue de donner un exemple d'abnégation totale.

Malgré la poursuite continue de la part des Qoraychite, le prophète, à lui bénédiction et salut, grâce au soutien et au secours d'Allah puis grâce à ce que le prophète et son compagnon ont planifié en essayant de se servir de tous les moyens possibles pour réussir leur émigration, ils arrivèrent sains et saufs à Médine après être passé certain temps à Quibâ' où il mit les assises d'une mosquée.une geste qui montre l'importance catégorique de la mosquée dans la vie des musulmans. Toute Médine sortit pour accueillir chaleureusement le messager d'Allah avec une joie incomparable, une arrivée qui annonce une nouvelle étape dans l'histoire de l'Islam, une époque où l'Etat de l'Islam commença à se former, où la fraternité, l'altruisme, l'abnégation et le sacrifice étaient les valeurs dominantes et où les musulmans réussirent à réaliser une coexistence pacifiques avec les autres entités vivant alors à Yathrib devenue Médine et à donner un exemple frappant d'une société idéale gérée par les valeurs humaines universelles que prônent pour toujours le Coran et la Sunna authentique du prophète, à lui bénédiction et salut.

Référence :

١- تقريب السيرة النبوية لابن هشام للشيخ محمد الشبراوى، الحلبى١٩٦١ (باللغة العربية)

٢- الرحيق المختوم لصفى الرحمن المباركفورى، دار السلام ، ١٩٩٩ (باللغة الفرنسية)

٣- فقه السيرة للشيخ الغزالى، دار القلم ، دمشق، ٢٠١٠ (نسخة الكترونية باللغة العربية)

part parce qu'ils souffraient durant cinq ans d'une guerre atroce et violente entre al Aws et Al Khazradj. De lors, ils s'attendaient à se délivrer de cette situation désastreuse. Mohammad pourrait donc présenter cet espoir. Les six embrassèrent donc l'Islam.

L'année d'après, ils étaient au nombre de douze, huit de Khazradj et quatre de 'Aws. Ils embrassèrent l'Islam et prêtèrent serment d'allégeance au prophète (*le premier serment d'allégeance d'Al 'Aqaba*) de ne point tuer, de ne pas voler, de ne pas forniquer, et de ne pas tuer leurs enfants. Le messager d'Allah insista cette fois sur les principes et les valeurs qui doivent gérer la vie des hommes en société. Cette fois-ci Mous'ab Ibn 'Oumayr, le premier ambassadeur en Islam, partit avec eux pour leur apprendre la religion et entreprendre la tâche de la da'wa. L'Islam pénétra la plupart des maisons de Yathrib. Le prophète demanda de les rencontrer à la saison du pèlerinage.

Une délégation de soixante treize hommes et deux femmes répondirent à l'appel du prophète et vinrent à la Mecque en prenant toutes les précautions nécessaires pour être loin des yeux des Qoraychites. La rencontre eut lieu la nuit à Al 'Aqaba. Les femmes mêmes assistèrent à cet événement pour montrer jusqu'à quel point la femme musulmane pourrait participer à la vie publique. Hommes et femmes, tous, prêtèrent serment au prophète de lui obéir dans la guerre et dans la paix, de dépenser en temps d'aisance et de dénuement, de recommander le bien et de prohiber le mal, de défendre la vérité sans craindre personne et de le protéger contre ce dont ils protégeraient leurs femmes et enfants. C'est ce qu'on appelle *le second serment d'allégeance d'Al 'Aqaba* La récompense promise ne sera que le paradis. Médine était, alors après ce second serment d'allégeance, prête à accueillir le prophète qui attendait toujours l'ordre divin.

Quelques mois plus tard, tous les compagnons émigrèrent en cachette pour la plupart et ne resta avec lui qu'Abou Bakr qui allait être son compagnon de route. Les musulmans qui s'étaient installés jadis à Yathrib commencèrent à propager le message de l'Islam parmi les habitants de façon à former une communauté musulmane de plus en plus nombreuse. Allah autorisa le Prophète à quitter la Mecque surtout après l'avoir informé sur ce que les Qoraychites complotaient à Dar An-Nadwa où ils décident enfin de tuer le prophète. Le coran raconte ce qui se passa dans ces discussions malicieuses : *« (Et rappelle-toi) le moment où les mécréants complotaient contre toi pour t'emprisonner ou t'assassiner ou te bannir. Ils complotèrent, mais Allah a fait échouer leur complot, et Allah est le meilleur en stratagèmes. (S.Al Anfâl, les butins, V.30).*

Le messager d'Allah, à lui bénédiction et salut, avertit aussitôt Abou Bakr et lui demanda de faire les préparatifs du voyage en attendant le moment propice pour quitter la Mecque vers Médine. Il demanda également à 'Ali de prendre sa place dans son lit. Ceci fut pour tromper les Quraychites en leur faisant croire que

au moins pour certain d'entre eux. Ayant porté plaine au prophète, à lui bénédiction et salut, ce dernier leur demandait de se faire patienter jusqu'à ce qu'Allah leur accorde une autre issue.

L'idée même de l'émigration n'était pas neuve dans la vie des musulmans à la Mecque car le prophète, à lui bénédiction et salut, vu la situation délicate de ses compagnons, leur permit d'émigrer vers l'Abyssinie (l'Ethiopie) car, leur dit –t-il, il y a un roi (Négus) auprès de qui personne ne sera lésé. Ce qui montre que le prophète était au courant des situations politiques dans les pays plus ou moins lointains hors de la péninsule arabe d'une part et qu'il inaugura ainsi les relations islamo-chrétiennes pour la première fois dans l'histoire de l'Islam. Le choix de l'Ethiopie était pertinent du fait que la suprématie des mecquois ne s'était pas étendue vers ce pays. Il serait donc un lieu sûr du refuge pour les musulmans. Raison pour laquelle il était la destination des musulmans persécutés deux fois et ils y restaient même jusqu'à la signature du Pacte de Hoydaybiah.

L'émigration vers Médine (déjà Yathrib) survint dans un contexte pareil où le prophète et les musulmans ne purent plus supporter la persécution. La Mecque devint un lieu menaçant et défavorable à la da'wa du prophète surtout après certains événements marquants dans la vie du prophète, à lui bénédiction et salut, à sat voir: la mort de son principal protecteur, son oncle Abou Talib, celle de son fidèle épouse Khadijea qui le soutenait dans toutes les circonstances, le mauvais accueil du prophète à Ta'if et enfin l'attentat comploté et perpétré contre le prophète. Ces événements incitèrent le prophète d'abord à permettre à ses compagnons d'émigrer vers Médine individuellement les uns après les autres.

Cependant la décision du prophète d'émigrer lui-même en personne n'était pas prise hâtivement. Mais elle était bien réfléchie. La manière par laquelle le prophète procéda à émigrer était si minutieusement planifié que le musulman apprend à mieux organiser sa vie et son temps et ne rien faire sans avoir un plan préétabli et bien préparé tout en se conformant aux ordres divins. Partant de celui-ci, le prophète, à lui bénédiction et salut, comme le rapporte Al-Boukhari et Mouslim d'après Abou Moussa: «J'ai vu en vision que j'ai quitté la Mecque définitivement pour m'installer sur une terre qui abrite une palmeraie et j'ai cru qu'il s'agissait soit de Yamama, soit de Hadjar… A ma grande surprise, j'ai su par la suite qu'il s'agissait de Médine-Yattrib…»

Le prophète, à lui bénédiction et salut, se mit d'abord à mener des négociations avec les tribus de la Péninsule arabe telles que Banou Hanifa, Banou 'Amer ibn Ça'ça'a, Banou Kalb, Banou Chayban, mais ceux-ci n'étaient pas favorables à l'appel du prophète. Il se dirigea ainsi vers les tribus de Yathrib et rencontra six jeunes venant de Yathrib de la tribu al Khazradj et leur parla de l'Islam. Les habitants de Yathrib étaient prêts à accepter le message du prophète car d'une part les juifs leur annonçaient toujours l'arrivée d'un juif à la fin du temps et d'autre

L'Hégire du prophète : histoire et moralité

Par Dr. Sami Mandour

Professeur à la Faculté de langues, université de l'Azhar

L'hégire du messager d'Allah, à lui bénédiction et salut, représente une étape tranchante et un moment charnière dans la mission du prophète et même dans l'histoire de l'Islam dans la mesure où elle sépare entre deux périodes : celle mecquoise où les musulmans ont été persécuté et souffert de toute sorte de difficultés et de torture de la part des quoraychites et celle médinoise où les musulmans commencèrent à avoir une entité particulière et à fondre un Etat reconnaissant la muticulturalté et la pluralité religieuse.

Causes de l'émigration

De manière générale, « émigrer » veut dire quitter son pays pour rejoindre un autre. Les raisons en sont multiples : gagner son pain, faire du commerce, résider d'une manière permanente, faire des études et enfin chercher refuge et un lieu de sécurité en fuyant la torture, la persécution et la souffrance que lui font subir ses concitoyens. Le Coran le mentionne explicitement dans la Sourate An-Nisâ' : *« Et quiconque émigre dans le sentier d›Allah trouvera sur terre maints refuges et abondance. Et quiconque sort de sa maison, émigrant vers Allah et Son messager, et que la mort atteint, sa récompense incombe à Allah. Et Allah est Pardonneur et Miséricordieux* » (Verset n°.100). Celui qu'on appelle *Mouhadjir* aujourd'hui est la personne qui abandonne ce qu'Allah a interdit comme le dit le prophète *: wal-mouhadjir man hadjar manaha allahou 'anhou ».*

Dès le début de la mission du prophète, à lui bénédiction et salut, ses concitoyens ont mal accueilli sa religion bien que celle-ci les ait invités à accomplir toute sorte de bien et à éviter tout mal car le prophète est envoyé comme le dit le Coran en vue de faire sortir les gens des ténèbres de l'incroyance et du polythéisme aux lumières de la foi et du monothéisme (croire à l'unicité d'Allah). A ce propos, Allah dit : « *Alif, Lam, Ra. (Voici) un livre que nous avons fait descendre sur toi, afin que - par la permission de leur Seigneur - tu fasses sortir les gens des ténèbres vers la lumière, sur la voie du Tout Puissant, du Digne de louange », 5 S. Abraham, V.1)*

Les musulmans ont subi donc de l'oppression, de la torture et de la persécution à la Mecque par la puissante tribu de Quraysh. Ils n'étaient pas alors dans la mesure de faire face à de telles opérations vu leur petit nombre et leur rang min élevé

محتـــويات مجلـــة منبـــر الإســلام «المحرم» ١٤٣٦هـ

■ كلمة التحرير ١

■ من وحى الهجرة .... أ. د. محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف ... ٢

■ فى ذكرى الهجرة النبوية .... الشيخ/ محمد عبد المجيد زيدان ٥

■ استقبال عام هجرى جديد .... د. طه عبد السلام خضير ٨

■ دروس من الهجرة المباركة .... د. محمد فتحى فرج بيومى ١٢

■ الهجرة فى فكر الشيخ شلتوت .... د. أمان محمد عبدالمؤمن قحيف ١٧

■ أعظم المربين وسيد المعلمين محمد ﷺ .... د. محمد محمد أبو ليلة ٢٢

■ تعظيم حرمات الله والأشهر الحُرم .... د. سامية منيسى ٢٦

■ من تراث «منبر الإسلام» الهجرة عظة وذكرى .... د. محمد يوسف موسى (رحمه الله) ٢٩

■ حدث الهجرة نقطة تحول للإنسانية .... د. أحمد فاروق الهلباوى ٣٣

■ المدينة المنورة.. فضائلها وخصائصها .... د. مختار مرزوق عبد الرحيم ٣٧

■ نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٦٨) .... د. طه مصطفى أبو كريشة ٤١

■ التفسير اللغوى للقرآن الكريم (٣٦) .... د. عبد الغفار حامد هلال ٤٦

■ الله .... «شعر» رفعت عبدالوهاب المرصفى ٥٠

■ (ملف العدد) الإدمان الطريق إلى الهاوية .... تحقيق: محمد كامل شاهين ٥١

■ أنباء وأخبار .... محمد سيد أحمد علىّ الدين ٦٢

■ دور الوقف فى نهضة الأمة .... د. أحمد عمر هاشم ٦٩

■ أثر الفتوى فى واقع الأمة .... د. حسن أحمد خليل ٧٥

■ الزمان والمكان فى القرآن والسنة (دار الأرقم) .... د. عبد المقصود باشا ٨٠

■ دور الإعلام فى تحقيق وحدة الأمة الإسلامية .... د. عبد الصبور فاضل ٨٢

■ مدارس الخط فى العالم العربى .... د. على عفيفى على غازى ٨٦

■ المسلمون بناة الحضارة .... د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة ٩٢

■ العبادات والمعاملات برهان الإيمان .... د. أحمد عبد اللطيف الكلحى ٩٧

■ المديح النبوى فى الشعر العربى .... د. هند ماهر أبو العطا ١٠٢

■ الكرامة .... د. السيد محمد الديب ١٠٥

■ خطب الجمعة لشهر المحرم ١٤٣٦هـ ١٠٩

■ نافذة على العالم «الهند» .... إعداد: جليلة أحمد حلمى ١٢٩

■ فاسألوا أهل الذكر .... د. شوقى علام (مفتى الجمهورية) ١٣٣

■ نافذة على القراء .... أحمد حسن ١٣٦

L'hégire du prophéte: histoire et moralité .... Par Dr. sami Mandour ١٤٣

■ محتويات العدد ١٤٤

من إصدارات

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أمهات كتب التراث الإسلامى
والموسوعات المتخصصة

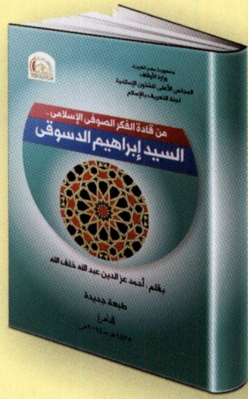

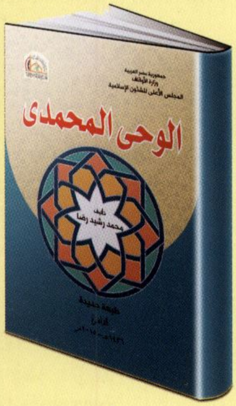

مجلة

الفردوس

مجلة
شهرية

تصدر أول
كل شهر
عربى

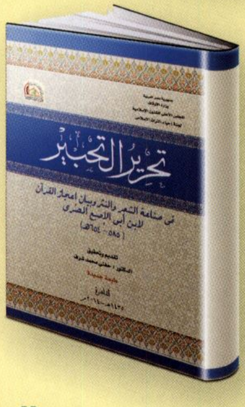

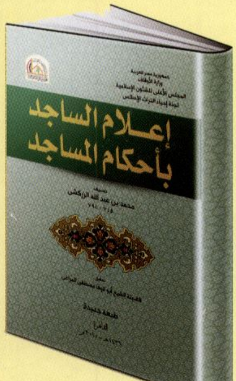

مع الباعة
وفى
الأسواق

صوت الإسلام الوسطى

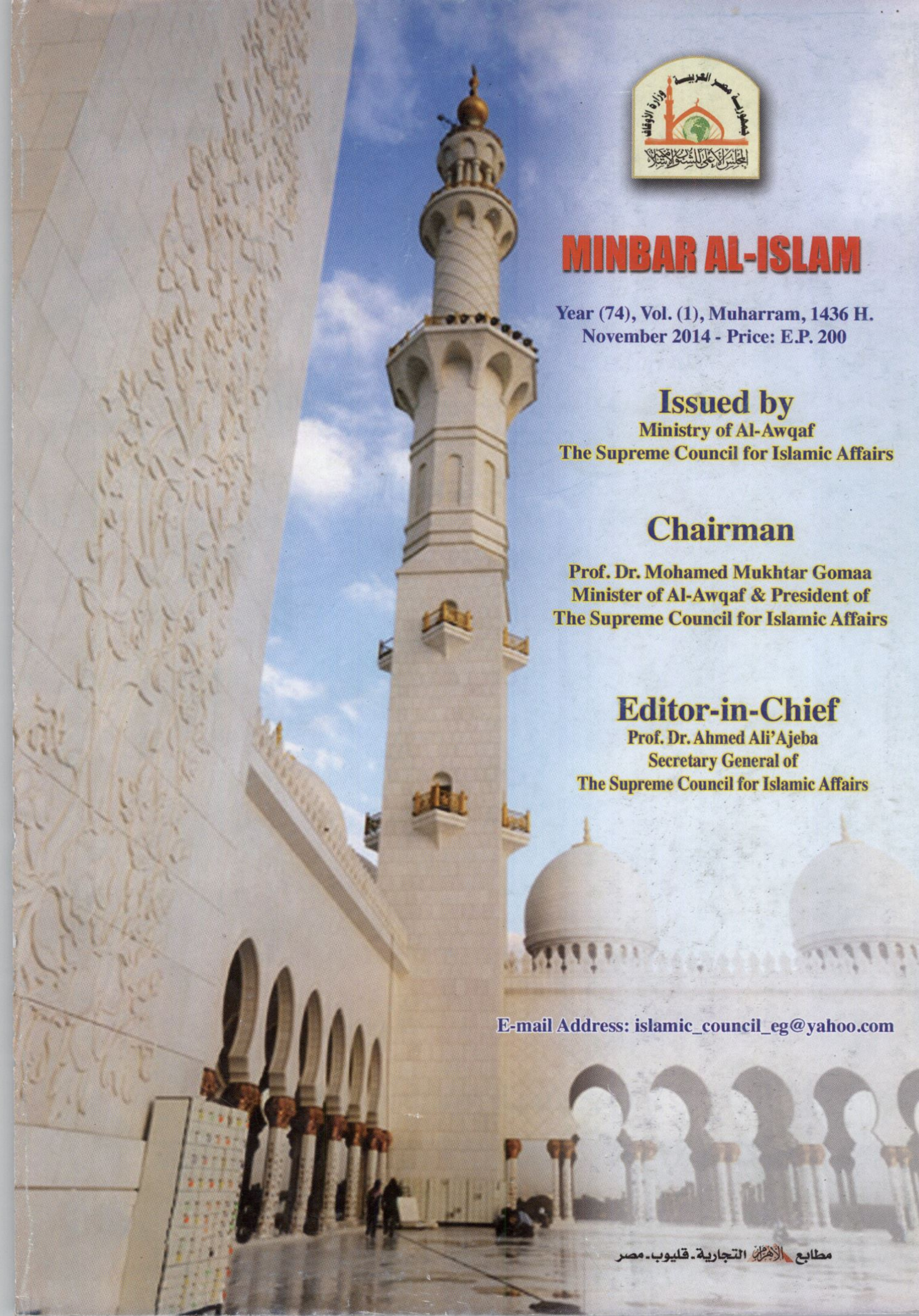

MINBAR AL-ISLAM

Year (74), Vol. (1), Muharram, 1436 H.
November 2014 - Price: E.P. 200

Issued by
Ministry of Al-Awqaf
The Supreme Council for Islamic Affairs

Chairman
Prof. Dr. Mohamed Mukhtar Gomaa
Minister of Al-Awqaf & President of
The Supreme Council for Islamic Affairs

Editor-in-Chief
Prof. Dr. Ahmed Ali'Ajeba
Secretary General of
The Supreme Council for Islamic Affairs

E-mail Address: islamic_council_eg@yahoo.com

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر